سمير إبراهيم خليل حسن

سَبيلُ ٱللَّـه
وسَبيلُ ٱلطَّاغوت





سمير إبراهيم خليل حسن

سَبِيلُ ٱللَّه
وسَبِيلُ ٱلطَّاغُوتِ



الطبعة الأولى ٢٠١٤

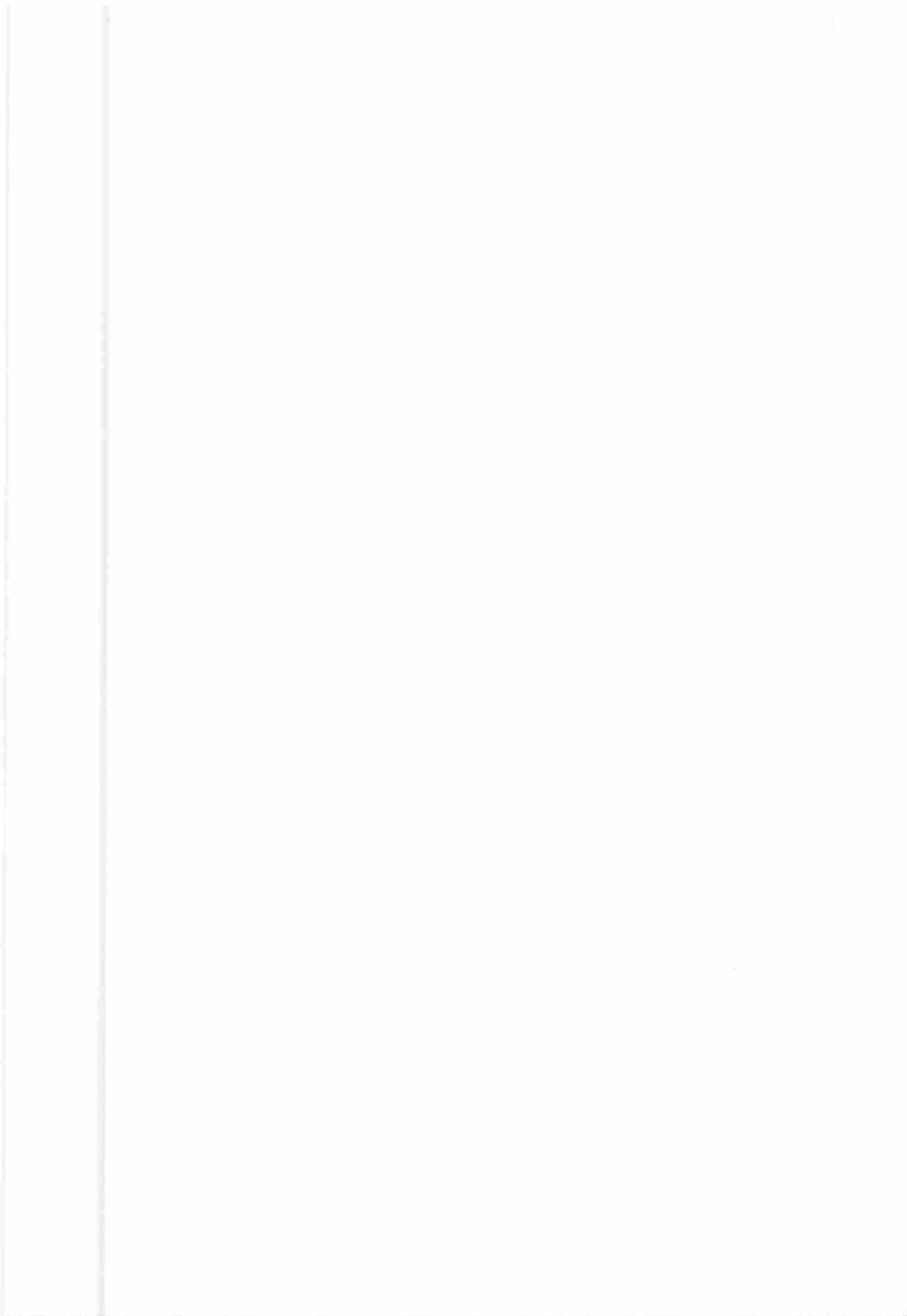
ISBN 978-6-14425-772-2

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٨٦٦٤٤٢ ١ ٩٦١ ٠، فاكس: ٨٦٦٤٤٣ ١ ٩٦١ ٠
e-mail: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على
@DarAlSaqi
دار الساقي
Dar Al Saqi

محتويات ٱلكتاب



سبيل ٱلكتاب

سبيلى فى كتابى هذا. هو ذات ٱلسبيل فى كتبى ٱلأخرى. ولى فيه هداية من ٱلحديث فى كتاب ٱللّه ٱلموصوف بٱلقول:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ ٢٣ ٱلزمر.

فهو «أحسن ٱلحديث» وفيه أحسن تفسير:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ٣٣ ٱلفرقان.

فمآ أردته من هذا ٱلكتاب. هو رؤية سبيل ٱللّه وٱلحوار مع مفاهيم تعبَّدتُ عليها تربية وتعليما.

وبعملى على فقه قول أحسن ٱلحديث:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ٧٦ ٱلنِّسآء.

رأيت سبيلا للّه يُخرجنى من ٱلظلمات إلى ٱلنور. وسبيلا للطاغوت يُخرجنى من ٱلنُّور إلى ٱلظلمات:

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ٢٥٧ ٱلبقرة.

ورأيت أنّ مَن يقاتل فى سبيل ٱللّه. يقاتل فى سبيل ما يرى بنور ٱلعلم وٱلمعرفة.

ومَن يقاتل فى سبيل ٱلطاغوت. يقاتل فى سبيل عمى ٱلجهل وظلامه.

ٱلطّاغوت ٱسم لمنهاج يطغى على تعبيد ٱلأبنآء (تربية وتعليم). يكرهون عليه (تعليم إلزامى) فيعمون ويجهلون ولا يرون نورا وتظلم قلوبهم. وتُمحى ٱلإرادة وٱلمسئولية ٱلشخصيّة لدى كلّ منهم. وبه يفعلون عابدين ما يؤمرون.

وينشأ هذا ٱلمنهاج فىَ أىِّ مجتمع. بطغوى فئة جاهلة منه على ٱلفئات ٱلأخرى. تتسلط عليهم بما تظنّه. وتشرّع بما تهوى وتشتهى. وتقعد لهم فى جميع منافذ ٱلنُّور. وٱلمثل عليه فى منهاج تربية وتعليم كلِّ سلطة تقوم بدعوى وطنيّة وقومية أو طبقية أو طآئفية. وبمناسكها[1] تكره ٱلجميع على طاغوتها. وتهيمن على تكوين ٱلمفاهيم. وتُظلم وتُغلق كلّ منفذ للنور. وتقتل فى ٱلنفس مسئوليتها عن إنسها. وعمّا تريد وتعمل وتسأل. وتمنع عنهآ أىَّ حوار وتفكير.

وما تنشره سلطة ٱلطغوى هو مفاهيم جاهل يخاف من رؤية ٱلنور. فتضع شرعا يبيّن جهلها وخوفها ويطغى علىَ أىّ شرع أخر. وتعرّف شرعها بقول منافقيها «سدّ ٱلذرائع». وبهذا ٱلتعريف تُنزع عن ٱلشخص مسئوليته عن جميع حقوقه فى ٱلحيوٰة ٱلدّنيا وفى ٱلحيوٰة ٱلأخرة. وفى ٱلتفكير وٱلقول وٱلموقف. وحتّى حقّ ٱلعمل.

سبيل ٱللَّه وسبيل ٱلطّاغوت طرفان فى جدل ٱلنفس: «ٱلنور» وما يبديه ويبيّنه. و«ٱلظلام» وما يخفيه ويعجمه.

فمَن كان ٱللَّه وليّه. ينظر فى ٱلحقِّ ويرى فينير فيه ويبيّن. وإن عَقَلَ ما بيّنه منه بما بَيَّنَ ٱللَّهُ وهدَى. يفتح لما فيه من روح سبيلَ ٱلرَّوح وٱلرَّيحان.

---

(١) ٱلمناسك هى تعليمات تتعلق بٱلأوامر ٱلتى تخضع للشرع ٱلمعروف. وفى «اللغة العربية» تحريف لها بٱلكلمات: نظام وروتين وسيستم.

ومَن كان ٱلطَّاغوت وليّه. يعمى فيظُلم عليه ٱلحقّ ويضلّ عمَّا فيه من روح.

فسبيل ٱللَّه هو سبيل ما فى ٱلنفس من روحه. وهدايتهآ إليه حدثت بلسان فطرتها:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٤)﴾ ٱلجمعة.

لسان ٱلأميِّين مفطور. وهو سليم من لغو تعبيد ٱلكافرين وتحريفهم وعبثهم فى ٱلمفاهيم. وبدليل ومفهوم كلام لسانهم ٱلمفطور بَعثَ ٱللَّهُ رسولا. ودليل ومفهوم لسانهم. هو دليل ومفهوم لسان أميّين ءاخرين لمَّا يلحقوا بهم. ولسان ٱلأميِّين فى كلِّ وقت. هو ٱلسبيل لفهم قول ٱلكتاب وٱلعلم بما يأتى من فضل.

وهذا ما عملت عليه. فبحثت فى لسان ٱلأميِّن عن ٱلكلمة وعن نطقها وعمّا تدل عليه. ومن قول ٱلأميِّن «ٱلعلم نور». ظهر لى مفهوم ودليل ٱلتعريف بٱسم ٱللَّه:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣٥ ٱلنُّور.

ومنه رأيت أنّ ٱللَّه ٱسم لنور ينير ويصبح كلَّ ما فى ٱلسَّمَٰوٰتِ وٱلأَرضِ.

وأنّ سبيل ٱلبشر إلى نورٍ وصبحٍ. هو برَوحِ ورَيحَانِ ما نُفخ فيه من روح ٱللَّه.

فسبيل ٱللَّه يبيّنه فعل ٱلذين ينيرون من ٱلناس ويصبحون ويعلمون ما فى ٱلسَّمَٰوٰت وما فى ٱلأرض. وكتاب ٱللَّه هو بيان عليم لهم. يُتلَى عليهم بلسان أميِّن ينير ويصبح لهم سبيله إلى ٱلحقّ فى ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض.

ومن قول أخر للأميّن: «حَوّرتُ ٱلمنزلَ بٱلحَوَّارة»[1]. تبيّن لىَ أنّ «ٱلحَوَّارة» هى وسيلة تبييض للمنزل لبعث ٱلنّور وصبح لما فيه.

ومن مفهوم قول ٱلأميّن هذا. رأيت أنّ «ٱلحِوار» هو ٱلوسيلة لتبييض قلوب ٱلمتحاورين ولبعث ٱلنور على بقع ٱلظلام فيها. فيُصبح ما يكفره ويعجمه ٱلظلام. وأنَّ ما يَبيَضُّ بٱلحوار يصدر عنه نور ينير. ويُصبح ما فى ٱلظلام ويَبِينُ.

ومن مفهوم ٱلتعريف بٱسم ٱللّه «نّور ٱلسَّمَـٰوٰت وٱلأرض». ومن مفهوم ٱلتبييض للحوَّارة. رأيت أن «بيت ٱللّه» هو بيت للنّور ولونه أبيض يُصبحُ. وٱلبيت ٱلعتيق ٱلذى رفع منه ٱلقواعد «إبرٰهيم» و«إسمَـٰعيل» مثل عليه:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨)﴾ ٱلبقرة.

وٱليوم لون ٱلبيت أسود. ينتظر تحويره وبعث ٱلنُّور فيه من جديد.

جآء فىَ أحسن ٱلحديث:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٥)﴾ ٱلجمعة.

وفيه أنّ مَن حُمِّلُوا ٱلتورىٰة لم تحمله قلوبهم. ولم يدرسوا فيه لتتحوّر قلوبهم ويكونوا حواريين. وليأخذوا بما فيه من وصيّة وموعظة وهداية وشريعة بلسان فطرتهم. لكنّهم درسوا بلسان شعرآء يهيمون وكهّان يطغون على ٱلقول فيه. وبذلك كان للطاغوت وظلامه سبيل إلى قلوبهم. جعلهم يظنون أنّ قول ٱلتورىٰة

(١) «ٱلحَوَّارة» تراب كلسىّ لونه أبيض. يذاب فى ٱلمآء وتُدهن به ٱلمنازل ٱلطينية لتكتسب ٱللون ٱلأبيض.

صعب وسرّ لا يستطيعون ٱلوصول إليه بأنفسهم وبلسان فطرتهم. وإن عملوا للوصول إليه وأخطأوا فذنبهم كبير. وأنّ منهم مَن سمع ونقل عن ٱلأبآء. وبهما يشرح ويفسر ويسجّل فى كتاب بما تهوى نفسه وتشتهى. وصار ٱلذين حُمِّلوا ٱلتورىٰة يتبعون كتاب ٱلهوى ولا يرجعون إلى ٱلتورىٰة فىَ أمر. فٱتبعوا كتاب ٱلشرح وٱلتفسير. ولم ينظروا فى ٱلتورىٰة حتّى لا يذنبون. ومَثَلُ ﴿ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ يبيّنُ حالَهم.

سألت عن حال ٱلذين حُمِّلَ ٱلقرءان بلسان ٱلأمِّين منهم. إن فعلوا مثل ٱلذين حُمِّلوا ٱلتورىٰة. وفىَ أحسن ٱلحديث قول للرّسول ينير ويُصبح ويحوّر ويبدى ما سألت عنه:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ ٱلفرقان.

فقوم ٱلرّسول ٱتخذوا ٱلقرءان مهجورا. ولحدوآ إلى كتاب ولسان أخر صنعه ٱلكافرون منهم:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

وفى كتاب ٱلكافرين لغوهم فى ٱلقرءان شعرا وكهانة. يبطلون به تأثير هدايته للقوم. وللسان لغوهم ٱسم «لغة». يميّزه عن لسان فطرة ٱلأمِّين بٱلباطل وٱلتحريف وٱلتخريص خطًّا ودليلا ومفهوما. وزعموٓا أنّ لسان لغوهم هو لسان ٱلقرءان ٱلعربىّ. وأنّهم هم مَن خطوا ٱلقرءان. وهم ٱلذين وضعوا فى خطّه ٱلحركات وٱلنقط[1] ليحفظوا ما غفل ٱللَّه عنه ولا يضيع. وبهذا ٱللغو يمنُّون على ٱللَّه بما يزعمون فعله فى كتابه. وبلسان لغوهم ومفاهيمهم تَعَبَّدَ قوم ٱلرّسول وما

(١) كلمة «نقطة» أميَّة عبرية. تدل على ما يتركه ٱلذباب من وسخ. أما ٱلكلمة ٱلتى تدلّ على فصل بين قول وأخر. فهى فى ٱلأمية ٱلعبرية «دات». وفى ٱلأميّة ٱلإنكليزية dot. وقد ٱختار أصحاب ٱللغة ما يدل على وسخ يناسب لغوهم.

زالوا يتعبدون. فضاع لسان فطرتهم. وعجُم ٱلقرءان عليهم. وهجرَ ٱلتحويرُ قلوبَهم فأظلمت وأعجمت. وضاع عنها سبيل ٱللّه.

بتأثير ٱلظَّنّ أنّ لسان «اللغة» ولسان ٱلقرءان واحد. صار مَن يتلوّا من أبنآء ٱللغة قولا من ٱلقرءان. يلجأ إلى كتب تفسير وشرح وحديث وفقه ومعجم. وغيره من كتب ٱلسّلف. يشركهم فيما يفهم. لأنّه لا يستطيع أن يقضى فى ٱلقول بنفسه. وهو ما غلب به ٱلكافرون إلى يومنا هذا.

فمن يتلوا قولا من ٱلقرءان فيه من ٱلكلام (قلب وفؤاد وأفئدة وخَلَقَ وسَوَّى..). لن يكون له فهم بما لديه من لغو وتحريف بكلام (دماغ وعقل ومخ وصمَّمَ ونفَّذ..). وبما لديه من لسان لا يُفرِّقُ فيه بين كلمة (جسد) وكلمة (جسم). لن يدرك من ٱلقول أمرا.

وغيره ٱلكثير من هذا ٱلاختلاف. وهو ما تعبّد عليه ٱبن «اللغة». ليتبع طاغوت ٱلكافرين ويتخذ ٱلقرءان مهجورا خطّا وكلاما وقولا ودليلا ومفهوما. فقد تعبّد بلسان لغوٍ وخطٍّ يعبث فى مفهوم ودليل كلام لسانه ٱلأمىّ. ويحرّف كَلِمَ كلام ٱلقرءان عن مواضعه (قرءان قرآن- ٱلأَنَ الآن). وبذلك سينفر من ٱلكتاب. ولن يفهم فعل هٰذه ٱلفروق فى هيئة خطّ ٱلكلمة.

بذلك ٱلتحريف وٱللغو حمل قوم ٱلرّسول ٱلقرءان كما حمل غيرهم ٱلتورىٰة.

وفعلوا فى لسان ٱلقرءان مثل ما فعله غيرهم فى لسان ٱلتورىٰة.

ووضعوا شرحا وتفسيرا بلغوهم وتحريفهم فى كتاب لهم. وهو ما لحد إليه ٱلقوم ووثنوا عليه وحرسوه. ونقلوا مفاهيم لغوٍ وتحريفٍ إلىٓ ءابنآئهم وعبّدوهم بها. فضيع ٱلأبنآء لسان فطرتهم وهو ما نزل به كتاب ٱللّه.

وبٱللغو وٱلتخريص نُقلت مفاهيم عن كتاب ٱللّه إلى لسان بشر أخرين. فأحدثت نفورا منه. ومنعتهم من ٱلتصديق أنّه من عند ٱللّه. فٱمتنعت عنهم هدايته وتحوير قلوبهم ببيانه وموعظته.

لكن بما فى ٱلناس من رَوحٍ ورَيحَان لما فيهم من روح ٱللَّه. وبما فيهم من قوّة تحوير بلسان فطرتهم. ٱتبع بعضهم (ٱلبروتستانت) منهاج «عيسىٰ»:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)﴾ ءال عمران.

وفى منهاجه سبيل تحوير لِمَن يهتمّ بٱلخلق ﴿أَخْلُقُ لَكُم﴾.

وبعلم ٱلطب ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾.

وبعلم ٱلحيوٰة ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

وبعلم ٱلتغذية ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾.

وبعلم ٱلاقتصاد ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

ومَن سلك هذا ٱلسبيل تفوّق على مَن كفره على نفسه وقعد فيه يصدّ عنه:

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ٥٥ ءال عمران.

وكان لمَن سلكوا هذا ٱلسبيل. تحويرهم وألوهتهم[1] برَوحٍ ورَيحَان نور ٱلنظر فى ٱلكثير من أشيآء ٱلأرض وٱلسَّمآء. حوّروها ونوّروها ورأوا ما فيها وعلموا به وبيّنوه. وصار لهم سجلات نور كثيرة. تُصبح وتبيّن أطوار علمهم بكيف بدأ ٱلخلق. وبما صار لهم من علم وخلق. صبأوا (ٱحتجوا وٱنشقوا) على سلطة كهّان «ٱلكنيسة» وظلامهم وجهلهم. وٱتبعوا «عيسىٰ» وخبروا بمنهاجه. وأقاموا لأنفسهم سلطة لا تقعد لهم فى سبيل ٱلنُّور.

أمّا ٱلذين لم يتبعوا «عيسىٰ». فهم مَن طغى عليهم ظلام وجهل ٱلتعبيد

(١) ٱلألوهة هى ٱلتنوير وٱلبيان.

بمنهاج ٱلطاغوت. وبه كفروا وقعدوا فى سبيل ٱلعلم وٱلخلق. فلم يحرّروا ولم يسوّوا ولم يصنعوا ولم يدّخروا. فضعفوا وٱنخفضوا فى ٱلأرض. وفى ٱلقرءان بيان لضعفهم وخفضهم فى ٱلدنيا وفى ٱلأخرة:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ٥٦ ءال عمران.

طغوى هٰذا ٱللغو أعاق ٱلنظر فى دليل كلمات كتاب ٱلنور وفى ٱكتساب ٱلهداية منه. وزاد ٱلقبول وٱلتسليم بما يقوله فى ٱلدِّين مَن تعبّد بٱللغو. وجعل من علاقة ٱلعلم ببيان ٱلدِّين أمرًا يصعب على ٱلناس ٱلمتعلمين تبيّنه. وقد واجهت هٰذا ٱلأمر من بعض ٱلأصدقآء ٱلمفكرين. ٱلذين رأوٓا أنّ فهم أعمالى صعب. بما فيها من لسان وخطّ للكلمة يختلف عن لسان وخطّ «اللغة العربية». وبما فيها من مسآئل علمية نظرية كٱلفيزيآء وٱلبيولوجيا. وقال لىَ أحد ٱلأصدقآء (له درجة دكتور بعلم لسان فطرة ٱلألمان ولسان لغو «اللغة العربية»). أنَّ أعمالى يصعب وصول كلّ ما فيهآ إليه. بسبب فروق فى لسان ووسآئل ٱلمعرفة لكلٍّ مِّنَّا. وما قاله يبيّن أنّ مَن يحمل شهادة تعليم عال بلسان لغو «اللغة» فيما يسمَّى ٱلعلوم ٱلإنسانية. لا يعلم بفرق بين لسان «اللغة» وبين لسان فطرته. ولا يهتم بعلوم ٱلحقِّ كٱلفيزيآء وٱلبيولوجيا. ومثله ٱلأمر مع حملة شهادات عالية فى علم ٱلفيزيآء وٱلبيولوجيا. إذ ليس لدىَ أكثرهم أىّ معرفة بٱلفرق بين لسان فطرته ولسان تعليمه.

لقد أثار ٱلعالم ٱلبيولوجى «إرنست ماير» Ernst Mayr[1]. جانبا من هذه ٱلمسألة ٱلمتعلقة بٱلعلوم ٱلإنسانية فقال:

---

(١) كتابه "This is Biology". صدر عن عالم ٱلمعرفة بٱسم «هذا هو علم البيولوجيا» / العدد ٢٧٧/ ٢٠٠٢ ترجمة د. عفيفى محمود عفيفى.

(إن «الجفوة» بين العلم والإنسانيات كثيرا ما يتسبب فيها إخفاق العلماء في تقدير العنصر الإنساني وهم يجرون أبحاثهم.

ولكن اللوم لا يقع بالكامل على أكتافهم، فالمشتغلون بالإنسانيات أيضًا لم يوفقوا في اكتساب الإلمام الكافي بالمنجزات العلمية في مجالات لا غنى عنها مثل: البيولوجيا التطورية، والتطور البشري، وعلم السلوك.

وهذا النقص واضح بصورة مخجلة في كتابات نفر من المشتغلين بالإنسانيات، الذين يعتذرون عنه بعدم أهليتهم لاستيعاب الرياضيات (مع ضآلة القدر المطلوب منها لمتابعة فروع البيولوجيا التي يتحتم عليهم التآلف معها إلى أقصى حد)، فمن الضروري مثلا اعتبار فهم «البيولوجيا البشرية» جزء لا يتجزأ من الدراسات الإنسانية، بل إن علم النفس، الذي كان من العلوم الإنسانية-أصبح الآن فرعًا من العلوم البيولوجية.

وأخيرًا: كيف يستطيع أحد أن يكتب في الإنسانيات من دون أن يتوفر لديه الإلمام الكافي بعلم السلوك البشري؟

إن الجهل بالمنجزات العلمية يصبح أشد خطورة عندما يواجه المعنيون بالإنسانيات بعض المشكلات ذات الطابع السياسي أو الاجتماعي: كزيادة الكثافة السكانية، وانتشار الأمراض المعدية، ونضوب الموارد، والتقلبات الجوية، وتخريب البيئة الطبيعية، وشيوع السلوك الإجرامي، وإخفاق السياسة التربوية.. إذ لا يمكن معالجة أي من هذه المشاكل بطريقة مرضية من دون الاستعانة بالمنجزات العلمية وبخاصة في المجال البيولوجي، ومع ذلك فما أكثر ما يتمادى السياسيون في تجاهل هذه الحقيقة).

وما بيّنه «إرنست ماير». هو ٱلعزل لعلوم ٱلفيزيآء وٱلبيولوجيا وعلم ٱلمقدار (رياضيات) عمَّا يسمّى «ٱلعلوم ٱلإنسانية». ومنها علم ٱلِّسان وٱلفلسفة وٱلتاريخ وٱلتشريع وٱلأدب وٱلشعر وٱلدِّين. وبيَّنَ ما بين تلك ٱلعلوم ٱلإنسانية وبين ٱلعلوم فى ٱلحقِّ (فيزيآء وبيولوجيا ومقدار). من جهل وقطيعة وتأثير على ٱلموقف من ٱلمسآئل ٱلتى تتعلق بحماية ٱلحيوٰة.

لكنه لم يبيّن أنّ أخطر ما فى هذا ٱلعزل. هو ما بين هذه ٱلعلوم وبين بيان ٱللّٰه ٱلمنشور عن خلقه. وأنّ ٱلسبب هو فيما يقوله ويكتبه وينشره عن ٱلدِّين

وٱلإيمان ٱلَّذين يظنون أنّهم علمآء إنسان. فهم يستندون فيما يقولون ويكتبون وينشرون. على ما يقوله ٱلذين يظنون أنّهم علمآء ٱلدين وٱلإيمان من كهّان جميع ٱلطّوآئف. وهم مَن قرنهم ٱللَّه فى بيانه مع ٱلمجانين:

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ٢٩ ٱلطور.

وهو ٱلسبب فيما يقوله عن ٱلدِّين وٱلإيمان. عالم فى بعض علوم ٱلدِّين مثل «لورنس كراوس»:

(لست ضد تدريس الأفكار القائمة على الإيمان في صفوف التربية الدِّينية، لكنني ضد تدريسها وكأنها علوم)[١].

يظن أن ما يُعلَّم فى تلك ٱلصفوف هو ٱلدِّين وٱلإيمان. ولا يدرىَ أنَّ عمله فى علم ٱلفيزيآء. ما هوَ إلا عمل فى واحد من فروع ٱلدِّين ٱلَّذى تبين أسمآء ٱللَّه ٱلحسنى عددها وألوانها. وأنّ ٱلعلم بٱلدِّين هو ٱلسبيل إلى ٱلأمن فىَ أىِّ بلد. وسبيل ٱلإيمان إلى قلوب ٱلسّاكنين فيه. ولوَ أنّه كان يعلم بذٰلك لطلب تعليم ٱلدِّين فى جميع أطوار ٱلتعليم. علىَ أن يكون ٱلمعلِّم عالم فى فرع من فروع ٱلدِّين أوَ أكثر من مثل «كراوس» نفسه.

❋ ❋

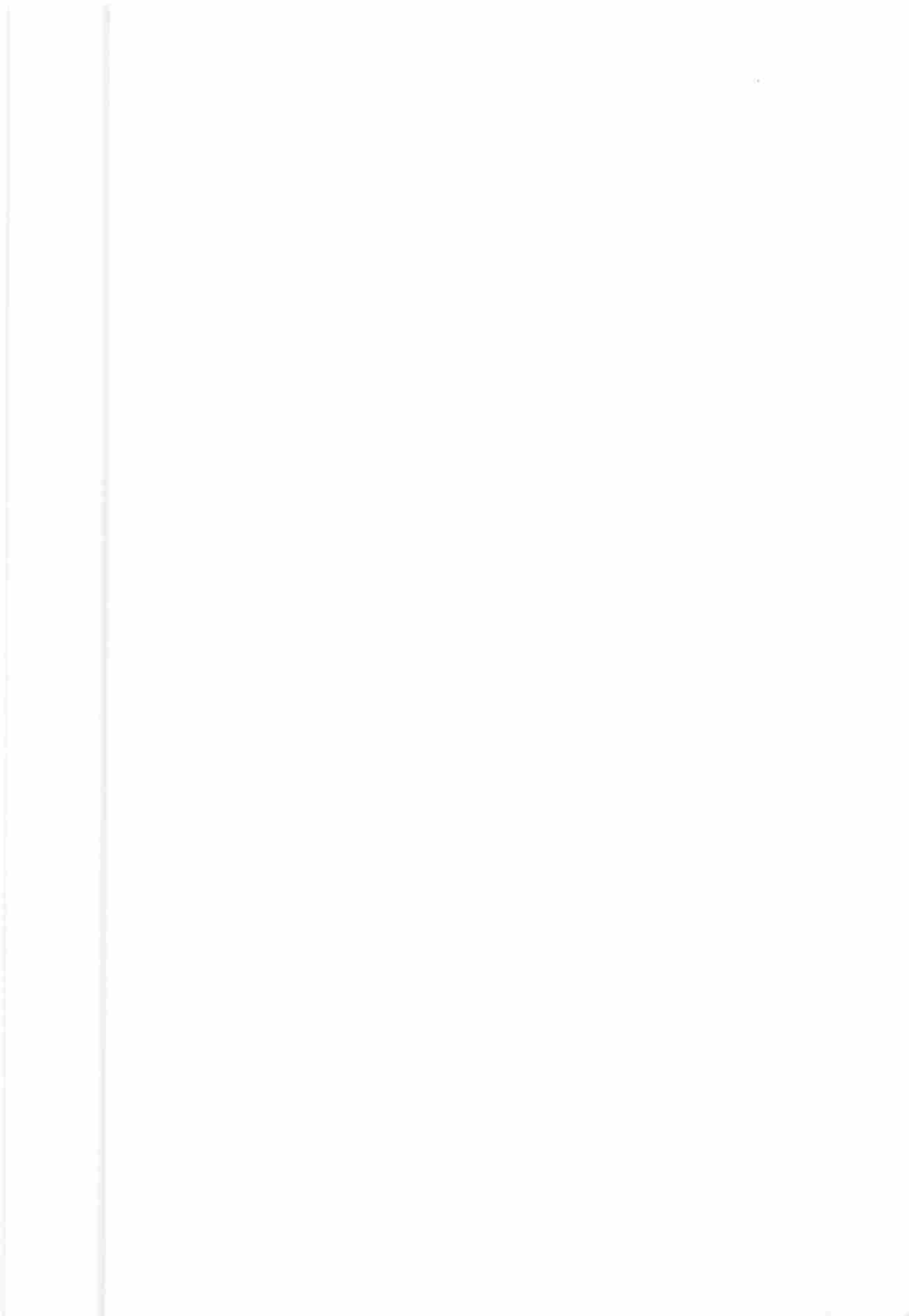
فى ٱلكتاب جهد لِّرؤية مفهوم «سبيل ٱللَّه» ومفهوم ٱلضدّ «سبيل ٱلطَّاغوت». وجئت فيه بعرض لما رأيت فى دليل ومفهوم كلمة «صلوٰة»[٢]. وقد رأيت أنّها وسيلة ٱلإنسان لرؤية سبيل ٱللَّه. ومعها ما رأيته فى دليل ومفهوم لكلمات أخرى من كلمات كتاب ٱلنور. ومع ٱلرؤية كَنس لِّغبار ٱللغو وٱلتحريف عن ٱلدليل

---

(١) «لورنس كراوس». رئيس قسم ٱلفيزيآء فى جامعة Case Western Reserve. مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية (ٱلنسخة ٱلعربية – ٱلكويت) ٱلمجلد ٢٠ ٱلعددان ٨/ ٩.

(٢) مفهوم «ٱلصلوٰة» فى هذا ٱلكتاب. هو تعقيب على ما جآء عنه فى كتاب «ٱلحكم ٱلرّسولىّ» وعرض لفهم أحسن للكلمة.

وٱلمفهوم. ومن تلك ٱلكلمات ما سبق وقلت فى دليلها ومفهومها ما رأيته فى وقته. ومن بعد متابعة ٱلنظر فى ٱلمسألة. وبكمال عملى فى كتابى «أنبآء ٱلقرءان». كشف عملى فيه عن جوانب من ٱلدليل وٱلمفهوم لم تكن ظاهرة لى من قبل. وهذا حرّضنى على ٱلعمل على دليل ومفهوم ٱلكلمة فى لسان فطرتى. وعلى تقديم مفهومها على مفهوم ٱلقول ٱلمنظور فيه. وبذلك ظهرت أعمالى وفيها مسآئل تتعلق بعلم ٱلّسان. إلى جانب مسآئل من علم ٱلفيزيآء وٱلبيولوجيا. مقترنة بما رأيت فى قول من كتاب ٱللَّه.



لرؤية ٱلمفهوم بداية

وَصفُ ٱلقرءان بقول منه ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾. يبيّن أنَّ فهم قوله متحرك لا يثبت على ما يفهمه ويقوله أحد من ٱلناس[1]. وهذه ٱلحركة للفهم يوكّد عليها ٱللَّه لمَن يسأله بٱلقول «كلّ يوم هو فى شأنٍ».

ولهذه ٱلحركة بداية محددة فى قول منه:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ٢ ٱلجمعة.

يبيّن أنّ ٱلفهم يبدأ بما يفهمه ٱلأميّون ٱلمبعوث فيهم ٱلرّسول وبلسان فطرتهم. وليس بلسان ٱلمتعلمين منهم ٱلشعر:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ٤١ ٱلحاقة.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ ٦٩ يس.

فمن دليل ٱلكلمة بلسان ٱلأميّن. يبدأ ٱلبيان ويبدأ ٱلفهم. ولسان ٱلأميّ هو لسان عربيّ. لأنّه يدلّ بكلامه علىٓ أشيآء عربيّة بيّنة يدركها بصره. ومَا يعجم على بصره لا يدركه. وهو جنّ عليه.

وفى ٱلقرءان موعظة للحركة عن تلك ٱلبداية ٱلعربيّة لتنوير ما يجنّ فيها:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

---

(١) «ٱلقرءان أحسن حديث» ٱلبحث ٱلأول فى كتاب «أنبآء ٱلقرءان».

ومَن ينظر يرى ويعلم. يتطور فهمه من ٱلشيء ٱلمدرك ببصره إلى غيب معجم فيه.

ومن يتبع ٱلشعرآء:

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ ٢٢٤ الشعرآء.

لا ينظر فلا يرى ولا يعلم بٱلحقّ ٱلمفطور ويضلّ عنه. فيجهل وينتشر ٱلضلال وظلامه في قلبه:

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ ٧٥ مريم.

وهذا إن شعر بأمر يلغوا ويخرّص فيقول شعرا. ويتطور لغوه وتخريصه ويجنّ على بصره ما هو عربىّ. فيعمى عن ٱلحقّ ويكفر ٱلسّمع على كلّ قول يختلف مع لغوه وتخريصه:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

وبٱلنظر وٱلدرس فيما كتبه ٱلمتعلمون ٱلسّلف شرحا وتفسيرا للقرءان. يظهر منه فهم شاعر جنَّ عليه ٱلحقّ ٱلعربىّ وكفر. وبلسان ٱلشاعر (وهو لسان لغو وتخريص) كتب ٱلمتعلمون ٱلسّلف لغوهم وتخريصهم. وبما كتبوا يُعبّد أبنآء ٱلقوم تربية وتعليما. وبٱلتعبيد يعسر ويعجم عليهم ٱلفهم من بدايته.

وبٱلنظر وٱلدرس فيما سُطِّر فى معاجم ٱللغو «اللغة العربية». يظهر عمل مُحصٍ لِّكلام أميّن وشعرآء وخطبآء من قبآئل مختلفة شاميّة وساميّة ٱلّسان (شام أراميّ وكنعانيّ. وسام عبرىّ).

ومن تلك ٱلقبآئل ما هو قحطانىّ. ٱسمه منسوب إلى قحط عيش لعرب بادون. يرحلون فى بادية عربآء مع أنعامهم بحثا عن ٱلطعام وٱلمآء.

ومنها ما هو عدنانىّ. ٱسمه منسوب إلى عَدنٍ. ومنه ٱسم ٱلمعدن وٱلمعادن بسبب ٱستقرارها فى ٱلأرض. وجنات عدنٍ هى جنات ٱستقرار. فٱلعدنانىّ من ٱلناس هو ٱلمستقرّ فى حاضرة يعمرها.

وفى ٱلمعجم تسطير لكلام فطرة ٱلناس ولكلام لغوهم. من دون علم للمُسطِّر بٱلفرق بينهما. وما فيه من قول فى دليل ٱلكلمة. منه ما يدلّ عليه لسان فطرة ٱلأميِّن. ومنه ما عَمَت عنه بصيرة ٱلمُسطِّر بما تعبّد بٱللغو تربية وتعليما.

وحتى لو لم يكن للتعبيد تأثير عليه. فلن يكون إدراكه وفهمه وعلمه بٱلدليل. أكثر من طُور مِّن أطوار إدراك وفهم وعلم ٱلإنسان ووسآئله فى وقت عيشه. ولبيان ذلك أضرب مثلا مما سُطِّر فى «المعجم الوسيط». ومن قول عربىّ أمىّ فى دليل كلمة «مكَّ»:

(مكَّ العظم مكًّا: مصَّ جميع ما فيه. وامتكَّ الفصيل ما فى ضرع أمّه: استقصاه بالمصّ).

فمآ أدركه ٱلأمىّ ببصره ويرىٰه قلبه ويفهمه من هذا ٱلفعل. هو «المصّ» ٱلمشاهد ببصر ٱلعين لما فى ٱلعظم ولما فى ٱلضرع.

وبغياب ٱلنظر ووسآئله. لم يرَ قلبه أنَّ ٱلفعل «مكَّ» يبيّن حركة سباحة لشىء يُمَصُّ. ومكانا له بطن فارغ وفراغه يَمُصُّ. وأنّ ٱسم هذا ٱلمكان هو «مكّة». وبطنه فارغ.

كما لم يرَ أنّ ٱلعظم وٱلضرع. لكلٍّ منهما باب للخروج ٱسمه «بكّة» يبكّ ما فيه فيخرج منه.

ولم يرَ أنّ هذين ٱلفعلين يحدثان فى مكان من ٱلأرض وله بابان:

ٱسم ٱلأوّل «مكّة». يدخل منه ٱلناس إلى بطنه. يَقرُون فيه. ويُرَصُّ قَرِيشهم وينشأ منه قوم قُرَيش. وفيه يعدنون.

وٱسم ٱلثانى «بكّة». يهاجر ٱلناس منه فى شُعَبٍ مختلفة فى ٱلأرض. يتفرّقون فى ٱلبحث عن مكان أخر يعدنون فيه.

كما لم يرَ أنّ هذا ٱلفعل يحدث فى مكان من ٱلسمآء وله بابان:

واحد يشدّ ويسحب إليه (يمصُّ) قَريشَ دخان (غاز) يسبح مهاجرا فى

ٱلسّمآء. يهوىَ إليه يقريه ويقرّشه فى بطنه. وتنشأ منه مجرّة من نجوم وشموس وكواكب وأقمار وحجارة.

وٱلثانى تخرج منه مكنوسة. فى درب تبّانة تبكّها فى شعب مختلفة فى ٱلسمآء.

فٱلفعل «مكّ» يبيّن مكانا له باب دخول وبطن ٱسمه «مكّة». يحدث فعله فى ٱلعظم وفى ٱلضَّرع وفى ٱلسَّمآء وفى مجتمع للناس. وتدلّ ٱلكلمة على قوَّة شدٍّ وسحب من باب يبكّ إلى باب أخر يمكّ.

وهذا يبيّن أنّ دليل ٱلكلمة. لا يقصر على ما يظهر للبصر من فعل ٱلشّدِّ وٱلسَّحب لما فى ٱلعظم ولما فى ٱلضَّرع. كمآ أدرك ٱلمسطِّر للمعجم ومن أخذ عنهم وأشركهم فىَ إدراكه وفهمه.

ليس لاسم «مكّة» ولا للفعل «مَكَّ». أثر فيما نقل من بحوث علم ٱلفيزيآء إلى لسان «اللغة العربية». ففعل ٱلكلمة ٱلمبيّن فى قول ٱلأمىّ لا يتغير أينما حدث. وأنّ ما شهده ويشهده ٱلأمىّ من ٱلحدث بسمعه وبصره. هو سبيل ٱلنظر إلى ٱلغيب ٱلجزئى لرؤيته فىَ أحداث فيزيآء ٱلتكوين. فلكلمة «مكّة» موقعها فى بيان ٱلفيزيآء. وحضورها فيه يجعله متشابها مع بيان ٱللَّه فى كتابه. فيدرك جميع ٱلذين ينظرون فى ٱلحقِّ وبه يعلمون.

٦.

ٱلتطور فى ٱلنظر ووسآئله وٱلعلم وٱلفهم وٱلعقل. يظهر مفهوم «ٱلتّشابه» ومفهوم «ٱلشأن». ويرفع بإدراك ورؤية وفهم وعلم ٱلمرء فىَ دليل ٱلكلمة. ويجعله أكثر إحاطة به. وبفعل هذا ٱلتطور فى ٱلرؤية. يحنف إدراكه وفهمه لفعل ٱلشّدِّ وٱلسحب. من فعل مشاهد عربىّ فى ٱلعظم وٱلضرع. إلى فعل مشاهد فى مجتمع للناس. وإلى فعل رؤية فى ٱلغيب ٱلفيزيآئى وٱلبيولوجى (ٱلميّت وٱلحىّ). ولا يشرك صاحب ٱلمعجم فيما رأى وقال.

ومن دون فتح سبيل ٱلنظر ووسآئله. للعلم علما متشابها بهٰذا ٱلتطور فى فهم دليل ٱلكلمة. يحدث فصل بين تطور ٱلمرء ٱلعلمىّ وٱلمعرفى. وبين مخزونه من كلام لسان فطرته. ويصير دليل كلمات مخزونه يضيق عليه. ويعيق إدراكه ورؤيته وفهمه للعلاقة بين تطوره ٱلمعرفى ومخزونه من ٱلكلام. وبتطور فهمه وعلمه بما يدلّ عليه مخزونه لكلمة «مكّة». يجعله يحنف عن قول صاحب ٱلمعجم. ويرى فيها قوّة شدٍّ وسحب يدلّه عليه فى علم ٱلفيزيآء ٱلقول vacuum energy.

وبذلك ٱلتطور فى فهم دليل كلمة «مكّة». يعلم ٱلمرء أنّ ما يُنقل بلسان «اللغة العربية» من بيانات ٱلفيزيآء. يفصل مفهوم ٱلشّدِّ وٱلسحب عن ٱلكلمة. ويمنع إدراك فعلها فى مجتمعات ٱلناس وفى ٱلغيب ٱلفيزيآئىّ. كمآ أدركه أمىّ فى ٱلعظم وفى ٱلضرع.

فلكلمة «مكّة» فعل مشهود. لم يرَه ٱلمسطّر للمعجم فى شدّ وسحب ٱلناس إليها.

ولم يرَ كيف تُقرّش مهاجرين من شعبٍ مختلفة. وفى بطنها يعدنون.

ولم يرَ كيف قامت سلطة للقوم قريش بعهد وبه فتح سبيل ٱللّٰه أمامهم.

ولم يرَ ما جعل أفئدة من ٱلناس تهوىٓ إليهم. ليقيموا معهم يعدنون فى ٱلمكان. ويكونون من أهله. كما طلب إبراهيم من ربِّه:

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ٣٧ إبراهيم.

وشركه لفهم ٱلشعرآء فى فهم ٱلدليل لغوَ فيه. ومنع ٱلنفع من مخزون لسان ٱلأميِّن بما وصل إليه ٱلناس من علم. وحبسُ دليل ٱلكلمة عند ٱلأمر ٱلمشاهد فى ٱلعظم وٱلضرع. يمنع إدراك فعله فى مجتمع للناس وفى ٱلغيب ٱلفيزيآئىّ.

كذلك حبسُ دليل ٱلكلمة عند ٱلأمر ٱلمشاهد فى ٱلعظم وٱلضرع. يمنع إدراك فعله فى مجتمع ٱلناس وفى ٱلغيب ٱلفيزيآئىّ.

هذا ٱلشرك وهذا ٱلحبس فى فهم دليل ٱلكلمة. هو ما يطغى علىَ أبنآء «اللغة العربية». ولأنّهم لا يشاهدون فى حياتهم ٱليومية عظما وضرعا يُمكّ. فلا يذكرون ٱلكلمة وفعلها. ولا يعملون على تفكير بمفهوم ٱلمّكّ. ويظنون أنَّ ٱلكلمة تكونت بفعل لقآء بصر ٱلعين مع ٱلشىء من دون علم بكيف حدث ذٰلك. وليس للقول ٱلعربى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. تأثير بما يبينه من أن ٱلكلمة معلّمة فى ٱلفؤاد. ومنه ينفطر صوتها مَّنطوقًا. أو صورة له فى خطٍّ مَّسطور. لِّتدل على ٱلشىء ٱلذى وقع عليه بصر ٱلعين.

ولم يرسل ٱبن «اللغة» نظره ليرى كيف يحدث فعل ٱلكلمة ومما تتكون.

ولم يعقل ما جآء فى بيان مَن وصل نظره إلى غيب. ورأى فيه قوّة سحب وأطلق عليه ٱلوصف vacuum energy.

ولوّ أنّه نظر وعقل وفكّر. فإنَّ كلمة «مَكَّة» هى ٱلتى كانت ستخرج من فؤاده لتدل على قوَّة ٱلسحب هذه.

ولو قارن ووازن بين نطق ودليل ٱلكلمة magnet فى لسان أميّن إنكليز. وبين نطق ودليل ٱلكلمة «مكّة». لَرَأَى نطقهما قريب. ولَأَدرك أنّهما يدلان على قوّة شدٍّ وسحب فى ٱلّسانين. ولكان نَقَلَ ٱلكلمة من لسان ٱلإنكليز إلى لسانه وقال عن قوة ٱلماغنيت. أنّها ٱلقوّة «ٱلمكّية».

لم يفعل ٱبن «اللغة» ذلك بسبب تعبيده (تربيته وتعليمه) بما وثن عليه ٱلقوم من لغو ٱلكافرين. وبطغوى ٱلتعبيد سكن ٱلدليل وٱلمفهوم لديه على ما جآء منه عند شاعر أو كاهن ميّت. ٱلأمر ٱلذى حرف وصدّ إدراكه وعطّل نفعه من مخزون ٱلكلام ٱلأميّ. ومنع عليه ٱلفهم وٱلعلم فى ٱلحقّ. وهذا ما جعله ينقل ٱلقول vacuum energy من لسان فطرة ٱلانكليز إلى لسان لغوه. بٱلقول «طاقة الخلاء». وهو لا يدرىَ أنّ نقل ٱلقول ٱلإنكليزىّ إلى لسان فطرته هو بٱلقول «طاقة ٱلمكّ».

وبمآ أَلِفَه ٱبن «اللغة العربية» من دليل لدىَ ءابآئه ٱلأولين. جعله لا يدرى بما فعلوه من تحريف للكَلِمَ وٱلكلام عن مواضعهما. ولا يدرىَ أنّ ٱلتحريف جعل بيان ٱللّه فى صفٍّ. وبيان ٱلعلم فى صفٍّ أخر.

ولا يدرىَ أنّه بٱتباعه ٱلتحريف ودليله. يضلُّ ويكفر سبيل ٱللّه على نفسه وعلى ٱلكثير من ٱلناس.

وأضرب مثلا على ٱلتحريف فى دليل ٱلكلمات «قرأ» و«تَلَوَ» و«جعل» و«صبئ». وبه تُوَلَّفُ قلوب أبنآء «اللغة العربية» وبه يشركون.

أشركَ ٱللغو كلمة «قرأ» بدليل كلمة «تَلَوَ». فيما تدل عليه من تتبع للكلام ٱلمتعاقب فى ٱلسَّطر ببصر ٱلعين وٱلمتعاقب بٱلصوت وتسمعه ٱلأذن. وكذٰلك للكلمات ٱلمتعاقبة فى ٱلأشيآء ٱلغيبية. سوآء ءَكان فى ٱلفيزيآء ٱلجزئية أم فى ٱلبيولوجيا ٱلجزئية.

وٱلكلام أىَّ كانت هيئته. يأتى متعاقبا فى ٱلسَّطر. وبٱلفعل تلوَ يجرى تتبعه.

ثم يأتى فعل ٱلنظر فيما يرمز إليه وٱلعلم بما يدل عليه.

وٱلفعل «تلوَ» لا يدل علىَ أن ٱلمتابع يفهم ويعلم بٱلكلام ٱلمخطوط أو ٱلمسموع. سوآء ءَكان ٱلكلام بلسانه أم بلسانٍ أخر.

فٱلذى يتلوا ٱلكلام ويدرسه يقرأ منه فهما متشابها.

وإذا ٱستعان بوسآئل تقوِّىَ إدراكه ونظره وفكره. يصل إلى ٱلعلم به جميعه. ويستنبط دليلا لِّكلِّ كلمة فى ٱلسَّطر.

ثمَّ يعمل من بعد ذٰلك على بنآء قولٍ مُّستنبطٍ. يبيِّن فيه بلسانه مآ أدركه وفهمه من ذٰلك ٱلكلام.

وبهٰذا ٱلعمل وبوسآئله يجعل ٱلكلام «قُرءًا» بيِّنًا بلسانه. ويكون قد «قرأ» ٱلكلام وبيَّن دليله عند طُور من أطوار ٱلعلم فيه.

ومثل ذلك هو عمل ٱلفيزيآئى. ٱلذى ينظر فى رموز ٱلأشيآء ٱلغآئبة عن بصر ٱلعين. بوسآئل صنعية (ميكروسكوب) تقوّى بصره وتوسّع رؤيته. فهو يتلوا. ويراقب. ويحسب. ويدرس. ويشبِّه تلك ٱلرموز بأشيآء يعرفها. ويفرِّق ويميِّز بين رمز وأخر من هيئة كلٍّ مِّنها. ومكوناته وحركته ولونه. ويحدِّد لكلِّ رمزٍ ٱسمًا من لسان فطرته يوافقه فى ٱلهيئة وٱلمكوّن وٱلحركة وٱللَّون. يعلّمه بها. ثم يعود إلى ما علّمه. ويعمل على ٱستنباطٍ لِّمفهومٍ مِّنه. كمآ أدركَ ورأى وفهمَ وعلم من تلك ٱلرموز ٱلمعجمة فى ٱلغيب. ويطلق على كلٍّ مِّنها ٱلاسم ٱلذى يطابق هيئته ولونه وصوته. ممّا هو معلّم فى نفسه. ثم يجعل ٱستنباطه قولا بلسانه. ينشره بيانًا يحنف قوله فيه عن قول ٱلأبآء. ولا يشرك قولهم فيما يقول. فيتلوا بيانه ويدركه كلُّ من يدرك ويفهم قول ٱلفيزيآء. وبعمله هٰذا يستنبط دليل ٱلرمز. ويتكون ٱلمفهوم لديه. فيجعل ما وصل إليه. بيان علمٍ يعرب عنه بلسان فطرته.

ما فعله هٰذا ٱلناظر. هو ٱلأفعال تلوَ وسأل ونظر وأدرك ورأى ودرس وعلم وٱستنبط وجعل. وهى جميعها وسآئله. للفهم وٱلفقه بما تدل عليه تلك ٱلرموز. وبها يجعل تلك ٱلرموز كلامًا مُّدركًا ومفهومًا بلسانه.

وما ينشره عن عمله هٰذا. هو بيانه عن إدراكه ورؤيته وعلمه وفهمه لتلك ٱلرموز.

وببيانه يكون قد أكمل وسآئل دليل ٱلفعل «قرأ». وأنَّ ما خرج به نظره. هو «قرء» مُّتشابه مُّبين لِّكلامٍ مُّعجمٍ فى علامة مغلقة «ة». وهو بيان جزئىّ يتعلق بشىءٍ واحدٍ مِّن أشيآء ٱلتكوين.

ومن ٱلبيان لدليل ٱلفعلين «تلو» و«قرأ» ما قاله «جاليلو» عن تلك ٱلرموز وعن وسيلة فهمها وبيانها:

(إن كتاب الطبيعة لا يمكن فهمه ما لم يتعلم المرء أولا كيف يفقه اللغة التي كتب بها، وينطق الحروف التي ألفت منها. فهو مكتوب بلغة الرياضيات ومكوناته هي

المثلثات والدوائر وغيرها من الأشكال الهندسية التي من دونها لا يمكن لبشر أن يفهم منها كلمة واحدة، بل إنه يظل يتخبط في متاهة مظلمة)[١].

وما قاله «نيوتن» يبيّنه ٱللَّه فى قوله:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١ فاطر.

يبيّن أنّ «نيوتن» أدرك بيان ٱللَّه بنظره فى كتاب ٱلحق «الطبيعة». ورأى بما كُتب فقرأ وقال (كتاب الطبيعة مكتوب بلغة الرياضيات ومكوناته هي المثلثات والدوائر وغيرها من الأشكال الهندسية).

وفيما قرأه «نيوتن» من هذا ٱلكتاب يبيّنه قول ٱللَّه. فٱلمقدار ٱلمنفصل (ٱلأعداد ١. ٢. ٣.. وٱلكوانتوم) جُعل مقدارا متَّصلا. منه ما هو معجم على بصر ٱلعين ومنه ما هو عربىّ تبصره ٱلعين. ومن ٱلمقدار ٱلمتصل خطّ مستقيم وزاوية بجناحين (بعدين). ومنه ذات أجنحة ثلاث «مثلث» ورباع «مربّع» وما يزيد.

لكن ٱلنقل لما قرأه «نيوتن» بلسان «اللغة» أبقـاه بعيدا عمّا قاله ٱللَّه عن كتاب ٱلحقّ.

بهذا ٱلدليل لكلمة «تلو» ولكلمة «قرأ». يرى ٱلقارئ ٱلفرق بين ٱلكلمتين. فلا يشركهما فى ٱلدليل. ويدرك أنّ ٱلبيان عن جميع ٱلأشيآء. وجميع أطوارها. هو «قرءان» مُّبين. وأنَّ ٱلذى ينشره بيانًا عربيًّا. هو ٱللَّه ٱلخالق ٱلعليم.

هٰذا ٱلدليل لكلمة «قرأ». أضاعه لغو وتحريف ٱلكافرين من ءابآء «اللغة العربية». ومن شاركهم فى لغوهم وألفه فٱتبعه. فقد جعلوا دليل كلمة «تلو» دليلا

---

(١) عن ترجمة د. عفيفى محمود عفيفى لكتاب إرنست ماير This is Biology / عالم المعرفة ٢٧٧/ ٢٠٠٢.

لكلمة «قرأ». وكلمة «تلو» لا تدل علىَ أكثر من تتبع ٱلكلمات ٱلمتعاقبة فى ٱلسَّطر. سوآء ءكان دليلها مدركًا أم غير مدرك. وهٰذا ٱلعمل هو من أعمال تحريف ٱلكلم عن مواضعه ٱلتى بيَّن ٱللَّه فاعليها:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ ٤١ ٱلمآئدة.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ ٤٦ ٱلنسآء.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ﴾ ١٣ ٱلمآئدة.

فٱلتحريف عمل كافرين قلوبهم قاسية يكذبون. وهو عمل يضلّ عن ٱلحقّ. ويضيّق على ٱلناس سبيل ٱلنظر وٱلإدراك وٱلعلم وٱلفهم.

أما كلمة «جعل». فتدل علىَ إنزال شىء فى وعآء. فيجليه ويظهره فى هيئة جديدة. ومنه ٱسم «جعيلة» لوعآء كبير فى لسان ٱلأميِّن. تنزّل فيه ٱلحبوب وٱللحم لتطبخ وتتحوّل إلى طعام لذيذ. وهٰذا ما يفعله ٱلنظر بإنزال للنور فى وعآء شىء. يتلوا ما فيه ويرى ويعلم. فيقرأ ما علم به ورأىه بقول يبيّن ما فى ذلك ٱلشىء من منافع. ومثله فعل ٱلترجمة[1] لدليل قول من لسان إنكليزىّ. بإزاله فى وعآء لسان فرنسى. ومأربُ ٱلجعلِ. هو ٱلدليل وٱلهداية فىَ إدراك وبيان ذلك ٱلشىء. بتنزيله فى وعآء لسان محول إليه. وهذا ما يفعله علمآء ٱلفيزيآء

(١) ترجم فى ٱلعبرى תרגום.

وٱلبيولوجيا. فيجعلون (ينزّلون ويجلون ويظهرون) ٱلرموز ٱلمُعجمة فى ٱلشىء رموزًا مُّدركة. تدل بلسانهم ٱلأمىّ علىَ أمرٍ يغيب فى ٱلشىء ٱلمنظور فيه. وعلى فعله فى وسم ذلك ٱلشىء بما يميّزه عن ٱلأشيآء ٱلأخرى. ويجرى ذٰلك بجعل ٱلرموز ٱلمُعجمة كلمات مَّنطوقةً ومخطوطة. بلسانٍ يُعرب ويبيِّن ما هو معجم فى ٱلشىء ٱلمبصر. وبه يتطور دليل ٱلشىء ومفهومه.

مثل هذا ٱلجعل. هو ما رأىٰه علمآء ٱلبيولوجيا فى فعل ٱلريبوزومات فى مآء (سيتوبلازما) ٱلعلقة (ٱلخلية). فهى تجعل (تنزّل وتجلى وتظهر) ٱلأحماضَ ٱلأمينيَّةَ ٱلمصفوفة فى شريط ٱلمرسال «د ن ا / mDNA». بروتيناتٍ.

فٱلفعل «جعل» هو وسيلة جَلِي وترجمة (polish & translate) ٱلأمر ٱلعجمىّ إلىَ أمر عربىّ. وٱلَّذى جُعل «قرءانًا عربيًّا». هو عِلم مُّعجَم فى ٱلتكوين على ٱلبشر. وما كان معجما عليهم. هو دين ٱلحقِّ فى هيّئة رموز لمقدار فيزيآء فى ٱلشىء ٱلميِّت. كما قال «جاليلو». ورموز لمقدار بيولوجيا فى ٱلشىء ٱلحىِّ. وفيها هداية للشىء فى تكوينه وفى علاقاته مع ٱلأشيآء ٱلأخرى.

وٱلقرءان ٱلعربىّ هو بيانٌ وتبيانٌ يبدى ويظهر ويعرب ما تدلُّ عليه رموز ٱلأشيآء ٱلمُعجمة. منزّل ومترجم بلسانٍ عربىّ ينطق به ٱلبشر. بقوَّة منهاج معلّم فى ٱلنفس ينفطر منها ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. وقوله يجلى ويظهر ٱلحقّ. يترجمه بلسان عربىّ مُّبين.

فٱلقرءان ٱلعربىّ. هو جعل لرموز مقدار تكوين ٱلأشيآء جميعها بيِّنة بلسان فطرة لا عُجم ولا خفآء فيه. وهو ما يدل عليه تكوين كلمة «قرءان». فهو قرء كلىّ. وبيان مُّطلق. يبلغنا عن جميع ٱلحقِّ فى كلِّ وقت بلسان عربىّ مُّبينٍ.

أمَّا ٱلأشيآء ورموز مقدارها. فهى ٱلتى جُعلت أسمآء. وكلُّ شىء صورتُه فى ٱلأسمآء كلها. وٱلصورة هى ٱلتى عُلِّمت فى قلب ءادم. تنفطر منه صوتا وخطًّا بهيئة مقدار. كما هو ٱلتعليم فى صناعة مناهج كومبيوتر.

فٱلقرءان بيان وتبيان عن ٱلأشيآء ٱلمنفطرة ذات أجنحة مثنى وثلٰث، وربٰع. وعن رموزها ٱلظاهرة لبصر ٱلعين وٱلغآئبة عن بصرها. بلسان فطرة يبديها. ويبيّنها من بداية فطرتهآ إلى عودتهآ إلى بداية جديدة.

وهو وسيلة ٱلعالم ٱلبصير إلى ٱلعقل مع ٱلحقّ ٱلمنظور فيه. وبه سبيل ٱلناظر إلى ٱلعقل مع ما يكشفه نور ٱلنظر وٱلبحث فى سنّة ٱلأشيآء ٱلمفطورة وفى رموزها. وفى ٱلوصول إلى تصديق ٱلبلاغ ٱلعربىّ. وٱلاطمئنان إليه وإلى لسان فطرة ٱلمبعوث فيهم.

وبهٰذا ٱلمفهوم لدليل ٱلفعل «جعل». يتبيَّن أنَّ كتاب ٱللَّه ٱلقرءان. هو جعل (ترجمة) لِّمقدار ٱلعدَّة وقوى ٱلفعل ٱلمُعجمة فى ٱلتكوين ٱلميت وٱلحى (فيزيآء وبيولوجيا). ولسبيل تسوية جميع أشيآء ٱلحقّ. ووسيلة جعله. لسانُ فطرة بشرٍ مَّنطوق ومخطوط.

هذا ما لَغَوَ فيه ٱلكافرون. وهم ٱلمتعلمون من شعرآء وخطبآء وكهان من قوم ٱلرسول. وحرفوه وصنعوا منه لسان تعليم لطاغوت كافرين ومشركين. يضلّ أبنآءهم عن ٱلحقّ ويغلق عليهم سبيل ٱللَّه. وفى ديارهم تهيمن مفاهيم طاغوت. فسق أبنآؤه عن أمر ٱللَّه. ولسان حالهم ٱلكاذب وٱلمقيت «أهل مكّة أدرى بشعابها». وهم ٱلذين لا يدرون أنَّ «مكَّة». لا يدرى بشعابهآ إلا من عَبَدَ ٱللَّه وسلك سبيله. وسار فى ٱلأرض لينظر كيف بدأ ٱلخلق. يتلوا. ويجلى. ويترجم ما نظر ودرس فيه وقرأه كما فعل «نيوتن». وعقل ما قرأه مع قرءان ٱللَّه. وهو ما لم يستطع «نيوتن» فعله.

وعبد ٱللَّه هو ٱلذى يرىَ أنَّ فعل ٱلملكِّ. هو فعل قوّة ساحبة فى ٱلتكوين. تجرى فى ظلام داخل علامة. يكشف عنها بنور ٱلرؤية لنظره ويقرأ ما فى ٱلعلامة ويبينها. ويحنف بما يقوله عنها عمّا قاله ٱلأولون.

ويعلم أن ما يجعل ٱلكواركات مآء سداسى ٱلوجوه. يبقى معجما فى

ٱلظلمات حتى يكشف عنه نور نظر ناظر. فينيره. ويصبحه. ويبينه محوّرًا بلونه ٱلأبيض. كما هو لون ٱلثلج ذو ٱلجزيئات ٱلمكعبة.

لقد صار ٱلتَّصويب للغو وتحريف ٱلكافرين من قوم ٱلرّسول. أكبر من أعمال ٱلنظر. ويأخذ حظها من ٱلوقت.

إلآ أنَّ أعمال ٱلنظر لا تنتظر ٱلتصويب. لما لغو فيه وحرفه ٱلطاغوت وكهنوته. فبعض ٱلناس فى ديار بعيدة عن ديار قوم ٱلرسول. سبيل ٱللَّه مفتوح فى ديارهم. وهم ينصرفون لأعمال ناظرة باحثة عن ٱلحق. فى ظاهره وفى غيبه. تجليه وتترجمه. ولهم فىَ أعمالهم قروء. يرون بها كيف بدأ ٱلخلق فى ٱلغيب وٱلزمان ٱلبعيدين. وهم فىَ أعمالهم يعبدون ٱللَّه. ٱلذى وعظ بٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ولكنّهم يعبدون وأكثرهم لا يخلصون. بسبب غياب للهداية ببيان ٱللَّه فى كتابه «ٱلقرءان» عنهم.

من بعد ٱلعرض لتطور فهم دليل ٱلاسم «مكَّة». ٱلذى يجعله من كلمات بيان ٱلفيزيآء. ٱلموافق لدليل ٱلقول vacuum energy بلسان فطرة ٱلإنكليز. وقد جآء فيه أنَّ إدراك وفهم دليل ٱلاسم. يبدأ من ٱلعربىَ ٱلمشاهد. وينتقل بتطوره إلى ٱلغيب. أرىَ أن يمرَّ عملى على دليل ٱلاسم. بما يتعلق بٱلسلطة فى ٱلمجتمع ٱلذى تديره هيئة تتكون من بعض أفراده.

فهٰذه ٱلهيئة إمَّآ أن تقوم سلطتها بطغوى دين فئة من أبنآء ٱلمجمتع. ولا تخضع للسؤال عمَّا تعمل. فتغلق سبيل ٱللَّه على ٱلناس. ولا تترك لأفراد مجتمعها خيرة فى ٱلرأى وٱلموقف. وتجعل منهم مشركين. وتبكّ من مجتمعها جميع مَن يطلب لنفسه سبيل ٱللَّه.

وإمَّآ أن تقوم سلطتها بشرع معروف من ٱلدِّين فى عهد وميثاق (دستور). بين

جميع فئات مجتمعها. وله تَدِينُ فيما تحكم وتأمر وتنسك. وتحرص على فتح سبيل ٱللَّه للجميع. فيهاجر إليها مهاجرون من جميع شعب ٱلأرض. تمكّهم إلى بطنها وتؤلّف بينهم وبين ٱلأهل.

ودين كلٍّ مِّنَ ٱلهيئتين هو ٱلذى يحدد ٱسمها. فٱلهيئة ٱلتى تتسلط وتطغى بفئتها وتغلق سبيل ٱللَّه على ٱلناس. هى سلطة طغوى تستمد حياتها من أسلوب ٱلمكّ لكلِّ شىء. كٱلمكوس (ٱلضرآئب وٱلرسوم). وٱلسخرة وٱلإكراه على خدمة فى جيشها. وإكراه ٱلناس على ٱتباع دينها ٱلمشرك. وبهذا ٱلمكِّ يغلق على ٱلناس سبيل ٱللّه ويبكّهم مهاجرين فى ٱلأرض.

أمَّا ٱلهيئة ٱلتى تستند فى حكمها وأمرها بين فئات ٱلمجتمع. على شرع معروف من ٱلدِّين. وله تَدين ولا تفسق عليه. ولا تقعد فى سبيل ٱللّه. وجميع ٱلأعمال فى مجتمعها تطوّع. فهى سلطة مدينة يكشف ٱلنور جميع جوانب حياتها وتمكّ مهاجرين إليها.

وٱلسلطة ٱلمَدينة هى ٱلتى تقوم وتدين لعهد وميثاق. فيه شرع قيامها ٱلمعروف. وبه تحكم وتأمر. ولا تأمر بمنكر ولا بإكراه وسخرة ولا بمكوس.

ولأمرها شورى فى ٱلرأى. ولها فى ٱلشورى ٱليوم وسيلة سريعة فى ٱستفتآء للأرآء عبر وسآئل ٱلإعلام ٱلمختلفة.

وحاجتها من ٱلأموال تأتى بها ٱلصدقات.

وٱلدفاع عنها يحدث بتطوع أبنآئها.

لا يدرى ٱبن «اللغة العربية» أنّ ٱلقرءان أحسن حديث. وأنّ فيه بيان لكلِّ شىء:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ ٢٣ ٱلزمر.

وأنّ هذا ٱلحديث هو لمن يدرك ٱلأبصارَ ولا تدركه ٱلأبصارُ.

وأنّ لحديثه كلّ يوم شأن:

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ ٢٩ ٱلرّحمٰن.

ولا يدرى أنّ شأن ٱلحقّ لا سكون فيه. ومثله شأن بلاغه. وفى حديثه يبيّن كيف بدأ وحدث كلّ شيء وكيف يعود.

ولا يدرى أنّ من ينظر ليعلم كيف خُلقت أشيآء ٱلحقّ وكيف تطورت. يرى من أحسن ٱلحديث ما يدركه بصره ويرىٰه قلبه. ومآ أدركه منه ورأىٰه هو ما تشابه له فى ٱليوم ٱلذى فيه نظر وعلم ورأى.

ولا يدرى أنّ مَن يزعم من ٱلناس إدراك أحسن ٱلحديث وتفسيره وبيانه. أنَّه يزعم بٱلمثل لمن يدرك ٱلأبصارَ ولا تدركه ٱلأبصارُ.

ٱلذكر وٱلفكر وٱلعقل وٱلفهم وٱلفقه وٱلصدق وٱلكذب وٱلإيمان وٱلكفر وٱلفرح وٱلحزن وغيره من ٱلأفعال ٱلمرتبطة بٱلمفاهيم. جميعها تحدث فى ٱلقلب. ولدى ٱبن ٱللغة تحدث هذه ٱلأفعال فى ٱلدماغ.

وترد إلى ٱلفؤاد ٱلمشاعر من جميع شعآئر ٱلجسم وعددها كثير. وهذه ٱلمشاعر هى ٱلحواسّ ٱلخمس لدى ٱبن ٱللغة.

وكلّ من ٱلفؤاد وٱلقلب فى جوف ٱلصدر وهو ٱلرأس. ولدى ٱبن ٱللغة كلاهما واحد. وٱلصدر لديه هو أعلى ٱلبطن.

ٱلصلوٰة وسيلة مصلٍّ يقيمها ويقوم إليها ويقربها. وبها يسمع ويبصر ويشهد ويعلم ويملك ويؤمن ويقوى ويحيط ويحصى. ولدى ٱبن ٱللغة هى حركات للجسم يرافقها صوت لقولٍ.

ٱلسّجود ٱسم لطاعة ٱلأمر. ومن ٱلسَّاجدين ٱلدَّوآبِّ وٱلملـٰٓئكة لا يستكبرون «يفعلون ما يؤمرون». ولدى ٱبن ٱللغة هو ملامسة ٱلجبين للأرض.

ويسجد من نفخ ٱللّه فيه من روحه طَوعًا وكَرهًا. وليس لدى ٱبن ٱللغة أىّ ذكر لمفهوم ٱلطَّوع ومفهوم ٱلكَره.

وٱلساجد طَوعًا يطيع ٱلأمر ولا يتمرّد ولا يفسق بما نظر فى ٱلحقِّ وعلم منه. ولسجوده ٱلطَّوعىّ ٱسم ركوع «فٱركعوا مع ٱلرَّاكعين».

فسجد لخضوع من دون إرادة. وكل شىء يسجد نجم وشجر وحجر وبشر.

وركع لخضوع بإرادة. وهذا لإنسان يسأل ويفكر ويعلم ويقول. وإن كان ما يفعله يختلف عمّا يقوله «لما تقولون ما لا تفعلون». فعليه أن يصيطر على ما يفعله. وعليه أن يحميه من ٱلسجود لما تعوّد عليه. فجسمه يسجد لما تربّى عليه. وعليه أن يهيمن على ما تعوّد على فعله. فيجعل سجود فعله يتبع ركوعه.

وٱلركوع لدى ٱبن ٱللغة هو خرّ على ركبتيه.

ٱلزَّكُوٰة ضدّ للطغيان وٱلكفر. وهى ٱلعمل ٱلمطلوب من ٱلمصلِّى ٱلمالك ٱلمؤمن ٱلقوىّ. ولدى ٱبن ٱللغة مال يدفعه ليحلّ مالا سرقه.

ٱلحجّ ٱسم لمفهوم ٱلحِجَّة فى جدال. وهو قول مبيّن للحقّ يقطع ٱلجدل. وكلّ ما يتعلّق بٱلحجّ هو من ذلك ٱلمفهوم. وعند ٱبن ٱللغة هو زيارة للبيت ٱلعتيق.

لقد أسكن إبراهيم من ذريته فى واد غير ذى زرع. وهو مكان غير مأهول بمن يعلمون ويخبرون بوسيلة ٱلزرع وٱلحصد وٱلحكم وٱلأمن. وطلب أن تهوى قلوب من ٱلناس إليه. فيهاجرون إلى ذلك ٱلوادى وفيه يزرعون ويرزقون من ٱلثمرات ويعمرون. وبيّن له ٱللّه سبيل ثقة ٱلناس بٱلهجرة إليه:

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ٢٧ ٱلحَجّ.

فأقام إبراهيم بيتًا للحكم فى ذلك ٱلوادى. وكان هو ربُّ ٱلسلطة فى ذلك ٱلبيت. وهو واضع شرعها ٱلمعروف فى صحفه. وممَّا بيّنه له ٱللّه. أن يعلن ويثبّت فى ٱلشرع إذنًا مقرونا بحجّة يصدّقها ويثق بها ٱلناس حتى يهاجروا إلى ذلك ٱلوادى. فيأمن ٱلمهاجر على نفسه وماله إن قبل ٱلهجرة إلى واديها. وبمثل

هذا ٱلشرع يثق ٱلناس ويأتون بكلّ ٱلوسآئل ومن كلِّ شُعب ٱلأرض. وبهم يعمر ٱلوادى ويرزق أهله من ٱلثمرات. وهذا ما فعله ٱلمهاجرون ٱلأولون إلى أمريكا. وشرعهم ٱلمعروف ما زال إلى ٱليوم يؤذّن فى ٱلناس بٱلحجِّ. وللهجرة إلى أمريكا مواقع «إنترنيت»[1] تحرّض ٱلناس ليهاجروٓا إليها.

فٱلقول لإبراهيم «أَذِّن فى ٱلناس بٱلحجِّ». فيه نصح بٱطلاق ٱلإذن فيهم بوسيلة واحدة. هى ٱلبيّنة ٱلتى تحجّ. فلا يكون فيهم إذن للظنون وٱلوهم وقول ٱللغو من دون بيّنة تحجُّ وتلغى ظنونهم وخوفهم.

وٱلطلب «أَذِّن» هو لرسول. وكلّ رسول حاكم وكاتب لشرع من ٱلدِّين. به يقوم ٱلدِّين ويقوم حكمه وأمره وقضيه. وما هو مطلوب من ٱلرّسول فيما يشرّعه ليقيم ٱلدِّين. هو ٱطلاق قوّة ٱلسؤال وٱلنظر وٱلبحث فى ٱلناس للعلم بٱلبيّنة. وليس ٱطلاق لأوامر ٱلمنع وٱلإكراه وٱلكفر.

هذا بعض من لغو وتحريف ٱلكافرين من قوم ٱلرّسول. وبلغوهم صنعوا دينا وأطلقوا عليه ٱسم «ٱلصَّابئة». وتظهر صناعتهم فى تفسيرهم للبلاغات ٱلتالية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٩ ٱلمآئدة.

---

(١) http://www.facinghistory.org/resources/collections/immigration?_kk=immigration&_kt=3ddc96ac-0b96-4883-f66-c4c5fc9cd465&gclid=CJzN0M7Z1bgCFQKWtAodJxoAsg

و:

http://www.green-card-lottery-usa.org/green_card_arabic.asp

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١٧ ٱلحج.

فجآء عند ٱلمفسرين[١] أنَّ أهل مكّة:

(يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابه هَؤُلاءِ الصَّابِئُونَ وكانوا يَنْبِزُونَ مَنْ أَسْلَمَ بِالصَّابِئِ أَيْ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ سَائِر أَدْيَان أَهْل الأَرْض)[٢].

وجآء فى قول ٱلقرطبى:

(ٱلصَّابئ مَنْ خَرَجَ وَمَالَ مِنْ دِين إِلَى دِين، وَلِهَذَا كَانَتْ الْعَرَب تَقُول لِمَنْ أَسْلَمَ قَدْ صَبَأَ).

وجآء فى سيرة «ٱبن هشام» بيان لدليل ومفهوم كلمة «صبئ» فيما ذكره عن موقف «عمر ٱبن ٱلخطاب»:

(قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل أني قد أسلمت: ودخلت في دين محمد؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ).

يدلّ ٱسم «صابئ» على موقف إنسانٍ مِّن مَّسألةٍ. أو مسآئل مختلفة. كٱلعهد وٱلطغوى ومسئولية ٱلفرد وٱلقعود فى سبيل ٱللَّه. ويطلق هذا ٱلاسم فىَ أىِّ وقت. على كلِّ مَن يحتجُّ ويعترض على سبيل ٱلطاغوت ومفاهيمه ٱلمظلمة فى دياره. فإن لم ينفع ٱلاحتجاج وٱلاعتراض. يتبرّأ ٱلصَّابئ من ٱلطاغوت ومن سبيل ٱلطغوى فى دياره. ويهاجر فى ٱلأرض كما فعل «إبرٰهيم».

وبهجرته يكمل موقفه. وبكمال موقفه يزول ٱحتجاجه وٱعتراضه. ويتغير

---

(١) ٱبن كثير وٱلطبرى وٱلقرطبى.

(٢) تفسير ٱلأية ٦٢ من سورة ٱلبقرة - ٱبن كثير.

ٱسمه من «صابئ» إلى «مهاجر». ويشرع ببنآء طُور عيش يناسب موقفه ٱلجديد.

هٰذا ما حدث للرسول «محمد» ولأتباعه ٱلصّابئين فى مكّة. فقد كان أهل مكّة يطلقون ٱسم «صابئ» عليهم. بسبب ٱلاحتجاج وٱلاعتراض على حدود ٱلمفاهيم ٱلمهيمنة علىٰ أهل مكّة. ٱلتى منعت ٱلطغوى فيها. ٱلدعوة إلى حكم مَدين بشرع معروف لا طغوى فيه يفتح سبيل ٱللّٰه للناس.

وما ذكره «ٱبن هشام» وما قاله ٱلمفسرون. يبيّن دليل هٰذا ٱلاسم بلسان ٱلأميّن. إلآ أنَ ٱلتعبيد بٱللغو وٱلتخريص أضاعه. فظهر فى تفسيراتهم أنّ ٱلصَّٰبئين أصحاب دين يحمل هٰذا ٱلاسم. فيقول ٱبن كثير:

(أما الصابئون فقد اختلف فيهم).

وأورد مجموعة من أقوال متخالفة ومتناقضة:

(لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم،.. إنهم كالمجوس،.. إنهم يعبدون الملائكة،.. إنهم يصلون إلى القبلة ويصلون الخمس،.. إنهم يقرأون الزبور ويصلون للقبلة،.. إنهم قوم مما يلي العراق يؤمنون بالنبيين ويصومون ثلاثين يوماً،... إنهم يعرفون اللّه وحده وليست لهم شريعة يعملون بها،.. هم أهل دين من الأديان،.. وهم قوم يشبهون النصارى إلاَّ أن قبلتهم نحو مهبّ الجنوب،.. إن دينهم مركب بين اليهود والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم)[1].

وتابع ٱبن كثير يقول رأيا يشرك غيره فيه:

(وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتنونه، ولهذا كان المشركون ينبزون من

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

أسلم بالصابئ، أي أنه خرج عن سائر أديان الأرض إذ ذلك. وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي، والله أعلم)[١].

ومَن ينظر فى هٰذه ٱلأقوال سيرى فيما قاله ٱلمفسرون. أنَّهم لم يدركوا قول «أهل مكّة» ٱلذين كانوا «ينبزون من أسلم بالصابئ». وضاعوا فى تخريص ٱلقول عن ٱلصّابئين. فأهل مكّة كانوا يطلقون ٱسم «صابئ». بلسان فطرتهم على كلِّ من ٱحتجَّ وٱنشقَّ عن دين مكَّة[٢]. ولم يضيعوا فى ٱستعمال ذٰلك ٱلاسم. كما ضاع ٱلمفسرون ٱلمتعلمون وخرّصوا تخريصا.

لقد قامت فيَ إمبراطورية ٱلروم ٱلمتأخرين سلطة طغوى لطاغوت كهان ٱلمسيحيين. وكان فى ٱلإمبراطورية مثل هٰذا ٱلموقف ٱلصَّابئ لقرون متعددة[٣]. وكان فى ٱلقسم ٱلأوربىّ أصحاب لهٰذا ٱلموقف ٱلصَّابئ وأكثرهم تأثيرًا. وهم ٱلذين ٱشتهروا بٱسم ٱلبروتستانت Protestant. ٱلذى يدل على ٱلاحتجاج وٱلاعتراض وٱلانشقاق بلسان لاتينى.

وكما حدث وهاجر أكثر ٱلصَّابئين فى مكَّة إلى يثرب. فقد هاجر أكثر ٱلصَّابئين «ٱلبروتستانت» من طغوى أوروبآ إلىَ أمريكا ٱلشمالية. وأقاموا فيها حكومة ٱلولايات ٱلمتحدة فى هيّئتها ٱلفيدرالية. وبقى ٱسمهم إلى يومنا هٰذا. على ٱلرغم من زوال ٱلحاجة إليه من بعد ٱلهجرة.

فٱلذى يهاجر من دياره بسبب ٱلطغوى. يسبق موقفُهُ ٱلصَّابئُ هجرته. وهو من بعد ٱلهجرة يصير مهاجرًا ويترك ورآءه موقفه ٱلصَّابئ. كذٰلك يترك ٱسمه كمحتجٍّ ومعترض ومنشقّ «بروتستانتى» Protestant.

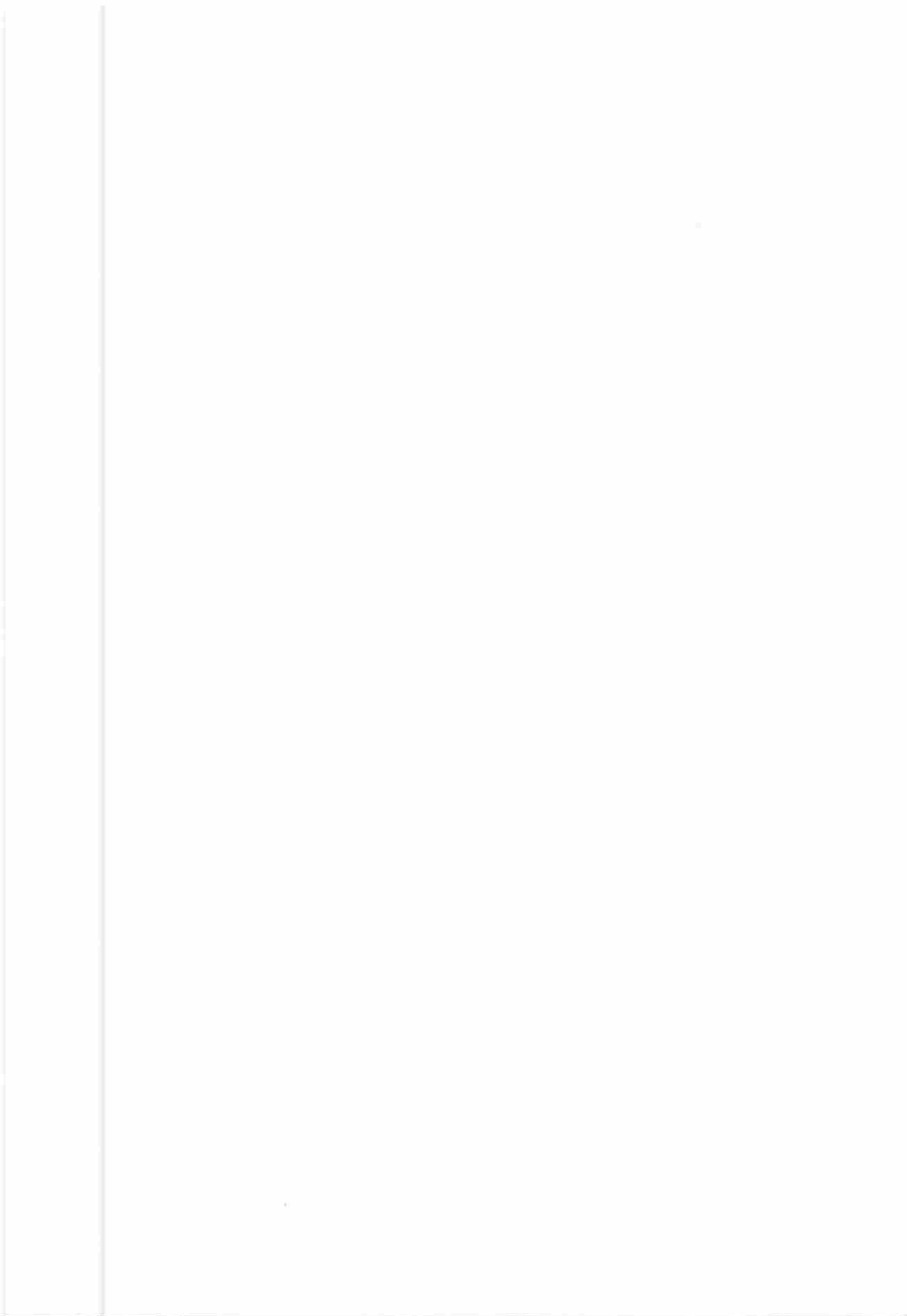
---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

(٢) دين مكّة هو ما ورثوه من حقٍّ فى مواقع ٱلسلطة. عن قصىّ ٱبن كلاب مؤسس دار ندوة يجتمع فيها رؤسآء قبآئل مكّة.

(٣) صابئة حرّان وصابئة نجران.

هٰذا ٱلمفهوم لم يدركه ٱلمفسرون على ٱلرغم من ذكر أهل مكّة له. فٱلصّابئون في مكّة تبدل ٱسمهم إلى مهاجرين في يثرب. وشارك بعضهم في قيام سلطة مدينة فيها بعهد وميثاق بين ٱلناس ومن دون إكراه.



ٱلنفس مسئولة عن سبيلها

يبيّن قول ٱللّه أنّه خلق ٱلبشر وسوّاه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ . . (٢٩)﴾ ٱلحجر.

وأنّ ٱلبشر ٱلْمُسَوَّى نفس وفيها منهاج ملهم:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨)﴾ ٱلشّمس.

وبٱلمنهاج تفجر ٱلنفس من سكونها. تسعى تلتقط طعامها وشرابها وتقتل وتفسد فى ٱلأرض. وبه تتقى خطرا يهددها. فتهرب منه وتعود إلى سكون فى مأمن يحميها.

وأنّه نفخ فى نفس ٱلبشر من روحه:

﴿. . وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩)﴾ ٱلحجر.

وبيّن أنّ «من روحه» أمانة لدى ٱلبشر. وله بها سبيل يختاره وهو عنه مسئول:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ٧٢ ٱلأحزاب.

وفى قوله هذا يبيّن للنفس. أنها كانت قبل حمل ٱلأمانة بشرا ظلوما جهولا من ٱلدّوآبّ ٱلوحشيّة. تفسد فى ٱلأرض وتسفك ٱلدمآء. وبحمل ٱلأمانة صار فيها

قوّة رَوحٍ ورَيحَان يجعلها «إنسانا». وعليهآ أن تصلح فى ٱلأرض ولا تفسد ولا تسفك ٱلدمآء.

وبيّن للنفس أنّ فيها منهاج «جِنٍّ» ملهم. وبه كانت تحيا دآبّة تفجر وتتقى. وأنّ هذا ٱلمنهاج ما زال فيها. وعليها بما نُفخَ فيها من أمانة. أن تنير وتعلم بما فيها. وأن تخضع فجورها وتقوٰها لما لديها من أمانة. وحذّرها من منهاج «إبليس». وهو منهاج يوصل بين منهاج ٱلجِّنِّ ٱلملهم. وبين منهاج ٱلرُّوح ٱلمنفوخ. وله قدرة على قطع ٱلوصل:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ ٱلحجر.

ولمنهاج «إبليس» فعل فى ٱلنفس. يختبرها فى ذكرها للأمانة. وما لها بها من سبيل. وإرادتها ٱلإخلاص لحملها ورَوحِها ورَيحَانها. أو حبس ٱلأمانة ونسيانها. فإن نسيت ٱلنفس ما لديها من أمانة. يغويها «إبليس» عن ذكرها. ويزيّن لها ٱلعبادة بمنهاجها ٱلمهلم فيجعلها «جَآنّ». وبه تفجر وتتقى كما كانت عليه من ظلام وجهل.

ٱسم «جِنّ» لمنهاج دينٍ خفىّ ملهم فى نفس كلِّ دآبّة. وبه تفجر فتهتزّ وترعد (تنطلق من سكونها باحثة عن طعام فتجرح وتعضّ). وبه تتقى فتشمس وتجنّ (تلبط وترفس تدفع ٱلخطر عنها وتهرب وتختفى فى كور). وهذا ما رأيته فى كَلِمِ ٱلكلمة. فٱلجملون «ج». هو بنآء ثلاثىّ ٱلأبعاد لنفسٍ حيّة. تفعل ولا تفسق بدين له علامة data نارية يبيّنها داش ٱلحيريق[1] «جِ» ٱلملهم فيها. وما تفعله نفس ٱلدّوآبِّ بهذا ٱلدين. يُسطَّر فى حوتٍ «نّ». تعلوه قوة رعديّة شديدة (ّ). يبيّن ٱلدّرس فيها. كيف يفجر ٱلجملون فيهتزّ ويرعد. وكيف يتقى فيشمس ويجنُّ.

---

(١) داش ٱلحيريق هو كسرة فى «اللغة». ولفعل هذا ٱلداش شبه فى طباعة ٱلحرق burn على CD.

ولمَن يغويه «إبليس» من ٱلبشر ٱسم «جَآنّ». وهو جملون محكوم بعلامة دينِ داش ٱلفتَّاح «جـا» لمنهاج غواية «إبليس». وبظلام وجهل قلب هذا ٱلجملون. ينفتح منهاج دين غواية «إبليس» فى نفسه. فتنطلق منها قوّة خفيّة عليه. وتفجر بثور «ا» طليق لا قيد عليه. بل فوق ٱلثور قوّة تأييد ومدّ لثورته «آ» بدين ٱلغواية ٱلمفتوح:

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ ٧٥ مريم.

وتسطّر أفعال هذا ٱلبشر فى حوت. يبيّن ٱلدرس فيما سُطِّر فيه. كيف يفجر فيهتزّ ويرعد. وكيف يتقى فيشمس ويجنُّ. كما تفعل نفس ٱلدّوآبّ.

وٱلنفس مسئولة عما تختاره من سبيل. فلهآ أن تعبد ٱللَّه وتخلص فى عبادتها له. أو تفسق عليه وتنسى ما لديها من أمانة:

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨ ٱلمدّثر.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ٤٨ ٱلبقرة.

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ٢١ ٱلطور.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ١٦٤ ٱلأنعام.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٢٨١ ٱلبقرة.

ووعظ ٱللَّه ٱلنّفسَ بٱلتمسك بمسئوليتها ٱلشخصية فيما تعلمه وتتبعه من سبيل:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

وحذرها من طاعة أكثر مَن فى ٱلأرض:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

وما يبيّنه قول ٱللَّه للنفس. أنّ أكثر مَن فى ٱلأرض. يعبدون ما يألفُون من موقف وقول وإيمان. لجمع منهم فى حزب أو قوم أو طآئفة. يشركون بعضهم فى ٱلمسئولية عمَّا يعبدون. فيغويهم «إبليس». ويضلّهم عن سبيل ٱللَّه. فينسون ما لديهم من أمانة.

وما يبيّنه للنفس أنّها واحدة. وهى وحدها ٱلمسئولة عمّا تريد وتعمل وتقول. وأنّها مسئولة عن حقّها فى ٱلحيوٰة. وفى ٱلاكتساب. ومسئولة عن حريتها فى كلّ أمر. فإن عبدت ٱلنفس ما تأمر به سلطة طغوى لجمع مشرك. ذهبت إرادتها وذهبت حريتها. وبقيت مسئوليتها عن ٱلأمانة وعن إخلاصها فى عبادة ٱللَّه.

وما يبيّنه قول ٱللَّه للنفس. أنّ حقّها بٱلحيوٰة هو مسئولية ٱلناس جميعا:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ ٣٢ ٱلمآئدة.

وهذا ٱلبيان هو للناس وليس لقوم أو طآئفة أو حزب. وٱلناس ٱسم لنفوس كلّ منها مسئول. لا يشرك فيما يألفه أىّ جمع. ويتبرّأ منهم وممَّا يعبدون. وينوس عنهم يهاجر فى ٱلأرض. وفيه ٱلبيان أنّ قتل نفس من دون نفس. هو حقّ للناس جميعا ومسئولية عليهم. لا يتوقف عند حدود ديار. لا بزعم وطنية. ولا بزعم قوميّة. ولا بزعم سياسة ولا دين. وقد عمل بعض ٱلعالين من ٱلناس فى ٱلأرض على هذا ٱلحقِّ بما عليهم من ٱلمسئولية. وأسسوا محكمة جزآء تطلب من ٱلقاتل حقّ ٱلنفس ٱلتى قَتَلَ. سوآء كان ٱلقتل موتا لهآ أم كان قتلا لإرادتها.

ولم يترك ٱللَّه ٱلقاضى فى هذه ٱلمحكمة. من دون بيان له كيف يكون ٱلجزآء لِمَن يسعى فى ٱلأرض ظلما. يحارب ٱلنور وٱلدعوة إليه. ويمنع ٱلنفقة فيه. ويفسد فى ٱلأرض:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ

لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ ٱلمآئدة.

ويبيّن له حاجته إلى بيّنات تحدد له ٱلحكم بٱلجزآء ٱلكريم[1]. على من يقتل نفسا بغير نفسٍ. وعلى مَن يحارب ٱلنور وٱلدعوة إليه. ويفسد فى ٱلأرض.

ومن بعد صدور حكمه. يبقى عذاب ٱللَّه ٱلعظيم فى ٱلأخرة. لكلٍّ من ٱلقاتل وٱلمحارب للنور وٱلدعوة إليه وٱلمفسد فى ٱلأرض. لكفرهم بهذا ٱلحقّ وسعيهم ورآء ٱلترف:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ٣٦ ٱلمآئدة.

أما ٱلذى يتوب منهم من قبل أن تطلبه ٱلمحكمة. فلهآ أن تغفر له وترحمه كما يغفر ٱللَّه ويرحم:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٣٤)﴾ ٱلمآئدة.

لقد بين ٱللَّه لعباده ٱلمخلصين أنّ ٱلأرضَ للَّهِ. وهى واحدة لا تقسيم للحقِّ فيها. وأنّها كلّها مفتوحة أمامهم وأمام حقهم فى ٱلحيوٰة:

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ٥٦ ٱلعنكبوت.

وفى هذا ٱلبيان نقض لمفهوم لغو ٱلكافرين عن «الوطنية». إذ يظنون أنّ كلمة «**وطن**». وكلمة «**مواطن**». تدلاّن علىَ إنسان وعلى مكان عيشه وعلى حقوق له. وبظنهم يجهلون بما بيّنه ٱللَّه للمؤمنين عن كلمة «**مَوَاطِنَ**» وعمَّا تدلّ عليه. فٱلكلمة تدلّ على بقع كثيرة من ٱلأرض. صارت مع أهلها تحت أقدام مَن نصرهم ٱللَّه. يسجدون للمنتصر كما تسجد ٱلانعام يفعل بهم ما يشآء:

---

(١) ٱلأمر وٱلشىء ٱلكريم. لا زيادة ولا نقص فيه. وٱلكريم هو وصف لمن ينفق فلا يبخل ولا يبذّر. فٱلكريم ٱسم لمن يكون على ٱلصِّراط ٱلمستقيم بين ٱلبخل وٱلتبذير.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ٢٥ ٱلتَّوبَة.

وبتأثير ٱلباطل يستنفر ٱلعابدون لمفهوم «الوطن». إلى ٱلقتال فى سبيل باطل. وهم لا يدركون ما جآء فى كتاب ٱللّه. من بيان لدليل ومفهوم لكلمة «مَواطِن».

وأذكر ما جآء من قول لقوم ٱلرّسول عن كلمة «وَطَن» فى «معجم لسان العرب». وفيه قول لغو للمتعلمين ٱلسّلف من ٱلقوم «قريش» وٱلأعراب:

((وطن) الوَطَنُ المَنْزِلُ تقيم به وهو مَوْطِنُ الإنسان ومحله).

وفيه قول عربىّ للأميّن بلسان فطرتهم:

(أَوْطانُ الغنم والبقر مَرابِضُها وأَماكنها التي تأْوي إليها. قال الأَخْطَلُ:

كُرُّوا إلى حَرَّتَيْكُم تَعْمُرُونَهُمَا كما تكُرُّ إلى أَوْطانها البَقَرُ).

وفيه قول أخر للمتعلمين ٱلسّلف يحمل مفهوم لسان فطرة ٱلأميّن وينقض ما سبق من لغوهم:

(تَوْطِينُ النفس على الشيء كالتمهيد (ابن سيده) وَطَّنَ نفسَهُ على الشيء وله فتَوَطَّنَتْ حملها عليه فتحَمَّلَتْ وذَلَّتْ له. وقيل وَطَّنَ نفسه على الشيء وله فتَوَطَّنَت حملها عليه. قال كُثَيِّرٌ:

فقُلْتُ لها يا عَزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ).

وما ورثه ٱلمتعلمون ٱلخلف وعُبِّدوا به هو مفهوم قول ٱللغو:

((وطن) الوَطَنُ المَنْزِلُ تقيم به وهو مَوْطِنُ الإنسان ومحله).

وأَغفَلَ ٱلتَّعبيدُ مفهوم قول فطرة لسان ٱلأميّن.

فٱلوطن بلسان فطرة ٱلأميّن هو مكان تحبس فيه ٱلغنم وٱلبقر. وفيه تعبّدٌ بدينٍ يذلّل نفورها ويقهر وحشيتها ٱلتى كانت عليه فى ٱلبرّية. ولهذا ٱلمكان فى لسان

ٱلأميِّن ٱسم «زريبة». يبيّن أنّ ٱلوطن بيت للدَّوآبِّ. وفيه تزرب بولها وروثها زَربًا علىَ أجسامها.

وما ورثه ٱلمتعلمون ٱلخلف وعُبّدوا به. سجّله «مجمع اللغة العربية» فى (المعجم الوسيط). من دون أن يكون للمسجلين رأى مسئول. يفرّق بين منزل ٱلإنسان ٱلمحوّر[1] وٱلمنبعث منه ٱلنور. وبين مواطن ٱلغنم وٱلبقر. وبهذا ٱللغو فى ٱلمنزل وٱلمَوطِن. عُبِّدَ ويعبَّد ٱلأهل فى ديار قوم ٱلرّسول تربية وتعليما وتقتل به إرادة ٱلنفس. وترى لبيوتهم مزاريب تزرب منها ٱلمياه ٱلخبيثة فوق ٱلمآرّة فى شوارعهم.

لكلمة «مَوَاطِنَ» فى ٱلقرءان. دليل ومفهوم لسان ٱلأميِّن. وهم مَن بعث ٱللَّه فيهم رسولا منهم:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ٢ ٱلجمعة.

فٱلكلمة فى ٱلقرءان بدليل ومفهوم لسان فطرة ٱلمبعوث فيهم. وليس بلسان ٱلمعبدين تربية وتعليما من قومه أو غيرهم. وبه يزكّى ٱلأميِّن ويحى أنفسهم. ويعلمهم ٱلكتاب وٱلحكمة. ويهديهم إلى سبيل ٱلنُّور وٱلعلم فى ٱلحقِّ.

فى ٱلقرءان كلمة «دِيَار» لمكان وفيه «أهل» يسكنون. وتدلّ ٱلكلمة على بقعة من ٱلأرض لها حوض ومحيط يحدّه. ولكلمة «أهل» فى لسان ٱلإنكليز مبادل بكلمة inhabitant.

أما كلمة «مواطن». بما لها من دليل ومفهوم ٱلخضوع وٱلقهر وٱلذلّ. فٱلمبادل لها هو كلمة subdue.

---

(١) ٱلمنزل ٱلمحوّر له لون أبيض بتحويره بٱكلس.

وهذا ما لا يدرى به ٱلمعبّدون تربية وتعليما بلسان «اللغة العربية». فيبادلون كلمة «مُواطِن» بكلمة citizen. ويغفلون عن دليل ومفهوم كلمة «مُواطِن» وعن دليل ومفهوم ٱلكلمة ٱلمبادلة subdue.

كما لا يدرون أنّ كلمة citizen لوصف مَن يَأهَلُ inhabitant ويقيم سكنه فى ديار فيها ناس وحكومة. وأنّ كلمة «مُواطِن» تبيّن مفهوم ٱلخضوع وٱلقهر وٱلذّلّ subdue. ولا تبيّن مفهوم ٱلأهل.

وبسكوت «أهل» دِيَار قوم ٱلرّسول على وصف ٱلفرد منهم بكلمة «مُواطِن». وعلى وصفهم جميعا بكلمة «مُواطنين». وبكلمة «رعيّة». يظهر جهلهم بما يوصفون أنفسهم ٱلمقتولة به من خضوع وتذليل وقهر.

وفى ديارٍ يُعبَّد أهلها تربية وتعليما بمفاهيم ولسان لغو ٱلكافرين ٱلدَّيَّارين (لسان ٱلمتعلمين ٱلشعر وٱلكهّان من ٱلسّلف ولسان تعبيد ٱلخلف). يطغى ٱلظلام وٱلجهل على قلوب ٱلعبيد. بما يألفون من مفاهيم لغو عن «وطنيّة» لا تبيّن سوى ذلَّ ٱلمعبدين بها. وجهلهم أنّ ٱلدَّيَّار فى كتاب ٱللَّه هو «الوطني» بلسان لغو ٱلكافرين. وجهلهم أنّ ٱلحاكم ٱلكافر ٱلدَّيَّار. هو مَن يضع شرعا لدياره بمنع به. ويغلق جميع مواقع ٱلسلطة وٱلعلم فيها. علىَ أيِّ إنسان يهاجر إليها ويقيم سكنه فيها. ويحصر تلك ٱلمواقع علىَ أبنآء دياره. ولو كانوا من ٱلجاهلين. وأنّ قلب هذا ٱلحاكم. ظلوم جهول أعمى عن مفهوم «ملَّة إبرٰهِم» ٱلإنسان ٱلمهاجر. وعن مفهوم ٱلخليفة فى ٱلأرض. فلا يدرىَ أنّ «إبرٰهِم» إنسان سأل ونظر ورأى وعلم. فحوّر بقع ٱلظلام فى نفسه. وحنف عمّا عُبّدَ عليه بتربية وتعليم قومه. وتبرّأ منهم وممَّا يعبدون. وناسَ مهاجرا فى ٱلأرض يسأل وينظر ليرى ويعلم بٱلحقِّ ٱلمفطور ودينه. وليعلم بسبيل ٱلزرع لوادٍ غير ذى زرع. يسكن فيه ويقيم ٱلأمن فى ملك صالح وطيِّب بشرع معروف. يقرى ويأهَلُ مَن تَهوى قلوبهم ويهاجرون إليه من جميع شُعَب ٱلأرض. يطعمون فيه من جوع ويؤمنون من خوف:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ (٤)﴾ قريش.

أضاع ٱلكافر ٱلدَّيَّار ما فيه من أمانة. حوّرت ما كان عليه قلبه من ظلم وجهل. ونسيَ ما عليه من مسئولية حفظ تلك ٱلأمانة. وخسر ما فيها من قدرة على ٱلرَّوح وٱلرَّيحان وتوسيع بقعة نور ٱلرؤية فى قلبه.

وبطغوى تعبيده لأهل دياره. بلسان ودين ٱللغو ومفاهيم ٱلوطنيّة لقوم وشريعتهم ٱلثابتة. غفلوا عن ٱلأمانة. وعن حفظها وحفظ فعلها ٱلمنير. وصار ٱلمتعلمون منهم. جمع «مثقّفين» كافرين ديّارين. قلوبهم ظلومة جهولة. يعبدوه فيفجرون «جآنّ». يقومون فى وجه كلّ مَن يدعوهم إلى حوار فيما يظنُّون بثباته. ولا يحاورون ولا يحوّرون أمرا.

و«ٱلمثقّف ٱلدّيَّار». هو مَن ثَقَفَ ٱلتَّعبيد فى دياره بلسان لغو ٱلكافرين ٱلدَّيَّارين وشرعهم ٱلمنكر[1] على قلبه فأظلمه. ومسكه عن ٱلنظر وٱلعلم وٱلحوار. فدليل ومفهوم كلمة «ثَقَفَ». هو إدراك ٱلشيء ومسكه وٱلقبض عليه. وهو فعل ٱلقبض على ملعونٍ (مطارد) فى قول كتاب ٱللَّه بلسان ٱلمبعوث فيهم:

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ١٩١ ٱلبقرة. (ٱقتلوهم أينما قبضتم عليهم كما تقتلون ٱلوحوش).

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ ١١٢ ءال عمران. (يذلُّون أينما قُبضَ عليهم كما تُذَلُّ ٱلوحوش).

---

(١) ٱلمنكر ضدّه ٱلمعروف. وٱلمعروف هو لكل ما كمل ٱلعلم به وصار له نظرية تعرّف به. وٱلمنكر هو كل مجهول لم يعلم به ولم يعرّف. ومنه ٱلقول «يأمرون بٱلمعروف وينهون عن ٱلمنكر». فهو أمر يستند إلى ٱلمعروف ولا يستند إلى ما هو مجهول.

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ ٦١ ٱلأحزاب. (مطاردين حتّى يقبض عليهم ويقتلون ولا يحاكمون كما يحاكم ٱلإنسان).

وقلب «ٱلمثقَّف ٱلدَّيَّار» ممسوك عن ٱلحوار بلغو لسان ٱلكافرين ٱلدَّيَّارين وشرعهم ٱلمنكر. وينصر مآ ألفه من مفاهيم ٱلذّلِّ وٱلهُون. يظنّ بعلوٍّ بها وبثبات لها. ولا يذكر قول ٱللّه لمن يؤمن به ويعبده. أنّ «كلُّ شىء هالك». ولا يسأل ولا يسير فى ٱلأرض لينظر ويرى ويعلم كيف بدأ ٱلخلق. ولا يفكّر بحوار فيما يظنّ بعلوّه وبثباته. ويقوم بقلبه ٱلممسوك عن ٱلسؤال وٱلنظر وٱلعلم وٱلحوار. إلى قتال مَن يدعوه إلى ٱلحوار بقلب طليق ٱلرَّوح وٱلرَّيحان. ينكر عليه ٱلسؤال وٱلنظر وٱلعلم وٱلحوار. فيما يظنّ بعلوّه وثباته. فلا يدرىَ أنّ قلب مَن يدعوه إلى ٱلحوار. طليق ٱلرَّوح وٱلرَّيحان. يعمل على ٱلتأليف بين أفكار ومفاهيم. نشأت بسؤاله وسيره فى ٱلأرض لينظر ويحوّر ويعلم كيف بدأ ٱلخلق. ويعلم أنّ ما نشأ من مفاهيم هالك بعد حين ونظر. وبكمال ٱلتأليف فى قلبه لما نشأ من مفاهيم. يخطّه فى مقال وكتاب. معرّفا له بلسان فطرته. ويعلنه أمام ٱلناس يحاورهم بما فيه.

ولمَن يؤلِّف بقلب مؤلِّف ٱلمناهج ٱسم «مؤلِّف». وهو فى كتاب ٱللَّه من «ٱلمؤلَّفة قلوبُهم» فلا مناهج وتربيّة متنافرة فيها. وهو ليس من ٱلمثقوف على قلوبهم. بل هو عبد لسيد مالك ملك قُدُّوس سلام مؤمن. خلق وسوّى وألهم ونفخ من روحه. وٱلعبد يطيع أمر سيّده ولا يفسق عليه. ولا يُشرك أحدًا فىَ أمره. ومَن يعبد ٱللَّه يطيع أمره. فيسير فى ٱلأرض ينظر كيف بدأ ٱلخلق ويقرأ بٱسم ربه. فيكتسب علما ورؤية. ويحنف عمّا كان عليه من عمل وفكر وموقف بما ٱكتسب. فلا يثبت ويوثن على مفهوم. ولا يشرك أحدا فيما يكتسب. وما علم به يقينا من بعد تكرار ٱلاختبار. يعبده ولا يفسق عليه.

ويرى عبد ٱللَّه أنّ ٱللَّه واحد أحد. وهو نور ٱلسَّمَٰوٰت وٱلأرض. أخرج ٱلحىَّ من ٱلميِّت. وجعل منه مَن يخلف بٱلنور فى ٱلأرض.

وأنّ ما فيه من روح ٱللَّه أمانة لديه. وعليه أن يكون واحدا أحدا. يعمل على ٱلتنوير لنفسه. ويعبد ما رأىٰه بٱلنور. فيعلوا فى ٱلأرض ولا يفسد فيها.

وأنّ ٱللَّه وصّىٰه بٱلتقوى من غواية «إبليس». فلا يشرك ولا يزنى[1] ولا يسيئ. ولا يقتل نفسا بغير نفس. ولا يقعد فى سبيل ٱللَّه. ولا يعطل ٱلنفقة فيه. ولا يمنع دعوىَ إليه. وبما يعلمه يعمل على حماية حقِّ كلِّ نفس بٱلحيوٰة. وحقّها فى مسئوليّتها عن إرادتها وأَحديّتها وحيوٰتها. فلا يعمل علىَ إشراكها معه فى عمل وموقف وقول. من دون علمها وإرادتها ومسئوليتها. ويترك أمامها سبيل ٱللَّه مفتوحا. وينفق فيه. ويصلح ما فسد فى ٱلأرض. ويقيم محكمة جزآء لتقضى وتجزى ٱلكافرين بما جآء فى ٱلوصية.

ويرى عبد ٱللَّه أنّ ٱلعلوَّ فى ٱلأرض. يستطيعه كلّ من ٱلمتَّقى ٱلصالح وٱلكافر ٱلمفسد:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨)﴾ ٱلمآئدة.

وأنّ كلاًّ من ٱلأدميين يمثّل مجتمعًا للناس. يتنافس أهله ويتسابقون مع أهل ٱلأخر على ٱلعلوِّ فى ٱلأرض.

وأنّ علوَّ أحدهما. يحدث من دون أن يغفل عن غواية وغرور «إبليس» بٱلشهوات وٱلزِّنى[2] وٱلسيّئات وٱلفساد فى ٱلأرض. فيتقيه ويكون ٱلأقرب إلى ٱلهداية ٱلأقوم.

---

(١) ٱلزِّنى هو ٱلقيام بأى عمل. تحت تأثير ٱلزّنّ على ٱلسمع وٱلبصر وٱلفؤاد بشهوة من ٱلشهوات. من دون علم بٱلحاجة إليها وبٱلنفع منها وبضرّها. وٱلمثل عليه بما يُعرض من ألوان ٱلدعاية لترويج بيع سلعة من ٱلسلع.

(٢) «ٱلزِّنَى» قسم من مناهج «إبليس» فى ٱلنفس. وبهذا ٱلقسم يزنّ «إبليس» فى ٱلنفس (يلحّ فى تحريضها) يغويها بٱلشهوات (جميع ألوان ٱلدعاية ٱلتى تلحّ وتحرض على شرآء ٱلسلع =

وأنّ علوّ ٱلأخر. يحدث بعبادته للّه من دون إخلاص. فيغفل عن غواية وغرور «إبليس». ويزنى ويعمل ٱلسّيّئات. ويهدد ٱلمحسن وٱلمتّقى بٱلقتل ويقتله ويفسد فى ٱلأرض.

ويرى عبد ٱللّه أنّ مَن يخاطبه ٱللّه فى كتابه. هو إنسان فرد من دون تحديد لقوم أو طآئفة أو حزب. يوصيه أن لا يوزّع نفسه بين سلطة طغوى ترعى. وبين رعيّة عميآء تعبد ٱلطغوى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٠٤ ٱلبقرة.

فيدرك ٱلحاجة إلى سلطة ناظر من ٱلناس. ينير ويعلم يقوم فى بيت للنُّور. وتقوم سلطته بعهد وميثاق. تنفق على بثّ ٱلنور لتبدد ٱلظلام وتعلم وتعلوا. وترى فى كلِّ فرد من مجتمعها. شخصا منظورا إليه. وعليه مسئوليته عمّا يريد ويكسب.

ويرىَ أنّ ٱلإنسان ٱلذى يبثّ ٱلنور. هو ٱلذى يسأل فيسير فى ٱلأرض لينظر وليعلم كيف بدأ ٱلخلق. وهو من يصطفيه ٱلعابدون ليكون حاكما ناظرا. وصاحب سلطة عهد فى مجتمع إرادات لأشخاص أحرار. وأنّ ٱلمثل على مثل هذا ٱلحاكم ٱلعالِم فى كتاب ٱللّه. هو «ملك» من عباد ٱللّه. يملك ويعلم وجسمه سليم من ٱلمرض:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ

= وٱستهلاكها وعلى ٱلمتعة). من دون ٱنتظار للعلم بٱلحاجة إليها وبنفع وضرّ ما يحويها به. تعجل وتخضع للشهوات (نفس دنيئة). ويغويها بٱلشرك فى ٱلأموال (إشتراكية) وفى ٱلأولاد (إباحية جنسيّة). وبٱلفاحشة فى ٱلمفاهيم (ٱللغو وٱلتخريص وٱلتحريف) وفى كلِّ شىء. وبٱلفاحشة فى ٱلذكر وٱلأنثى (ٱلمثلية).

وكلمة «زانٍ» و«زانية» لوصف نفس «ذكر» و«أنثى» يهيمن عليها ٱلفعل «زَنَّ».

ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ ٢٤٧ ٱلبقرة.

وأنّ ٱلملك «طالوت». عالِم ومالك سليم ٱلجسم وٱلنفس. يقوم فى بيت ٱلنُّور. يطول أن ينظر حال ٱلمنظور إليه. وحاجته من تأمين سبيل ٱللَّه له ممّن يقعدون له فيه. ولا يرعىٰ أنعاما.

ويرىٰ أنّ خطاب ٱللَّه للإنسان ٱلفرد. موجّه إلى «بنىٓ إسرآءِيل». وهم ٱلذين يعلون فى ٱلأرض. يحدّثهم عن «ٱبنىٓ ءادم». وعن قتل ٱلنّفسِ بغيرِ نفس. وعن ٱلفساد فى ٱلأرض. ويبيّن لهم مسئوليتهم ٱلخاصة فى حماية ٱلنفس وٱلأرض. وفى ٱلمطالبة بدم ٱلنفس ٱلمقتولة. وفى ٱلعمل علىٰ إصلاح وحماية ٱلأرض من ٱلفساد:

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾ ٣٢ ٱلمآئدة.

وأنّ «بنىٓ إسرآءيل». على ٱلرّغم من أنّ كثيرا منهم مُسرفون لا يخلصون للّه فيما يعبدون. هم ٱلعالون فى ٱلأرض فى كلِّ وقت. وهم ٱلذين يستطيعون ٱلعلم بما كُتب عليهم. ويفقهون ٱلخطاب.

ويرى بما بثّه من نور نظره فى تاريخ ٱلبشر وفى كتاب ٱللّـه. أنّ أطوار ٱلإنسان تبدأ من طُور أساس وأوّل. هو طُور «بشر» وحش ظلوم جهول "يفسد فى ٱلأرض ويسفك ٱلدِّمآء". ثم من طُور «ءادم» يفرق إلى فريقين:

واحد يسرى فيعلوا فى ٱلأرض علمًا وقوّة. يحمل ٱسم «إسرآءيل» ويؤسس لِطُور «إنسان».

وٱلفريق ٱلثانى هو كلّ مَن يلتفت إلى خلف حيث سلف ميت. يَهُودُ إليه. فيقسوا قلبه. ويُمسخ قردا وخنزيرًا. يضعف وينخفض فى ٱلأرض.

وأنّ «بنىَ إسرآءِيل». هـم من «بنىَ ءَادم» ٱلذين يَسرُونَ ويعلون فى ٱلأرض علمًا وقوّة. وهم ٱلمسئولون عن هذا ٱلكتاب. وٱلقادرون على حمل ٱلتكايف به.

وأنّ قول ٱللَّه عن نفسه «هو كلّ يوم فى شأنٍ». أنّه من مسآئل ٱلخلافة للإنسان ٱلتى بيّنها ٱللَّه فى قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

وأنّ للخليفة فى كلّ يوم شأن.

وبذلك يرى عبد ٱللَّه. أنّ هذا ٱلمفهوم عن ٱلشّأن هو أساس ٱلحنف وٱلوقاية من ٱلشرك ومن ٱلوثنيّة. عمّا بثّه ٱلتعبيد فى قلوب ٱلمثقفين ٱلمسلمين. وغير ٱلمسلمين من قوم ٱلرّسول. عن عدوّ لهم ٱسمه «إسراءيل».

وأنّ ٱلذين يوثنون على هذا ٱلتعبيد. لا يعبدون ٱللَّه. فيقتلون ٱلنفس بغير نفس. بما يزعمون من مفهوم بشر وحش «يهدر» دمَ مَن يرتدّ عن دينهم ٱلوثنىّ. ومَن تخرج عن لغو مفهومهم بكلمة «شرف».

ويرى عبد ٱللَّه. أنّ نفخ ٱلروح جعل مَن تمسّك به من ٱلبشر ٱلوحش ءادمًا humble. يأنَسُ ويَسعَى ليكمل إنسَهُ «إنسانا». ومَن لم يتمسّك به. تنكّس خلقه ونُسيت ءايته.

وأنّ ٱلأدمىّ ٱلذى جعل من نفسه كأسا مُقدّسا[١] لما فيه من روح قُدس. وٱتقى ما يخبث فى ٱلنفس وٱلروح من ٱللغو وٱلتحريف وٱلتخريص. صار إنسانًا و«عيسىٰ» مثلُه.

وأنّ مَن غفل ولم يعلم. أنّ نفسه كأسا مقدّسا وعليه وقاية قدسه. غفل عمّا

---

(١) ٱلمقدس هو ٱلشىء أو ٱلأمر ٱلمعقّم وٱلمطهر. وٱلكأس ٱلمقدّس هو قُربَة للروح. وٱلروح فى ٱلكأس قريب. وقد فعل «إبليس» فعله فى نفوس مَن أشعلوا نار ٱلحروب ٱلصليبيّة بحثا عن ٱلكأس ٱلمقدس. وجعلهم يظنُّون أنّ ٱلكأس وعآء يشربون به مآء. فيتطهرون ويفوزون بٱلجنّة. وبذلك نسوا وضلّوا عن ٱلكأس ٱلمقدس. وهى ٱلنّفس. وحاربوا بٱلظنون وقتلوا وقُتلوا ولم يفوزوا بكأس مقدس ولا بطهر ولا بجنة.

لديه من أمانة. وفتح نفسه لمنهاج غواية «إبليس» ليخبث فيها. ويضلّه عن سبيل ٱللّه. ويمنعه من بلوغ رتبة إنسان بنفس قدس وروح قدس. وينكّسه من طُور «ءادم». إلى طُور «بشر جنّ» أصله ٱلبشرىّ أفضل منه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ ١٧٩ ٱلأعراف.

عبد ٱللّه هو ٱمرؤ أو ٱمرأة. نظر فى ٱلحقّ فرأى وعلم منه ومن دينه. وءامَنت نفسه بعلمه وٱطمأنّت إليه. وأسلم له طَوعًا:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ٨٣ ءال عمران.

وكلّ منهما. هو شخص متميز بإرادته وحرّيّته ومسئوليّته. عن رَوحِه ورَيحَانه. بأعماله وأفعاله وأقواله ومواقفه وسلوكه أمام ٱللّه. وأمام شرع عهدىّ معروف. فى مجتمع إرادات لأشخاصٍ أحرار.

وعبد ٱللّه لا يقتل «نفسًا بغير نفسٍ».

ويدرك أنّه غير مسئول عن سلوك نفسٍ أخرى.

وأنّه مكلّف بمطالبة ٱلقاتل بما فعل فى جميع ٱلأرض.

وأنّ قتل نفسٍ بزعم «ردّة» أو «شرف». هو فعل لا يتصل بطُور مجتمع ءادم ولا بطُور مجتمع إنسان. بل هو فعل فى طُور بشر فى مشاعة ٱلوحش «سعدان» Monkey.

وإذا نظر عبد ٱللّه فيما يفعله ويشرّعه ٱلمسلمون. يرىَ أنّهم من ٱلمسلمين للّه كَرها. وقد توقّف رَوح وريحَان ما فىَ أنفسهم من رُوح ٱللّه. فلا يدرون بٱلدين عنده ولا بٱلسبيل إليه. ولا يدرون بٱلإرادة ٱلشخصية للفرد منهم. ولا بمسئوليته

عمّا لديه من أمانة وعمّا يكسبه بها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾. ولا يدرون بتميّزه وحريّته. فيقتلون نفسه بغير نفسٍ.

ويرىٰ أنّ ٱلمسلمين أغوىٰهم «إبليس». وقطع ٱلوصل بين ما فيهم من منهاج ملهم ومنهاج منفوخ. وأغوىٰهم ليتخلّوا عمّا فيهم من روح ٱللّه. لراعٍ يطغى ويتسلط عليهم. ويعبّدهم بطغوىٰه فيقتل إراداتهم. وينكّسهم إلى رعيّة تصرخ أمام راعيها: «بٱلروح بٱلدم نفديك».

وأنّ ٱلرّعيّة تعيش لتعبد أمر راعيها. من دون عهد وميثاق يحكمه. فيما يعبّدها بمناهج لغوه وتحريفه وشيطه وإفكه.

وأنّ ما تسميه هذه ٱلرّعيّة «شرفًا» وتثور له. وتقتل به نفس «أنثى» تميتها بغير نفسٍ. يسوقهآ إليه منهاج تعبيد يأجّ لديها منهاج ٱلفجور ٱلوحشىّ «جِنّ». ويجعل من ءاية ٱلبشر وحش (ٱلسعدان Monkey). مثلا على ضلالها عن سبيل ءادم. وعن سبيل «إسرآءيل». وعن سبيل ٱلإنسان «عيسى».

وأنّ هذا ٱلسلوك ٱلوحشىّ لدى هذه ٱلرّعيّة. قآئم بفعل قطع ٱلوصل بين ما فيها من منهاج «جِنّ» ملهم. وما نفخ فيها من رُوح ٱللّه. وأنّ فعل ٱلنور فى قلوبها معطّل بتعبيدها بمنهاج طاغوت يشيط بها. تقوم عليه هيئات كهنوت مجنون تحرسه وتؤيّده بما تصدره من فتاوى. وبهذا ٱلمنهاج وٱلفتاوى يُؤجّج فىَ أنفس هذه ٱلرّعيّة منهاج «جَآنّ». فتقتل نفسًا تميتها بغير نفسٍ.

ويرى عبد ٱللّه. أنّه لن يكون تغيير لدى هذه ٱلرّعيّة من دون تغيير مناهج تربيتها وتعليمها. فما فى كتاب ٱلتعليم لتاريخ ٱلقوم ودينهم ووطنيتهم. هو ٱلتفات إلى خلف حيث ٱلسّلف ٱلميّت. وأنّ عبد ٱللّه بما عليه من مسئولية. عليه أن يعلن موقفه من تلك ٱلمناهج ويوكّد عليه. فيطالب حكومات مجتمعات ٱلإنسان وهيئات حقوقه جميعها. للعمل على تغيير هذه ٱلمناهج ٱلتى تقتل ٱلنفس بها من دون نفس. وتقعد فى سبيل ٱللّه. وتمنع ٱلدعوىَ إليه. وتفسد فى ٱلأرض. ومَن

لا يستجيب من سلطات ٱلطغوى. ومَن يفتى من كهانها بقتل نفسٍ من دون نفسٍ. ويقعد فى سبيل ٱللَّه. يُطلب إلى محكمة ٱلجزآء ٱلدولية. بتهمة ٱلتمكين وٱلتأجيج لقتل نفس بغير نفسٍ. ونشر ٱلظلام وٱلكره فى نفوس ٱلمتعلمين. وٱلفساد فى ٱلأرض.

أما قتل ٱلنفس فى ٱلحرب. فعبد ٱللَّه يذكر أنّ ٱللَّه أمر عباده بٱلدخول فى ٱلسّلم. وأن لا يقاتلون إلا ٱلذين يعتدون. وٱلذين يقعدون فى سبيل ٱللَّه يظلمون على ٱلمستضعفين من عباده:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ٧٥ ٱلنِّسآء.

ويرىَ أنّ عباد ٱللَّه يعيشون فى مجتمع عهدىٍ. ٱلشخص فيه مسئول عمّا يكسبه. وهو ركن مجتمع ٱلإنسان ٱلأساس. وأنّهم سيعملون على منع أىّ معتدٍ من ٱلتأثير على عيشهم ٱلعهدىّ. وسيردّون كلّ مَن يعتدِى عليهم. وكلّ مَن يُرجف فىَ أمن مدينتهم. أينما يثقفوه يقتلوه من دون محاكمة:

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾ ٱلأحزاب.

ويذكر أنّ هذا ما جآء فى عهد وميثاق ٱلمدينة (ٱلصحيفة). عن ٱلذى يُحدث حدثا وعن ٱلذى يأويه:

«وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِمُؤمِنٍ أَقَرَّ بِمَا فِى هَٰذِهِ ٱلصَّحِيفَةِ وَءَامَنَ بِٱللَّه وَٱليَوم ٱلأَخِرِ أَن يَنصُرَ مُحدِثًا وَلاَ يُؤوِيهِ وَأَنَّهُ مَن نَصرَهُ أَوَ أَوَىٰهُ فَإِنَّ عَلَيهِ لَعنَةَ ٱللَّه وَغَضَبَهُ يَوم ٱلقِيَامَةِ».

فهو ملعون (مطارد) لا يُصرف عنه فعله. ولا يحاكم عليه. وسنّة ٱللّه تطلب قتله لا محاكمته.

ويعلم عبد ٱللَّه أنّ عباد ٱللَّه يعدُّون ما يستطيعون من قوّة. يرهبون عدّوهم وعدوّ ٱللّه:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ٦٠ ٱلأنفال.

ويذكر أنّ ٱلذى يُقتل من عباد ٱللَّه. هو حيّ يرزق عند ربّه. وأنّ ٱلذى يُقتل فى سبيل ٱلظلم يموت بكيد شيطان.

وأنّ مجتمع مسئولية ٱلإرادات ٱلشخصيّة. تصنعه إرادات أشخاص مسئولين. يتعاهدون ويتواثقون فيما بينهم. على عيش يُبقى على مسئولية كلّ منهم عمّا يريده ويعمله.

وأنّ هذا ٱلأمر هو على ٱلضدّ من مناهج تربية وتعليم وأسلوب عيش ٱلرّعيّة. سوآء ءَكانت مناهج تربية وتعليم ٱلدين. أم تربية وتعليم ٱلقوم وتاريخهم. فسلطة مجتمعات ٱلرّعيّة. لا تترك للفرد من أبنآئها فرصة لتفكير مسئول يوصله إلى موقف ٱلشخص (إبراهيم ٱلذى تبرّأ من قومه وممّا يعبدون). وإن حدث وأظهر أحدهم فكرا مسئولا. سارعوا فى ٱلحكم عليه بٱلإرتداد عن ٱلدين. أو ٱلخيانة للقوم. فإمّا يعود إلى شركهم. أو يقتلوه. أو يحرّقوه كما حرّقوٓا إبراهيم.

ويرى عبد ٱللّه. أنّ ٱلرّعيّة جمع مشركين ينكرون مسئولية ٱلشخص. ولا يدركون أن مسئوليته لا يصنعها له شخص أخر ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

ولا يدركون أنّ ٱلشخص يساعد غيره على رؤية مفهوم ٱلمسئوليّة ٱلشخصية. وٱكتساب فعلهآ إن أراد.

ويرى عبد ٱللّه. أنّ سلطة ٱلطاغوت فى ديار ٱلرّعيّة. تستخفّ وتهزأ من شعوبها ٱلتى تسابقها فى كراهية ٱلمسئولية ٱلشخصية. وفى قتال مَن يطلبها. فتقاتله وتقتله لأنه يطلب عهدا وتشريعا يحمى حقوق ٱلإنسان من ٱلطغوى وٱلكفر وٱلقعود فى سبيل ٱللّه.

ويرىَ أنّ شعوب ٱلرّعيّة ليست من طُور إنسان. وهى لا تعرف ٱلغضب إلآ إذا طلبه راعيها وكلابه.

وأنّ غضبها لا يكون إلا على مَن يطلب لأفرادها مسئولية. ويطلب لهم عهدا يجعل سبيل ٱللّه مفتوحا لنظر ٱلفرد وعلمه.

وبما يرى ويتشابه لعبد ٱللّه فهمه من كتاب ٱللّه ٱلقرءان. وبما يعقله من قوله مع قول علم ٱلحيوٰة. يرىَ أنّ للبشر أطوار:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ نوح.

ويرى فى قول ٱللّه بيانا لتلك ٱلأطوار:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩)﴾ ٱلحجر.

ويرى منها طُور لوحش يحيا فى جمع مشاعىّ barbaric commonalty يفسد فى ٱلأرض بتكاثره. ويسفك ٱلدمآء بقتله لجماعة وحشيّة أخرى تنافسه على ٱلطعام وٱلمكان:

﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

ويرى فى قول ٱللّه:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ٧٢ ص.

أنّ هذا ٱلنفخ نقل ٱلبشر من طُور «وحش» إلى طُور «بشر ءادم human» يرتقى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

وبٱصطفآئه خرج من ٱلجمع ٱلمشاعىّ ٱلوحشىّ. وبدأ «ءادم» يحيا فردا يتبع رَوح وريَحان ٱلرُّوح. وبه تأسّس مفهوم ٱلشخصيّة ٱلفرديّة. وحقوقها ومسئوليتها عن أعمالها فى ٱلحيوٰة ٱلدنيا وٱلأخرة:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨ ٱلمدّثر.

﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ٢١ ٱلطور.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ٩٤ ٱلأنعام.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ مريم.

وبٱلروح تأسست خلافة ٱلمصطفى بنور أسمآء ٱللّه ٱلواحد ٱلأحد:

﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

وبذلك يدرك عبد ٱللّه. أنّ كلّ مَن تمسّك بهذا ٱلمنهاج وٱتبعه. صار ٱسمه «ٱبنُ ءادم human being». وصار له حقّ خلافة كفرد. يريد ويتشخّص وليس كجماعة.

وأنّ مَن يغفل عن هذا ٱلمنهاج. يغويه «إبليس» بٱلشهوات ويوسوس له ليقعد فى سبيل ٱللّه. ويمنع ٱلدعوة إليه. ويقتل ٱلنفس من دون نفس. ويفسد فى ٱلأرض فيقتل ٱلحيوٰة جميعها.

نَهى ٱللّه عباده عن ٱلفساد فى ٱلأرض:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ٥٦ ٱلأعراف.

ويرى عبد ٱللّه. أنّ «بنىَ ءادم» يفرقون عن بعضهم إلى فريقين:

ٱلفريق ٱلأول. هم ٱلذين يسيرون فى ٱلأرض. ينظرون فى كيف بدأ ٱلخلق فيعلمون ويعلون فيها.

ويتوزّع هذا ٱلفريق إلى فريقين متنافسين فى ٱلسير وٱلنظر وٱلعلوّ. وهما ٱلّذان يُتلى نبأهما فى كتاب ٱللّه:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨)﴾ ٱلمآئدة.

أما ٱلفريق ٱلثانى. فهم جميع ٱلذين لا ينظرون. وهؤلآء لا يذكرون ولا يعلمون ويهودون إلى ٱلطُّور ٱلأول. فيُلعنون عن طُور «ءادم». ويُمسخون قردة (مذلّون مهانون). وخنازير (قساة قلوب). يعيشون فى ٱلأرض كٱلأنعام عيشًا ضنكًا Donkeys:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ ١٢٤ طه.

ويعلم أنّ «ٱبنى ءادم». هما من ٱلفريق ٱلأول حصرًا.

واحد يعبد ٱللّه. فيسير فى ٱلأرض. وينظر ويعلم. ولا يخلص فى عبادته. فيغويه «إبليس» ويزيغ به عن منهاج ٱلهداية وٱلتقوى. فيفجر ويملك من دون عهد وميثاق. ويطغى ويستبدّ بأهله. ويكرههم على تعليمٍ وعيشٍ جماعيّ يعادى ٱلتشخّص وٱلنور. فيقعد فى سبيل ٱللّه. ويقتل نفسًا بغير نفسٍ. ويفسد فى ٱلأرض.

وٱلآخر يعبد ٱللّه ويخلص فى عبادته. فيسير وينظر ويعلم ويقترب من ٱلهداية. فيتّقى ٱلغواية. ويصنع لعيشه عهدا للمُلك. فلا يطغى ولا يستبدّ فى سلطته على ٱلأهل. وينظر فى كيف يحمى حقوق ٱلفرد وشخصيته ومسئوليته. ويفتح سبيل ٱلنور للجميع. ولا يقتل نفسًا بغير نفس. وإن أدرك فساده يتّقى ويصلح.

وأنّ ٱلفريقين هم ٱلذين يعبدون مخلصين وغير مخلصين. فيسيرون فى ٱلأرض ينظرون فى كيف بدأ ٱلخلق. ويعلمون فيعلون علمًا وقوّة. وكل من ٱلفريقين يحمل ٱسم «بنىٓ إسرآءيل». بفعل نظرهم وعلمهم وإسرآئهم ونفوذهم

فىَ أقطار ٱلسّمَٰوٰت وٱلأرض. وكلاهما ٱلمفضلون عند ٱللّه على ٱلعالمين:

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٤٧ ٱلبقرة.

وأنّ هذا ٱلتفضيل لا ٱنقطاع له لِمَن يتابعون ٱلإسرآء.

أما ٱلذين يتوقفون عن ٱلإسرآء فينكصون علىَ أعقابهم ويسقطون من علوّهم.

وأنّ من ٱلمفضلين ٱلأساس ٱلذى يقوم به طُور «عيسىٰ ٱلإنسان». وهو ٱلذى يتقى ٱلغواية بٱلإخلاص فى عبادته للّه. ويفعل ما يريد ويقول ويخلّص نفسه من مقت ٱللّه.

وهذا ٱلطُّور يحتاج «ٱبنُ إسرآءيل» لبلوغه إلى تقديس لنفسه. ولما فيها من رُوح ٱللَّه من جميع مناهج ٱلشّيط وٱللغو. لتكون نفسه كأسا مقدَّسا. وما فيه من روح ٱللّه رُوحًا قدسًا. يعلم به ٱلكتاب وٱلحكمة وٱلتّورىٰة وٱلإنجيل. وبٱلعلم وٱلتقديس للنفس وٱلرُّوح. لا يقول على ٱللّه ما ليس له بحقٍّ.

وأنّ هذا ٱلفريق من «بنىَ ءادم» هو ٱلذى كتب ٱللّه عليه:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا. . .﴾ ٣٢ ٱلمآئدة.

وأنّ كلاّ من «ٱبنى ءادم». يمثّل مجتمعًا لأشخاص يتنافسون ويتسابقون. مع أشخاص ٱلأخر فى ٱلنظر وٱلإسرآء وٱلعلوّ فى ٱلأرض. وبإسرآئهم يصيرون «بنىٰ إسرآءيل». ٱلذين يستطيعون إدراك ٱلتكليف بما كُتب عليهم.

وأنّهما فريقان:

واحد لا يخلص فى عبادته للّه. فيزيغ عن ٱلهداية وٱلتّقوى. وينسى تكليف ٱللّه. ويطغى ويستبدّ ويعمل ٱلسّيّئات مع حقوق ٱلشخص ٱلفرديّة. ويقعد له فى كلّ سبيل للنور. ويقتل ٱلنفس بغير نفسٍ. ويفسد فى ٱلأرض. وٱلمثل عليه فى

جميع مجتمعات ٱلسلطات ٱلتى تمنع ٱلتشخّص. وتظلم وتقعد فى سبيل كلّ نور وتقتل مَن يصبأ عليها. كسلطة ٱلشيوعية ٱلتى تُكره ٱلأهل على ٱلعيش ٱلمشاعىّ. وسلطة ٱلقوميّة ٱلتى تكره ٱلأهل على مفاهيم ٱلعزلة وتفوّق لونهم على غيرهم من ٱلناس. وهذا ٱلفريق يعمل على ٱلضدّ من ٱلتكليف. ويتحالف معه جميع ٱلقردة وٱلخنازير فى ٱلأرض. وهم لا يعلمون بما ينتظرهم من طآمّة فسادهم وسيِّئاتهم.

وٱلأخر يخلص للّه فى عبادته. فلا يترك علوّه يطغى على تكليفه. ولا يغفل عن حُسن عمله على حماية حقّ ٱلناس فى ٱلحيوٰة. وعن ٱلمسئولية ٱلشخصية فى تطورهم وتطور علمهم. ولا يغفل عن تقوىٰ ٱلفساد فى ٱلأرض. فيكون بذلك هو ٱلأقرب إلىٓ إدراك ٱلهداية ٱلأقوم بما كلفه ٱللَّه. وٱلمثل عليه فيما قام من مجتمعات أشخاص ضرب عليها ٱلمثل رسل ٱللَّه إبراهيم وموسى وطالوت وداوود ومحمّد.

لقد قضى ٱللَّه إلى ٱلفريقين من «بنىٓ إسرآءيل». أنّهم سيفسدون فى ٱلأرض ويعلون:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ٤ ٱلإسرآء.

وبيّن أنّ أحدهما يعلوا وهو يُفسد ويعتدى على حقِّ ٱلحيوٰة جميعها. ولا يتّقى عاقبة ٱلسوء وٱلفساد. فيأتيه ٱلعقاب من ٱلفريق ٱلأخر:

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ ٥ ٱلإسرآء.

وٱلمثل ٱلقريب عليه فيما حدث فى ٱلحرب ٱلكونية ٱلثانية. بسبب سلطة طغوى ٱلقوم فى كلٍّ من مجتمع ألمانيا وٱليابان.

ثمّ يعود هذا ٱلفريق من «بنىٓ إسرآءيل» بعد عقابه إلى ٱلنهوض وٱلعلوّ كما حدث لهذين ٱلمجتمعين:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ٦ ٱلإسرآء.

فإن أحسنوا وعادوا عن سوّء ٱلطغوى وعن ٱلفساد. فقد ٱهتدوا وعاشوا بسلمٍ وأمنٍ ونالوّا أجرا كبيرًا من ربِّهم. وإن تابعوا فسادهم وسوءهم. سآءت وجوههم ونُزعت سلطتهم فى ٱلحيوٰة ٱلدنيا. ولهم عذاب أليم عند ربِّهم:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (٨) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)﴾ ٱلإسرآء.

ٱلفساد فى ٱلأرض يهدّد ٱلحيوٰة فيها ويقتل ٱلنفس فيميتها بغير نفسٍ. وسبب ٱلفساد فيها هو طغوى ٱلشهوات بما فيها شهوة ٱلشرب بكأس مقدّس. وهذا ممّا قُضىَ إلى بنىَ إسرآءيل. ٱلذين تعمل أيديهم ٱلفساد فى ٱلأرض وهم يتنافسون على ٱلعلوّ فيها:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٤١ ٱلرُّوم.

فمن لا يعلم أنّ نفسه هى ٱلكأس. وأنّ هدايته بٱلتى هىَ أقوم تقدسها. يجعله علوّه مغرورًا. فيعمى عمّا قَضىَ إليه ٱللَّه وعمّا كتبه عليه. ويطغى عليه ٱلظّنّ بكأس مقدّس ويسعى يبحث عنه. فيسيىء إلى حقوق ٱلناس جميعا ومنها حقّهم ٱلأول «حقّ ٱلحيوٰة».

أما ٱلذى يهتدى منهم. فيعمل على تقديس نفسه بوقايتها من ٱللغو وٱلشيط. فيرجع عن ٱلفساد وٱلسوء ويصلح ويحسن.

فٱلذين يخاطبهم ٱللَّه فى كتابه هم «ٱبنىَ ءادم». ٱلذين يذكرون ويخلصون فى

عبادته. وٱلذين ينسون ولا يخلصون على ٱلسّوآء. وكلاهما «ٱبن» لمنهاج أخرج ٱلبشر من طُور ٱلوحش إلى طُور ٱلإنس. ومن ٱلإنس «بنوَ إسرآئيل». وهم ٱلذين يسرون ويعلون فى ٱلأرض. وقد نهىٰ ٱللَّه ٱلمؤمنين منهم عن ٱلأخذ بمفهوم «ٱلراعى» و«ٱلرعيّة» فى تكوين سلطة ٱلمُلك فى مجتمعاتهم. حتى لا يكون لهم سوء ولا فساد. فلا تكون لهم سلطة مَلِكٍ «يرعى» وأهل «رعيّة» يفعلون ما يؤمرون:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ١٠٤ ٱلبقرة.

فٱلسلطة فى مجتمع للمؤمنين من «بنىَ إسرآءيل». تقوم بعهد وميثاق بينهم وبين ٱلأهل. وبه يُوفون بعهد ٱللَّه وميثاقه. وبه تحمى حقوق ٱلشخص ومسئوليته ليكون واحدا أحدًا. لا جزء من جمعٍ مشاعىّ أو قومىّ. ولا تقعد له فى سبيل ٱللَّه تمنعه من ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق.

وتقوم ٱلسلطة فى مجتمعهم على ٱختيار مَن هم أكثر علما وأسلم جسما. ومن ٱلذين يعلمون بحاجة مجتمعهم لحماية حقوق ٱلشخص فيه. وحماية سبيل ٱلنظر وٱلعلم وٱلإسرآء بعلم ٱلناس وبحقوقهم ٱلشخصيّة. ويطولون تلك ٱلحاجة «طالوت».

ٱلفساد فى ٱلأرض لا يتوقف عند حدود ٱلمفسد. وقميص ٱلأرض (غلافها ٱلجوىّ). لا سدّ فيه يفصل بين أهل بلد وأخر. وهو يحمل فساد ٱلمفسدين إلى ٱلمآء ٱلجامد[١] فيجعله يسيل. وبسببه تحدث أعاصير شديدة وطوفان عظيم يقتل ٱلنفس بغير نفس[٢].

(١) (ٱلمآء ٱلمتجمّد فى ٱلقطبين) هو «جمادى ٱلأخرة». وهو ٱلبيت ٱلحرام ٱلذى جعل ٱللَّه منه كلَّ شيءٍ حىّ. (كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم»).

(٢) ما يحدث ٱليوم من أعاصير مدمّرة مثل على ما هو أشدّ تدميرًا.

وما زال «بنوٓ إسرآءيل» جميعهم. يتسابقون فى عمل ٱلفساد فى هذا ٱلمآء ٱلجامد. على ٱلرّغم ممّا يحدث من أعاصير ما زالت فىٓ أوّل شدّتها. فإن لم يعودوا عن ٱلفساد ويصلحوا ويحسنوا. فلن ينفعهم علوّهم فى ٱلأرض. وسيهلكهم فسادهم فى ٱلأرض كما هلكت ٱلقرون ٱلأولى (عاد وثمود وفرعون وٱلمؤتفكات).

ومن دون هداية بٱلّتى هىٓ أقوم. لن يعمل «بنوٓ إسرآءيل» علىٓ إصلاح فسادهم. فأول أمر لإصلاح ٱلفساد. هو فىٓ إدراك خطره وٱلعلم بأسبابه وٱلعلم أنّ ٱلمآء ٱلجامد هو ٱلكعبة ٱلبيت ٱلمحرّم[١]. وبهذا ٱلعلم تكون لهم ٱلهداية. فيعملون على وقف ٱلفساد فيه.

وممّا يرىٰه عبد ٱللّه. أنّ تزايد عدد ٱلرّعيّة من ٱلقردة وٱلخنازير. هو من أبرز أسباب ٱلفساد. ٱلّتى تأتى من تسابق «بنىٓ إسرآءيل» على ٱلعلوّ فى ٱلأرض بصناعتهم للشهوات. وٱلدعوة فى زيادة ٱلطلب عليها وٱستهلاكها. ويتكاثر ٱلقردة وٱلخنازير كما تتكاثر ٱلفطور. يفسدون بما يأكلون ويشربون وبما يطرحون.

وإصلاح عبد ٱللّه لفسادهم. يحدث بتوجيه لهم بٱلّتى هىٓ أحسن لعلّهم يدركون ما يفعلون. فيعملون على تحديد تكاثرهم ٱلمفسد. وأوّل أمر فى توجيههم هو لتغيير ما بأنفسهم من تعليم ودين:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ ١١ ٱلرّعد.

لقد ٱمتنع ٱلقردة وٱلخنازير بما يتبعون من منهاج تربية وتعليم ودين طاغوت. عن ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. فٱمتنع عليهم أن يكونوا من «بنىٓ إسرآءيل». ومُسخوا بفعل ما يتبعون ممآ ألفوا عليه ءابآءَهم:

---

(١) كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ١٧٠ البقرة.

وماَ أَلِفُوه لا عهد فيه. وسبيل ٱللَّه مغلق عليهم. ولا يفكرون بتغيير. فيفسدون فى ٱلأرض بتكاثرهم وهم قاعدون عن ٱلنظر وٱلإسراء وٱلعلم بما يفعلون.

فإن أدركوا وٱهتدوا وأحسنوا. يعملون فى ٱلإصلاح ويعودون إلى طور «بنىَ ءادم». ومنه إلى طور «بنىَ إسرآءيل».

أماَ إن تابعوا يكفرون ويفسدون. فلهم فى قول نوحٍ لربِّه ما يوقف كفرهم وفسادهم:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾ نوح.

لقد بيّن ٱللَّه أنّه أنزل على «بنىَ ءادم» لباسا. ومنهم ٱلذين يَسرُونَ فى ٱلأرض ينظرون ويعلمون ويعلون بعلمهم. لعلّهم يؤمنون فيهتدون ويصلحون:

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ ٢٦ ٱلأعراف.

وما زال بنوَ ءادم إلى يومهم هذا لا يُلبسون قلوبهم هذا ٱللباس.

ولا يصدقون بٱلهداية بما فيه من منهاج «مِيكَـٰل». وهو ٱلأعلى بيانًا للكيل فى ٱلحقِّ من طُور منهاج «إسرآءيل». وٱلأهدى للتى هىَ أقوم.

ولا يدرون بما فيه من وقاية توارى ٱلسوءات.

وما فى هذا ٱللباس هو منهاج «مُحَمَّدٍ». وفيه تطوير لمنهاج «إسرآءيل» إلى منهاج «مِيكَٰل».

وبه يرى قلب «مُحَمَّد» ٱلحقَّ ٱلمشاهد وٱلغآئب.

وبه يسرىَ إلىَ أقصا مسجد فى ٱلسمآء[١].

وبه يعلم بٱلشهادة ويعلم بٱلغيب ويوقن بهما.

وبه ينفق على تطوير وسآئل نظره وبصره لتريه ما فى ٱلحقّ من دين.

وبه يتابع إسرآءه وعلوّه فى ٱلأرض من دون فساد فيها ولا سوءات، مع حقِّ ٱلحيوٰة.

وبه يرى حقِّ ٱلحيوٰة ويعلم بوسآئل تشريع يحمى ٱلمسئولية ٱلشخصيّة لهٰذا ٱلحقِّ.

وبه يشرّع لمحكمة ٱلجزآء كما وجّه به ٱللَّه. لمنع عبيد ٱلطاغوت من قتل ٱلنفس بغير نفسٍ.

وبه يمنع ٱلقعود فى سبيل ٱللَّه.

وبه يمنع أعمال ٱلفساد فى ٱلأرض ويصلح ما فسد فيها.

وبه يعلم بحدود كلِّ حيٍّ. ويصنع على ٱلأرض سلمًا للناس ولجميع ألوان ٱلحيوٰة.

---

(١) جميع ٱلأشيآء فى ٱلسمآء مساجد. تسجد لدين ٱلحقِّ. وتسبح فى فلك مسنون لها «وٱلنَّجم وٱلشجر يسجدان». فيرى قلبه «رؤيا» إسرآءه من ٱلأرض «ٱلمسجد ٱلحرام» إلى ٱلنَّجم «ٱلمسجد ٱلأقصا» وهو مسجد فى سمآء ٱلسجود. وعنده «سدرة ٱلمنتهى». وهى ٱلحدّ ٱلذى تنتهى عنده مساحة ٱلسجود. وللناس أن يسروا وينفذوا فى ٱلسمآء. ويعقلوا ما يبصرون مع ٱلرؤية فى سورة ٱلإسرآء. فلن يروا غير ما رأى.

ٱلصّلوٰة سبيل ٱلإنسان

إلى ٱلقوّة وٱلعلوّ فى ٱلأرض

مع بداية طُور ٱلعباسيين. طغى فريق من أعراب «برابرة» وسط «أسيا». على مواقع ٱلسلطة فى «بغداد». وكان لأعراب ٱلفرس وٱلأفغان منهم. ٱلنّصيب ٱلأكبر فى مواقع ٱلتحكم بٱلتعبيد تربية وتعليما. وقام تحالف بينهم وبين فريق من ٱلقوم قريش. ومنهم كان لـ «الشريعة الإسلاميّة» و«اللغة العربية» ءابآء. فصّلوا ٱلقول فى ٱلشرع. وفى دليل ومفهوم ٱلكلام فى كتاب ٱللّه. ومنه كلمة «صلوٰة». وسيلة ٱلإنسان إلى سبيل ٱللّه. وهو سبيله إلى ٱلعلم كيف بدأ ٱلخلق. وإلى ٱلقوّة وٱلعلوّ فى ٱلأرض.

وعقبَ هذا ٱلطُّور طُور ملوك ٱلطوآئف (ٱلمماليك). من أعراب تُرك وتركمان وكورد وأرناؤوط. ونشأ فيه أبنآء معبّدون تربية وتعليما. بما فصّل ٱلأعراب وٱلقوم فيه من قول. وبرز من بين ٱلأبنآء فى هذا ٱلطُّور أب هو «ٱبن تيميّة»[1]. وطغى تعليمه فى ٱلتربية وٱلتعليم. وصار عند ٱلأبنآء «شيخ الإسلام» وٱلمسلمين ٱلأعراب. وما زال شيخهم إلى ٱليوم.

---

(١) ولد ٱبن تيمية فى حرّان سنة ٦٦١هـ. وهاجر إلى دمشق مع أهله سنة ٦٦٧هـ. وعاش فى وقت يقول عنه ٱلمؤرخون. أنّه «عصر الانحطاط» وٱلفتن بين ٱلمماليك ٱلترك وٱلكورد وٱلتركمان وٱلتتار وفرق ٱلمسلمين وٱلصليبيين. وكان له فى سنة ٧٠٩ هـ حظًّا لدى «الناصر قلاوون» فى ٱلقاهرة.

ثمّ عقب طُور ٱلأعراب ٱلعثمانيين. وتابع تعبيده للأبنآء. بذات ٱلمنهاج ٱلذى وضعه تحالف ٱلأعراب وٱلقوم فى ٱلأطوار ٱلسابقة. وما زال إلى ٱليوم يعبّد ٱلأبنآء. بمنهاج أعراب وقوم. وله يألفون ويتبعون فيما يعبدون.

بفعل ٱلتعبيد بما قاله ٱلمتعلمون من ٱلأعراب وٱلقوم. لم أهتدِ إلى دليل ٱلكلمة فى كتاب ٱللَّه. ولم أفهم ٱلقول ٱلحامل لها. وبقى قول ٱلكتاب أعجمىّ علىّ لا يبيّن لى خالقا عليما.

وبٱلدّرس فى ٱلكتاب توقفت عند ٱلقول:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ ٩٧ مريم.

ورتلت هذا ٱلقول وعقلته مع قول أخر منه. فرأيت أنّ لسان ٱلكتاب ميسّر بلسان قوم ٱلرّسول:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ٤ إبراهيم.

وتابعت ٱلترتيل وٱلعقل مع قول أخر:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ٢ ٱلجمعة.

فرأيت أنّ ٱلتيسير للكتاب. حدث بلسان ٱلأمّيّن من ٱلقوم وليس بلسان ٱلمتعلمين منهم. فأدركت ووقفت على ٱلسبب ٱلذىَ أبقَى ٱلقول فى كتاب ٱللَّه أعجمىّ علىّ. ورأيت أنّ درس ٱلكتاب وبداية ٱلفهم لقوله وٱلعلم بما فيه من وعظ ووصيّة وهداية. تحدث بلسان ٱلأمّيّن وليس بلسان ٱلمتعلمين. وبما تدل عليه كلمة «صلوٰة» فى لسان ٱلأمّيّن. كان لىَ أعمال فىَ أكثر من مقال. ورأيت فى تلك ٱلأعمال. ما لدليل ومفهوم هذه ٱلكلمة من تأثير على فهم جميع ٱلقول فى كتاب ٱللَّه. وما زلت أتابع ٱلدرس. وأعمل على تطهير نفسى من منهاج

ٱلتعبيد. بما قاله ٱلمتعلمون ٱلسّلف من ٱلقوم وٱلأعراب فى دليل ومفهوم جميع ٱلكلام فى كتاب ٱللّه. وقد أدركت وعلمت أنّ ما قالوه خَبَثٌ. أَعجَمَ ومنع وأعاق فهم ٱلقول فى ٱلكتاب وأبعده عن منهاج أىِّ علم.

فما قاله ٱلمتعلمون ٱلسلف من ٱلقوم وٱلأعراب. سُجّل فى كتب ٱلتفسير وفى كتب ٱلحديث وفى معاجم ٱللّغة.

ومن قول ٱلمتعلمين فى ٱلمعاجم عن ٱلفعل «صلّى» ما جآء فى «المعجم الوسيط»:

(صلَّى عليه: دعا له بالخير. وصلَّى: أدّى الصّلاة. وصلَّى الله على رسوله: حفّه بالبركة).

وعن كلمة «صلوٰة»:

(الصَّلاة: الدعاء. العبادة المخصوصة المبينة حدود أوقاتها فى الشريعة. الرّحمة. **بيت العبادة لليهود**).

ولهم قول وشاهد عليه من «ٱلقرءان»:

((ثُمَّ الجَحِيَم صَلُّوهُ) صَلاَّهُ النار وبها وفيها وعليها: ألقاه فيها وشواه).

وإلى جانب قول ٱلمتعلمين هذا. قول أخر من لسان ٱلأميِّن:

(صلَّى الفرس فى السباق: هو الثانى فى السباق. صَلَى اللحم: شواه. صَلَى الصّيدَ: نصبَ له الشَّرَكَ. صَلَى فلانا وله: كادَ له ليُوقعه فى الشَّرِّ. المصلاة: شَرَكٌ يُنْصَبُ للصّيد).

وما يبيّنه قول ٱلأميِّن. أنّ ٱلصَيَّاد ٱلذى «يَصلِى» صيدا. «يُصَلِّى عليه». فينصب «صلوٰة». وهى «ٱلشَّرَكُ» للصَيد «ٱلمُصَلَّى عليه».

ورأيت أنّ للفعل «صَلَّى». فاعل «يُصَلِّى» على مُصَلَّى. ووسيلته «**صَلَوٰة**» (مصلاة) يقيمها وينصبها.

هذا ٱلدليل وٱلمفهوم لكلمة «صلوٰة». هو ما رأيته بٱلدرس فى كَلِمها:

«صَ» صدِّيق وفوقه داش ٱلفتَّاح « َ » (علامة دين فى قلب ٱلصِّدِّيق يفتح نافذة من نوافذ ٱلنور ٱلمنفوخ فيه ليرى ويعلم).

«لَ» عصا وفوقها داش ٱلفتَّاح (علامة دين يفتح فيها سبيلا لنور ٱلبصر).

«و» وتد يوتّد ويثبّت ٱلعصا يمنعها من ٱلحركة.

«ة» علامة مغلقة وما فيها معجم على ٱلبصر.

فٱلكلمة تبيّن منظارا «صَلَو». موجّها وجهةَ شىء أعجمىّ وعلامته ٱلمغلقة.

وصِدِّيق ٱلمنظار (عدسته ومرءاته). مفتوح بصره بدين ٱلفَتَّاح.

وعصاه (أنبوب بين ٱلعدسة وٱلمرءاة). مفتوحة بدين ٱلفَتَّاح لعبور نور ٱلبصر. يثبّتها وتد يمنعها عن ٱلحركة «لَو».

فإذآ أراد صدِّيق من ٱلناس أن يفتح علامة ٱلشىء ٱلمغلقة «ة». وينير ما عجم فيها ليعلمه ويقرأه ويبيّنه. يقوم إلى ٱلصَّلوٰة. ويقرب عينه فى عين صدِّيقها «ص». يبعث بنور بصره عبر ٱلعصا «ل» إلى ٱلعلامة.

وحتّى يعبر نور بصره ٱلعصا ويصل إلى ٱلعلامة. يثير ٱلوتد «و». ٱلمثبّت للعصا بمقدار منفصل للثور « ١ »[1] ليحلّه ويحرّر ٱلعصا.

وبتحريره للعصا من ٱلوتد. يستطيع توجيهها وجهة ٱلعلامة. ويصل نور بصره إليها وينيرها. فيرى ويعلم بما فيها ويبسطها «ت». وينتفع منه علما وملكا وقوّة وعلوًّا فى ٱلأرض.

ومن قول ٱلأمِّين:

(صلَّى الفرس فى السباق: هو الثانى فى السباق).

---

(١) ٱلمقدار ٱلمنفصل ١ ٢ ٣ . . وٱلمقدار ٱلمتصل خط مستقيم وزاوية ومثلث. . . وهذا ٱلرّمز هو مقدار منفصل يبيّنه ٱلعدد (١).

أرىَ أنّ فرسا فى ٱلسباق «صَلَّى» على فرس سبقه. فكان له رتبة ٱلثانى. وكان للفرس ٱلذى سبقه رتبة ٱلأول. وأنّ صاحب رتبة ٱلثانى مسبوق وهو «**ٱلمُصَلِّى**». وصاحب رتبة ٱلأول سابق وهو «**ٱلمُصَلَّى**» عليه.

ولهذا ٱلمفهوم ٱلأمىّ شَبَه فى قول من كتاب ٱللَّه:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ١٢٥ ٱلبقرة.

وفيه بيت سابق. وله رتبة ٱلأول وهو «**مُصَلًّى**». وهذا ٱلبيت هو «**مقام إبرٰهيم**». وهو أوّل بيت حكمٍ صالحٍ وُضِعَ للناس:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ٩٦ ءال عمران.

أما ٱلبيت ٱلمسبوق وله رتبة ٱلثانى «**مُصَلِّى**». فهو لكلِّ بيت للحكمِ ٱلصالح يضعه ٱلناس من بعد «إبرٰهيم».

فرتبة أوّل بيت للحكم ٱلصالح وضع للناس كان فى «مكّة». ٱلتى صارت فيما بعد «بكّة» تبكّ أهلها بظلمها وجهلها ليهاجروا منها. وما يوضع من بيوت حكم للناس من بعد «إبرٰهيم» له رتبة ٱلثانى. وعلى ٱلناس أنّ يتّخذوا من ٱلبيت ٱلسابق «مُصَلًّى» وهم يرفعون ٱلقواعد من بيوت ٱلسلطة. فٱلبيت مثل لهم على رفع ٱلقواعد من بيت ٱلحكم بشرعٍ معروف مخطوط فى صحف «صحف إبرٰهيم». وفى ٱلبيت صَلوٰة يصَلِّى بها ٱلأمير وأهل ٱلبيت. وفيه مسجد يقوم فيه كهّان (بيروقراط وزرآء يؤازرون). لا يفسقون على ٱلأمر فيما يؤازرون وهم فيه ركّع سُجود (لا يفسقون على ٱلأمر ويفعلون ما يؤمرون).

ومن دليل ومفهوم ٱلقول فى لسان ٱلأمِّين. فٱلمُصَلِّى فى هذا ٱلبيت يرصد مُصَلًّى عليه. وهو حاجة ٱلشعب للطعام من جوع. وحاجته للأمن من خوف. فيرصد ويرقب ويبصر تلك ٱلحاجة. ولا يغفل عنها وعن ٱلسبيل إليها. ويحسب ويحصى كلّ أمر يوصله إليها بيسر. ومَن يقوم فى هذا ٱلبيت. يسهر على قيام

ٱلأمر (سيادة القانون). ولا يغفل عن ٱلصَّلوٰة وعن مأربه (هدفه)[١] من قيامه إليها.

أما ما قاله ٱلمتعلمون ٱلسّلف من ٱلقوم وٱلأعراب عن ٱلصلوٰة:

(الصَّلاة: الدعاء. العبادة المخصوصة المبينة حدود أوقاتها فى الشريعة. الرّحمة. **بيت العبادة لليهود**).

فيتبع مفهوم «ٱلعبادة» بما خرصوا ولغوا فيه. وقولهم بٱلبيت لا يشير إلى بيت حكومة تعبد شرعا معروفا من ٱلدين فيما تأمر وتنسك. سوآء كان فى ٱلبيت شرع معروف من ٱلدين عند ٱليهود. أم شرع معروف من ٱلدين عند غيرهم من ٱلناس. بل هو عندهم بيت لما يظنون به عبادة.

بما رأيته من دليل ومفهوم لكلمة «ٱلصَّلوٰة» فى لسان ٱلأميِّن. كان سبيلى فى ٱلدرس للقول فى كتاب ٱللّه. فلسانهم يبيّن أنّ «ٱلصَّلَوٰة» وسيلة مؤمنٍ صِدِّيق. فيما يرصد ويرقب ويشهد ويحسب ويحصى ويعلم ويقرأ ويبيّن ويعرّف فى ٱلخلقِ. ٱلذى سبقت تسويته ٱلنفخ فيه من روح ٱللّه. وبهذا ٱلدليل وٱلمفهوم درست فى كتاب ٱللّه. وبه خرج فهمى لقوله. وبدأ منهاج ٱلعليم يظهر لى وينجلى عنه خبث تخريص ولغو ٱلمتعلمين ٱلسلف. من ٱلقوم وٱلأعراب جميعهم. وهذا ما بدأت أعرض له بما تشابه لى فهمه ويتثنّى فى جميع أعمالى عابدا ٱللّه لآ أفسق على موعظته:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

ومنه أدركت أنّ مسئوليتى رهينة بمآ أكتب وأقول وأعمل:

(١) ٱلهدف هو إصابة ٱلشبك فى ركلة كرة ٱلقدم. أما ما يريده ٱلإنسان. فهو أربٌ وٱلاسم منه مأرب. وفى ٱلقول ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ ١٨ طه بيان للدليل وٱلمفهوم.

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ٣٨ ٱلمدّثر.

وأنّ ما قاله ٱلمتعلمون ٱلسّلف جميعهم فى كتاب ٱللّه. ومنه كلمة ٱلصَّلوٰة لا صواب فيه. فحنفت عنه وٱتبعت مسئوليتى ٱلشخصيّة عمّآ أرى.

بٱلدرس فى قول ٱلموعظة ٤٣ ٱلنسآء:

﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾.

رأيت أنّ ما فيه هو نهى للمؤمن عن **قرب** ٱلصَّلوٰة ليرصد ويرقب ويحسب ويحصى شيئا أوّ أمرا. إذا كان فى نفسه **سَكَر** يغلقهآ عليه.

أو كان فيها **جنُّ** يجنح به عنه.

وكلّ منهما **يمنعه** أن يعلم ما يقول. فلا يقرب ٱلصَّلوٰة **حتّى يغتسل**.

وفى قول ٱلموعظة بيان لأسباب أخرى لا تمنعه عن ٱلقرب وٱلعلم. لكنّها **تُعسره وتعيقه** فى ٱلعلم بما يقول. وعليه ٱلاغتسال للتطهّر منها قبل أن يقرب ٱلصَّلوٰة:

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾.

فإن لم يجد مآء ليغتسل. تتطهر نفسه من هذه ٱلأسباب. إن تيمَّمَ صعيدا طيّبا. وفيه يمسح وجهه ويديه (مسّاج).

وبٱلدرس فى قول ٱلموعظة ٦ ٱلمآئدة. رأيت فيها **قيامًا** إلى ٱلصّلوٰة وليس قربا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

وفيها وعظ :

﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ .

و ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ .

وبٱلدرس فى ٱلموعظتين رأيت :

أنّ **قرب** ٱلصّلوٰة له شرط «**حَتَّىٰ تغتَسِلُواْ**» .

وأنّ **ٱلقيام** إلى ٱلصّلوٰة له شرط أخر «**فَٱغسِلُواْ وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى ٱلمَرَافِقِ وَٱمسَحُواْ بِرُءُوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى ٱلكَعبَين**» .

وأن **قربها** غير **ٱلقيام** إليها . وأنّ لكلٍّ منها شرطه .

ولبيان فهمى للقول فى ٱلموعظتين (٤٣ ٱلنسآء و٦ ٱلمآئدة) ولكل قول يحمل كلمة «صلوٰة» فى كتاب ٱللّه . بدأت بموعظة تفتح لى ٱلسبيل :

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق .

ومَن «**يَقرَأُ**» شيئا يُخرِجُ منه «**قُرءًا**» . فٱلذى يكسر قشرة جوز يقرأ لبّها . وإذا عمل بما لديه من وسآئل صلوٰة ليصلّى على لبّها ويرى ويعلم ماذا فيه من نفع . يُرسلُ نور بصره فيه لينظر ويبصر ويدرك كلَّ قلم منه ويعلّمه بٱسم يميزه . ثمّ يُفكّرُ فى كلِّ ٱسم ويدرسُ ويفهمُ . ثمّ يقول مبيّنًا ما قرأه وعلم به من نفع ويفصّل فيه .

هذا ٱلفهم يتبعه فهم لدليل ٱسم «**ربّ**» وفعله . وهو من أسمآء ٱللّه . ويحمل دليل ومفهوم ٱلسيّد وٱلمَلِك ٱلقدُّوس ومالك ٱلملك وصاحب ٱلأمر فى ملكه ٱلذى يزيد ويتسع . فما يفعله ٱسم «ربّ» . هو **رُبوّ** ٱلحقِّ من **مقدار** منفصل (كوانتوم) إلى مقدار متصل (أشيآء ذات أجنحة «هندسة») :

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١ فاطر.

وبذلك فهمت أنّ مَن يقرأ بٱسم ربّه. يقرأ شيئا من أشيآء ٱلحقّ ٱلمربوب. كٱلجوز ولبّه. يعلم به وبدينه. وبٱلنفع منه شرعا وقوّة ومالا وملكا وأمنًا وطعامًا.

فإن أدرك هذا ٱلقارئ. أنّ ما فيه من نور «نفخت فيه من روحى». هو من ٱسم ٱللَّه «نور ٱلسَّمَـٰوٰت وٱلأرض».

وأنّه دليله ومرشده إلى سبيل ما يأتيه من نعم. وليس له غير ما فيه من روح ٱللَّه لينير له ويرشده.

وأنّ مَن يلتفت إلى خلف حيث ٱلسّلف ٱلميّتُ وقوله ٱلباطل. يُظلم على ما فيه من نور ويعميه عن جميع ٱلنعم.

يؤمن بٱللَّه بما فيه من روحه. ويؤمن ببيانه وبموعظته. ويعبده من دون ٱلناس سلف وخلف. فيتبع موعظته بإقامة ٱلصَّلوٰة وٱلقيام إليها وقربها. ينظر ويبصر ويرى ويعلم ويدرس ويقرأ ويبيّن أىّ حقٍّ مربوب بما فيه من نور. وبذلك يبلغ رتبة «ربّانىّ».

وإن عَقَلَ ما نُزِّلَ إليه من ربّه. من علم وبيان. قرأه وصار بين يديه بٱلصّلوٰة عليه. مع قرءان ٱللَّه وبيانه. يصدّق ويبلغ رتبه «إلَـٰهىّ».

وبذلك يهتدى بٱلنور. ولا يضلّ ولا يكفر كما كفر ربّانيُّون نُزِّل إليه من ربِّهم ورأوٓا أن ٱلسَّمٰوٰت وٱلأرض كانتا رتقا. ولم يعقلوا ليصدّقوا ويزول كفرهم:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٠ ٱلأنبيآء.

وبٱلعقل سيعلم أنّ «ٱلقرءان» بيانُ عليم شهيد سميع بصير للحقّ جميعه. مُرسل فى كتاب لهداية ٱلقارئين فى صلوٰتهم وقرئهم وبيانهم. وفيما يملكون. وفيما يشرعون من ٱلدِّين ٱلمعلوم وٱلمعروف لهم. وبه يحكمون فى ملكهم. وبه

يأمرون فيقرّشون قلوبا مختلفة ويؤلفون بينها. ويطعمونها من جوع ويأمنونها من خوف.

وسيدرك ويرىَ أنّ «ٱلقرءان» هو «**قرء**» واحد جديد فى كلّ وقت. وفيه بيان أحسن من بيان ٱلقارئين فى كلّ وقت. وأنّهم لن يستطيعوا بلوغه وسبقه فيما يقرأون ويبيّنون. وأنّ ثورة ٱلبيان وٱلتسطير للحقّ فيه. لن تهدأ ما داموا ينظرون ويقرأون ويبيّنون ويعقلون.

وسيرىَ أنّ ما يدلّ عليه ٱلثور «ا» وٱلحوت «ن» فى ٱلكلمة «**قرء - ان**». هو ثورة «ثور» لا تهدأ وليس لها حدّ. وتسطير حوت «ن» لا ينتهى ٱلتقليم وٱلتسطير فيه «نٓ وٱلقلم وما يسطرون».

وسيرىَ أنّ ٱلموعظة فى كتاب ٱللّه «ٱلقرءان». تهديه كيف يقرأَ بِٱسم ربِّه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ٢ ٱلكوثر.

وسيعلم أنّ ما قاله ٱلمتعلمون ٱلسّلف فى هذه ٱلموعظة. ما هو إلا لغو باطل وظنون جاهل ضلَّ فيما قاله عن ٱلحقِّ.

وأنّ ٱختلافهم فيما قالوه لغوًا وظنونًا يبيّن ضلالهم.

فمنهم من قال فى كلمة «**ٱنحر**». بذبح ٱلأضاحى.

ومنهم من قال. برفع ٱليدين أثناء ٱلتكبير.

ومنهم من قال. بوضع ٱليد ٱليمنى فوق ٱليسرى.

ومنهم من قال. بٱستقبال ٱلقبلة بنحره.

ومنهم من قال:

«اجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة»[1].

وسيعلم أنّ ما جاء لهم من قول. يخالف ما سجّله ٱلمُحصون من دليل

---

(١) تفسير ٱبن كثير.

ومفهوم للكلمة فى لسان ٱلأمِّين فى «المعاجم» ومنها «المعجم الوسيط»:

(نحر الأمور علمًا: أتقنها. وداري تنحر داره. ونحر العمل: أدّاه فى أول وقته. ونحر الشيء استقبله وواجهه).

فما سجّله ٱلمُحصون من دليل ومفهوم لكلمة «**نَحَرَ**» فى لسان ٱلأمِّين. يبيّن ٱلجمع فى دليلها بين دليل كلمة «**قَابَلَ**». ودليل كلمة «**وَاجَهَ**». وهذا ما لم يرَه ٱلمتعلمون ٱلسَّلف من ٱلقوم وٱلأعراب فى دليل ٱلكلمة. وفهموا ٱلقول ٱلموجّه لمؤمن «**فصلِّ لربك وٱنحر**». بما خرصوا فيه ظنًّا ولَغُوا فيه بٱلباطل. وبذلك غفلوا عن محمول ٱلقول. وفيه موعظة لمؤمن تهديه كيف يقيم ٱلصَّلوٰة (يبنيها). وكيف يقوم إليها يدوم عليها (يداوم دوام ٱلعاملين فىَ أىِّ عمل). وكيف يقربها (يدخل سمعه وبصره وفؤاده فيها). فتكون نفسه فى مقابلة ومواجهة مع ٱلشىء أو ٱلأمر ٱلذى يقوم إليه. ليقيمه بنآء على قواعده ٱلمرفوعة.

أو يقوم إليه ويقف عليه وعلى حاجته. ليقوم ويكمل بنآؤه.

أو ليطور فيه.

أو ليصلح هدما فيه.

أو ليقربه ويكون وسيلته فى رصد شىء وٱلعلم بما فيه.

فلا يجنح عن ٱلقيام إليه ولا فى قربه. ولا يغفل. ولا يسهوا. حتّى يقيمه بنآء لا يزيغ ولا يطغى فيه عن قواعده. أو يقرأ به شيئا ويعلم ما يقول عنه ويبيّنه. فما يصلِّى عليه. هو حقّ مربوب بفعل ٱلرّبِّ وسنّته ٱلتى لا تتبدّل ولا تتحوّل. وعليه أن يعلم بسنّة ٱلحقِّ ولا يغفل عنها ولا يسهوا. فيشيط ويغلبه ٱلباطل فيزيغ ويطغى.

وإن تذكّر سنّة ٱلحقِّ. لا يصرفه عن صلوٰته ٱلتى يقوم إليهآ أو ٱلتى يقربهآ أمر أخر حتى تقوم ٱلصَّلوٰة بنآءً.

أو يصل إلى ٱلرؤية وٱلعلم بكلِّ أمر فى هذا ٱلشىء ٱلذى يصلِّى عليه. وينيره بما يقوله ولا يترك بقعة ظلام فيه.

وبذلك سيعلم أنّ ٱلمتعلمين ٱلسَّلف من ءاباَء «ٱلمسلمين». ضلُّوا فيما قالوه من دليل ٱلكلمة. ولم يفهموا ٱلقول عن تحذير ٱللّه للمُصلِّين من ٱلسهو عن ٱلصَّلوٰة:

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ (٥)﴾ ٱلماعون.

وضلُّوا عمّا جاَء من أشراط ٱلقيام إلى ٱلصَّلوٰة. وأشراط قربها لتطهير ٱلنفس من ٱلأسباب ٱلتى **تمنع وتعسر وتعيق**. كمال بنآئها. وٱلقيام إليها. وقربها. وٱلعلم بما يقولون عمّا ينظرون فيه.

بذلك ٱلفهم لكلمة «**قرأ**». وكلمة «**قرء**». وكلمة «**نحر**». رأيت أنّ ما يفعله ٱلرَّبَّانيُّون من علماَء ٱلمقدار وٱلفيزياَء وٱلبيولوجيا. من رصد ومراقبة للأشياَء. وحساب وإحصاَء لها. هو بفعل ٱلقيام إلى ٱلصّلوٰة وبفعل قربها عبادة للأمر ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾. وهم ٱلذين يرفعون ٱلقواعد من بيوتها. ويقيمون ٱلصّلوٰة فيها. ويقومون إلى ٱلصَّلوٰة يدومون يطوفون عليها. ومنهم ٱلذين يقربونها. وبها يقرأون من ٱلأشياَء ٱلمربوبة. ويعلمون بما فيها من نفع ودين. وكيف حدث تكوينها وزاد وٱتسع مقدارها. وكيف يأخذون منها ٱلنعم وٱلأمن وٱلهداية فى شرع من ٱلدِّين أحسن وحكم رشيد.

وممَّا رأيته فى ٱلموعظة صَلوٰة يَقصُرُ بناَؤها:

﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ ١٠١ ٱلنساَء.

ٱلقَصرُ. ضِدُّ ٱلمدِّ وٱلطّول. وفى ٱلموعظة بيان لصلوٰة يميل إليها ٱلضَّارب فى ٱلأرض يصلِّى بها على ٱلكافرين فى ديارهم. فإن خاف من فتنتهم له بأىِّ أمر أو شىء يستهويه ويلهيه ويصرفه عن عمله. يَقصُرُ فى بناَء هذه ٱلصَّلوٰة وفى ٱلقيام

إليها ليستطيع أن يخفى ما يفعله عن عدوّه. وهو يصلّى بها ليعلم بجميع ما لدى عدوّه من قوّة.

ومن ٱلصَّلَوٰة ٱلتى يصلّى بها ٱلمؤمن ويحافظ عليها. بنآء كبير يقوم إليه يدوم يطوف فيه. وفيه يقرب ٱلصَّلَوٰة ويُصَلّى وينير لنفسه. ومنها ٱلوسطى ومنها ٱلقصير:

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ ٢٣٨ ٱلبقرة.

وإلى هذه ٱلصَّلَوَٰتِ يقوم ٱلمؤمنون ويقربونها. يطلبون ٱلنُّور. ويصبرون فيما يعملون حتّى يُنار لهم دين ٱلحقّ فيما يصلُّون عليه. فيطيعون ويتبعون ٱلنّور ولا يلتفتون إلى خلف.

أعود إلى ٱلنهى ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فى ٱلموعظة ٤٣ ٱلنسآء. من بعد ٱلنظر فى ٱلفتوى ٱلتالية:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ . .﴾ ٢٢٢ ٱلبقرة.

فى هذه ٱلفتوى توجيه لسلامة ٱلنسآء من ٱلأذى بقربهنّ وفى فروجهنّ **محيض**. وهو دم قلّ مآؤه يُعسر ٱلحركة فى ٱلفروج ويسبب عقرًا[1] فيها. فٱلأذى هو **عقر فى ٱلفرج** (مهبل). يحدث بفعل ٱلحركة فيه وبسبب قلّة ٱلمآء فى دم ٱلمحيض (دم يتخثّر). فٱلنهى ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾. يعظ بٱلامتناع عن ٱقتراب ٱلفروج (تداخلها) حتّى تطهر من سبب ٱلأذى.

وٱلمثل على قربهنّ فى ٱلسيف وبيته (جرابه أو غمده). فبعد دخول ٱلسيف فى غمده يظهران جسدا واحدا. و **ٱلسيف** هو **ٱلقريب**. و **غمده** هو **ٱلقُربة**.

---

(١) ٱلعقر هو جرح ملتهب.

وفرج **ٱلذكر** هو **ٱلقريب**. وفرج **ٱلأنثى** هو **ٱلقُربة**. ومن ٱلقريب مآء فى وعآء فخار. و **وعآء ٱلفخار** هو **ٱلقربة**. ونور بصر مَن يصلِّى على كوكب بمنظار **نور بصره** هو **ٱلقريب**. و**ٱلمنظار** هو **ٱلقربة** وهو **ٱلصَّلوٰة** ٱلتى بنيٰها ونام إليها وقربها. و**ٱلكوكب** هو **ٱلمصَلَّى** عليه.

لقد ٱقترن ٱلنهى فى ٱلموعظة ٤٣ ٱلنسآء ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ . . وَلَا جُنُبًا﴾ بٱلمأرب من ٱلاقتراب ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾. وتبين ٱلموعظة أن لهذا ٱلمأرب شرط ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾. وأنّ ٱلمأرب من ٱلشرط. هو ٱلتطهر من ٱلأسباب ٱلتى **تمنع ٱلقرب**. ومن ٱلأسباب ٱلتى **تعسر** و**تعيق ٱلعلم** و**ٱلقول**.

هذا ٱلشرط ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾. هو لجميع ٱلأسباب ٱلتى تمنع ٱلقرب (سُكَٰرَىٰ. جُنُبًا). وٱلتى تعسر وتعيق ٱلعلم وٱلقول (مَّرضَىٰٓ. عَلَىٰ سَفَرٍ. جَآءَ أَحَد مِّنكُم مِّنَ ٱلغَآئِطِ. لَمَستُمُ ٱلنِّسَآءَ).

أما **ٱلقيام إلى ٱلصَّلوٰة** (ٱلدوام عليها). وهو دوام وطواف عليها. فجآء شرطه فى ٱلموعظة ٦ ٱلمآئدة «**فَٱغسِلُواْ وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى ٱلمَرَافِقِ**». وهو غسل للوجه وٱلأيدى من دون ٱغتسال.

«**وَٱمسَحُواْ بِرُءُوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى ٱلكَعبِين**». هو مسح (مسّاج) للرأس وٱلأرجل **كاملة من أعلى ٱلفخذ إلى ٱلكعبين**.

أمآ إن كان ٱلسبب «**سُكَٰرَىٰ**». أو «**جُنُبا**». وكلّ منهما سبب **يمنع** من ٱلقيام «**وَ إِن كُنتُم جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ**». ويمنع من ٱلقرب «لا تَقرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وأَنتُم **سُكَٰرَىٰ** حَتَّىٰ تَعلَمُواْ مَا تَقُولُونَ **ولا جُنُبًا** إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ **حَتَّىٰ تغتَسِلُواْ**». فٱلتطهر منه لا يحدث من دون ٱغتسال.

وتُستثنى ٱلأسباب ٱلتى تعسر وتعيق (مَّرضَىٰٓ. عَلَىٰ سَفَرٍ. جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلغَآئِطِ. لَٰمَستُمُ ٱلنِّسَآءَ). من ٱلاغتسال كشرط **للقرب** فى ٱلموعظتين إن لم يجدوا مآء. ومن ٱلغسل ٱلجزئىّ ومسح ٱلأرجل إلى ٱلكعبين كشرط **للقيام**. وأنّ

ٱلتطهر منها للقيام وٱلقرب معا. هو فى ٱلتوجّه إلى صعيد طيب وٱلتنفس فيه ومسح ٱلوجه وٱلأيدى (مسّاج). من دون ٱلرأس وٱلأرجل «فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا **فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُم وَأَيدِيكُم**.

وبذلك علمت أنّ **ٱلقيام** إلى ٱلصلوٰة **وقربها**. لا نفع منهما من دون نفس متطهرة من تلك ٱلأسباب. وبعد تطهرها تقوم فتبنى وتكمل ٱلبنآء على قواعده ٱلمرفوعة. وإليه تقوم وفيه تقرب فترسل نور بصرها نحرا. تنظر فى شىء مربوب بوسيلة رصدٍ. ترقبه وتحسب وتحصى كلّ أمر فيه. لتقرأه وتنير ما فيه من دين بقول يبينه.

وتبيّن ٱلموعظة ٦ ٱلمآئدة. أنّ وسيلة تطهير ٱلنفس **عند كلٍّ قيام** إلى ٱلصَّلوٰة من جميع ٱلأسباب ٱلتى تعسر وتعيق. بٱستثنآء ٱلسبب «**جُنُبًا**». هى فى غسل ٱلوجه وٱلأيدى بٱلمآء إلى ٱلمرافق. ومسح ٱلرأس وٱلأرجل إلى ٱلكعبين. وإن لم تجد مآء. فٱلوسيلة **صعيد طيّب**.

ويبيّن دليل ومفهوم كلمة «**صَعَدَ**» ٱلقول فى ٱلموعظتين «**فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا**». وٱلصعيد موقع مرتفع فى ٱلمكان ٱلذى **تقوم** ٱلنفس إليه **وتقرب** فيه. فتصعد إليه أو تخرج إلى حديقته.

وتبيّن كلمة «**طَيِّب**». وهى ٱلنقيض لكلمة «**خبيث**». أنّ هذا ٱلموقع ٱلمرتفع لا يرجس فى هوآئه خبث يفسده. فتُيَمِّمُ ٱلنَّفسُ ذلك ٱلموقع صاعدة إليه تريد منه ٱلطُّهرَ بٱلتنفّس من هوآئه ٱلطَّيِّب. وبمسح ٱلوجه وٱلأيدى بٱلكفَّين (مسَّاج) من دون ٱلمواقع ٱلأخرى.

لقد قال ٱلمتعلمون ٱلسَّلف من أبآء «ٱلمسلمين» فى ٱلموعظة ٤٣ ٱلنسآء:

أن «**سُكَـٰرَىٰ**». هو حال من شرب ٱلخمر.

وأن «**جُنُبا**». هو حال ٱلذى خرج من فرجه منىّ. أو ٱلتى دخل فرجها منى.

وأنّ «**ٱلغآئط**». (براز).

وأنّ «**لَـٰمَستُمُ ٱلنِّسَآءَ**». (جماعا).

وأنّ «**فتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا**». مسح ٱلوجه وٱلأيدى بتراب.

وقالوا مثله فى ٱلموعظة ٦ ٱلمآئدة. لا يفرقون بين **يُقِيمُ ويَقُومُ ويَقرِبُ**. وكفروا بتخريصهم وضلالهم. على ما فى ٱلموعظتين من قول للّه يهدى من جعله فى ٱلأرض خليفة. فى كيف ينظر ويعلم ويقرأ ويبيّن ويملك ويقوى فيطعم من جوع ويؤمن من خوف.

بما سبق من درس وفهم للموعظتين. وبدرس لدليل ٱلسبب ٱلمحمول بكلمة «**سكارى**». فإنّ ٱلدليل وٱلمفهوم لكلمة «سَكَرَ» فى لسان ٱلأميِّن. هو ٱلسد وٱلإغلاق. ومنه «**سِكرُ ٱلمآء**». و«**سِكرُ ٱلباب**». وغيره من وسآئل ٱلسدّ وٱلإغلاق. فإن سكرت نفس ٱلإنسان. تُغلَقُ وتُسَدُّ شعآئرها (معابر شعرية للمعلومات إليها). ومن أسباب سكرها. ما فيها من مناهج شَيطٍ[1] تجاب على ٱلقلب فتعمى ٱلبصيرة. ومن تلك ٱلأسباب. ٱلغضب وٱلحزن وٱلخسارة وٱلظفر وٱلربح وٱلمال. ومن تسكر نفسه بواحد من هذه ٱلأسباب. لا يعلم ما يقول. وٱلاغتسال فى مثل هذه ٱلحال. يطهّر ٱلنفس من سبب سكرها ويفتح شعآئر سمعها وبصرها. فتقرب وتصلّى وتعلم ما تقول.

فسكر ٱلنفس يغلقها. لا ٱلعين تبصر ولا ٱلأذن تسمع. وهذا ما يبيّنه ٱلبلاغ يوم زلزلة ٱلساعة:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ ٱلحج.

---

(١) يشيط ٱلحليب ٱلموضوع على ٱلنار بٱللهو وٱلسّهو عنه.

كلّ نفس مسكرة على ذاتها. مذهولة عن غيرها لا يهمها رضيع ولا حمل. فهى ليست مسدودة ومغلقة بسبب غضب أو حزن أو ظفر أو ربح أو مال أو سلطان أو نوم. كما كان حالها فى ٱلحيوٰة ٱلدّنيا. بل هو ذهول بسبب ٱلعذاب ٱلشديد.

أما سكرها بسبب شرب ٱلكثير من ٱلخمر. فلا تتطهر منه حتّى تهلك طاقته ويطرح رماده خارج ٱلجسم.

فى ٱلموعظة ٦ ٱلمآئدة. وعظ بٱلتّطهّر من ٱلجُنُب قبل **ٱلقيام** إلى ٱلصَّلوٰة.

وفى ٱلموعظة ٤٣ ٱلنسآء. وعظ بٱلاغتسال للتطهّر منه قبل **قربها**. وفيها ٱستثنآء من ٱلاغتسال للجنب عابر ٱلسبيل. فمَن يعبر سبيلا يتابع علاماته حتى يعبره ولا يضيع فيه. سمعه وبصره وفؤاده جميعها تتابع رصد ٱلسبيل ومراقبته. وكلّ أمرٍ أَخر لآ أهميّة له وهو يعبر ٱلسبيل. فلا يستطيع أن يقطع متابعته لعلامات ٱلسبيل ومخاطره لينظر نحرًا فىَ أىِّ مسألة أخرى.

ومن دليل ومفهوم لسان ٱلأميِّن لكلمة **جنب** و**جانب** و**جنوب** و**أجنبىّ**. فهمت أنّ ٱلجُنُبَ هو مَن يتابع أكثر من أمر بسمعه وبصره وفؤاده. من دون أن تكون له متابعة نحريّة لأىِّ منها. وهو غير منصرف إليها دون سوىٰها. وفى ٱلموعظتين ٱستثنآء **للجُنُب** ٱلعابر لسبيلٍ من شرط **ٱلقيام** إلى ٱلصَّلوٰة ومن شرط **قربها** بٱلاغتسال. وقيامه إليها وقربها يكون بوسيلة ٱلاتصال بما بين يديه من وسآئل ٱلاتصال وٱلاستماع إلى ٱلأخبار. أمآ إذا كان جُنُبًا غير عابر لسبيل. فلا يقوم إلى صلوٰة ولا يقربها. حتى تتطهر نفسه مما يلهيها بٱلاغتسال.

ومما سجّله ٱلمُحصون فى «المعجم» من قول للأميِّن عن «**ٱلغآئط**»:

(غَاطَ فى الشىء: دخل فيه وغاب. أَغَاطَ بئرَه: أبعد قعرها. غوَّطَ البئرَ:

حفرها فأَبعد قعرها. الغائط: المنخفض الواسع من الأرض. الغَوط: أشدّ انخفاضا وبعدا من الغائط).

لم أرَ منه أمرا فيما قاله ٱلمتعلمون ٱلسّلف (التغوط، وهو الحدث الأصغر)[1].

ومن ٱلمفهوم ٱلمحمول فى قول ٱلأميّن رأيت فيه وصفا لمَن كان **نآئما نوما عميقا**. كقولهم عَمَّن نام بعمق: (غطّ فى نومه). ومثله مَن كان منصرفا إلىَ أمر أو مسألة يتعمّق فيها. وما زالت تسكر نفسه بهآ. أو مَن جآء من سفر ومن مكان بعيد. ولم يأخذ نصيبا من ٱلراحة.

كذلك هو ٱلأمر فيما قاله ٱلمتعلمون ٱلسَّلف عن «**لَـٰمَستُم ٱلنِّسَآء**». وقد خلطوا دليل ومفهوم كلمة «**لمس**». وأرجسوه بدليل ومفهوم كلمة «مسّ». من دون علم بدليل كلٍّ من ٱلكلمتين. فقال بعضهم هو «الجماع». وقال بعض أخر هو «الغمز». وقال أخرون هو «جسّ باليد» و«قبلة»[2].

ومن مفهوم ودليل كلمة «**لَمَسَ**». ٱلقول (طلب أمرا وأَلَحَّ فى ملاحقته). ومنه قول أخر: (ٱلتماس نقض ٱلحكم. وٱلتماس ٱلرحمة وغيره). وهذا ٱلدليل ليس من دليل كلمة «مَسَّ». وخلطُ ٱلسّلف بين دليل ٱلكلمتين لَغوَ وفَحَش فيهما وفى ٱلقول ٱلحامل لهما.

ومما زاد من ٱللغو وٱلفحش. إقحامهم لكلمة «**نظافة**» ٱلأوردية فى ٱلقول ٱلعربىّ وكأنها منه. وبهذه ٱلكلمة حُرفت كلمة «**طَهَرَ**». عن موضعها. فضاع دليلها ومفهومها. وهو ٱلتخلّص وٱلتحرر من رجسٍ علق بلباس قلبٍ يَمَسُّه. فتشيط ٱلنفس فى قولها وفعلها. ومنه قول ٱلأميّن عن مجنون «مَسَّهُ شيطان». وقولهم يشبه ٱلقول فى كتاب ٱللَّه:

---

(١) تفسير ٱبن كثير.

(٢) ٱختلاف قولهم معروض فى تفسير «ٱبن كثير».

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ ٢٧٥ ٱلبقرة.

وجآء ٱلمَسُّ فى ٱلفتوى:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ..﴾ ٢٣٦ ٱلبقرة.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ..﴾ ٢٣٧ ٱلبقرة.

وفى ٱلفتوى بيان لما تدلّ عليه كلمة «مَسّ» من فعل لمنهاج «عَرشٍ» نُزِّلَ على شيء فمَسَّهُ وصار من لباسه. وٱلمثل عليه فى تنزيل مناهج ضوئية من لوح «ليزرىّ CD» على «هارد ديسك كومبيوتر computer hard disk». فتَمَسُّه تلك ٱلمناهج وتصير لباسا له. أو من لباسه «سوفت وير software».

فٱلقول «**مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ**». وٱلقول «**مِن قَبلِ أَن تَمَسُّوهنَّ**». يبينان ٱقتراب وتنزيل «**نطفة**». من دون أن يحدث تحميل لعرشها فى «**بيضة**». فٱلطلاق من قبل ٱلمسّ. أما من بعد ٱلمسِّ. فلا طلاق قبل توثيق حقوق ٱلمنهاج ٱلمنزّل بٱلنسب وأجر ٱلحمل وٱلرّضاعة.

وفى ٱلقول ٱلعربىّ بيان لهذا ٱلمفهوم:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ ٱلواقعة.

وٱلقرءان نزل فى كتاب ليكون لباسا لقلب مَن ينزّله عليه:

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ ٢٦ ٱلأعراف.

فٱلكتاب نزل. وتنزيله على ٱلقلب لِيَمَسُّهُ ويكون لباسا له. يحتاج إلى تهيئة للقلب format disk. بتطهيره من جميع مناهج ٱلتعبيد بٱلشَّيط وٱللغو وٱلفاحشة. من قبل أن يكون تنزيل ومسّ ولباس.

فٱلمطَّهرون هم من تطهّرت قلوبهم من كلِّ منهاج يرجس فيما ينزل عليها من لباس.

أما تنزيل ٱلكتاب على ٱلقلب. من دون تطهيره من مناهج ٱلتعبيد. لا يَمَسُّ ٱلقلب ولا يكون له أثر فيه.

فٱلقول «لامستم ٱلنسآء». يبيّن ٱلطلب وٱلإلحاح وٱلملاحقة لهنَّ. بإرسال ٱلنظر وٱلقول ليكون من بعده «جسّ باليد». أو «قبلة». أو قرب من دون مسٍّ. أو قرب ومسّ.

وفى ٱلموعظتين أنّ غسل ٱلجسم كلّه. شرط لقرب ٱلصَّلوٰة. وغسل أجزآء منه ومسح أخر. شرط للقيام إليها. وبتحقيق ٱلشرط تطهر ٱلنفس من منهاج «لمس» ٱلعالق بها. وإن لم يجدوا مآء «فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا».

وبذلك علمت أنّ ٱلموعظة «**صلِّ لربك وٱنحر**». تبيّن قول ٱلموعظة «**لا تقربواْ ٱلصّلوٰة وأَنتُم سُكَٰرى. . ولا جُنُبًا إلا عابرِى سبيل حتّى تغتسلواْ**». فمَن يقرب ٱلصّلوٰة ليصلِّى نحرا على شىء مربوب. يقطع ٱلسمع وٱلبصر وٱلفؤاد عن أىِّ شىء أخر.

وفهمت أنّ ٱلطّهارة فى ٱلقول «**يريد ٱللَّه ليُطهّركم**». موعظة لتطهير ٱلنفس فى قيامهآ إلى ٱلصَّلوٰة. وفى قربها. من أسباب سكرها وسهوها وتوزّعها بين ما هو أمامها وما هو جانبها.

وأنّ وسيلة تطهير ٱلنفس من أسباب ٱلسّكر وٱلجنب لتقرب ٱلصَّلوٰة. هى ٱلاغتسال بٱلمآء.

وأنّ ٱلاغتسال بٱلمآء هو ٱلوسيلة لتطهيرها من ٱلجنب لتقوم إلى ٱلصَّلوٰة.

أما تطهيرها من جميع ٱلأسباب ٱلأخرى. فهو فى ٱلقرب بٱلاغتسال. وفى ٱلقيام إليها بغسل ٱلوجه وٱلأيدى إلى ٱلمرافق بٱلمآء. ومسح ٱلرأس وٱلأرجل إلى ٱلكعبين.

وإن لم تجد مآء فى ٱلقيام وفى ٱلقرب. فإنّ وسيلة تطهيرها من جميع ٱلأسباب ٱلأخرى. هى مسح ٱلوجه وٱلأيدى فى صعيد طيّب.

ٱلصَّلوٰة وٱلزّكوٰة وٱلرّكوع

فى ٱلقرءان موعظة لبنىٓ إسرٓءيل:

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ ٤٣ ٱلبقرة.

وبٱللغوِ فيه حُرف دليل ومفهوم كلمة «**زكوٰة**». إلى دليل مفهوم لغو بكلمة «**ضريبة**». وأُرجس دليل كلمة «**ركع**». فى دليل كلمة «**سجد**». وبٱللغو وٱلتحريف أضاع جميع ٱلذين تعبَّدوا بلسان ومنهاج ٱلمحرفين. ٱلهداية فى طاعة هذه ٱلموعظة وأضاعوا ٱلصَّلوٰة.

ويبيّن قول ٱللَّه أنّ مَن أضاعوا ٱلصّلوٰة. يُساقون بٱلشهوات فيغوون:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ٥٩ مريم.

وفى دليل «**ٱلغىّ**». دليل كلٍّ من ٱلجهل وٱلكذب وٱلضَّلال وٱلخيبة وٱلمرض وٱلضّعف وٱلهون وٱلذِّلّ وٱلشَّرّ. وهٰذا هو شأن ٱلذين «أضاعواْ ٱلصَّلوٰة وٱتَّبعواْ ٱلشَّهَوات». وهم جميع ٱلشعوب ٱلجاهلة ٱلضعيفة وٱلمنخفضة ٱلتى لا طعام لها من جوع ولآ أمن من خوف. وبمآ أَلِفَت أنفسهم من مفاهيم ٱلجهل وٱلباطل. يقعدون فى سبيل ٱللَّه ويصدّون عنه ٱلناس كما يصدّون أنفسهم.

فى قول ٱللَّه أنّ ٱلذين يتبعون ٱلإنسان ٱلمثل «عيسى ٱبن مريم». هم ٱلذين يُصَلُّون وهم فوق ٱلذين كفروا:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ٥٥ ءال عمرٰن.

وفى قوله بيان لسبيل «عيسى»:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)﴾ ءال عمرٰن.

وسبيل ٱلذين ٱتبعوا عيسى هو:

سبيل ٱلعلم بٱلخلق وٱلتسوية (أخلُقُ لَكُم.. فيكون طيرًا).

وسبيل ٱلعلم بٱلطب وٱلشفآء (وأُبرئُ ٱلأَكمَهَ وٱلأَبرصَ).

وسبيل ٱلعلم بٱلحيوٰة وٱلموت (وأُحِى ٱلمَوتَى).

وسبيل ٱلعلم بٱلطعام (وأُنَبِّئُكم بما تَأكُلونَ).

وسبيل ٱلعلم بٱلاقتصاد (وما تَدَّخِرُونَ فى بُيُوتِكُم).

وٱلذين ٱتبعوه. هم ٱلذين يخلقون ويسوّون ويصنعون ويعلمون بٱلشفآء من ٱلمرض وبٱلحيوٰة من بقيّة موتى وبٱلطعام وبما يدّخرون. وهذا لا يحدث من دون إقامة للصّلوٰة وٱلقيام إليها وقربها.

ولأنّ ٱلذين يتبعون «عيسى» يقيمون ٱلصّلوٰة ويقومون إليها ويقربونها لينظروا ويعلموا بٱلحقّ ودينه. ملكوا وعلوا فى ٱلأرض علما وقوّة وكثر طعامهم وءامنوا أنفسهم وأهلهم من خوف. وهم ٱلذين ينيرون بنظرهم وعملهم فعل سنّت ٱلرَّبِّ ودينه. وهم ٱلذين يستطيعون أن يأتوا بٱلزكوٰة ويركعون مع ٱلرَّاكعين. من بعد عقلهم بَينَ ما كشفوا عنه وعَلِمَوا به. وبَينَ بيان ٱللّه عن كلّ شىء. وهم ٱلذين يشفعون[١] أنفسهم بأسمآء ٱللّه ٱلحسنى. ومنها أسمآء «مالك» و«ربّ» و«مؤمن» و«عليم» و«حكيم» و«سَلَـٰم».

---

(١) ٱلشفع ٱسم لكلّ زوج متحد كٱلهيدروجين H2. وضدّه ٱلوتر. وشفع نفس ٱلإنسان بأسمآء ٱللّه. هو ٱكتسابها للاسم ومنهاجه. وٱلاتحاد بما يدلّ عليه من قدرة. كٱسم ٱلعليم وٱلقوى وٱلخبير وٱلغنى وٱلحكيم..

أمّا ٱلذين لم يتبعوه وأضاعوا ٱلصّلوٰة. فلم يعلموا بسبيله وبقى عليهم منكرا. فصيطر عليهم ٱلبغى وٱلطغوى بٱلجهل وٱلباطل. وٱتخذوا لأنفسهم من أسمآء ٱلباطل وأسلموا له. فكفر عليهم ٱلعلم بٱلحقّ وجهلوا وجاعوا وخافوا وٱنخفضوا فى ٱلأرض مذلّين مهانين. وحالهم فى ٱلحيوٰة ٱلدنيا وٱلأخرة يبيّنه قول ٱللّه:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ٥٦ ءال عمرٰن.

ما يبيّنه قول ٱللّه. أنّ ٱلذين يعلمون وٱلذين لا يعلمون. لا يستوون:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ٩ ٱلزمر.

وأنّ مِنَ ٱلذين يعلمون ويعبدون مَن يتذكر ويخشى ٱللّه بعلم:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ٢٨ فاطر.

وٱلعلمآء وأولهم ٱلرّبّانيّون (علمآء ٱلفيزيآء وٱلمقدار وٱلبيولوجيا). هم ٱلذين يقيمون ٱلصّلوٰة ويقومون إليها ويقربونها. وهم ٱلذين يسيرون فى ٱلأرض ينظرون ويعلمون ويقرأون بٱسم ربّهم وينيرون أشيآء ٱلحقّ ٱلمنظور. فيعلمون بما فيها من دين ويؤمنون. فيكتبون لأنفسهم شرعا من ٱلدين بما نُزِّلَ إليهم من ربّهم لا يفسقون عليه. فيحكمون فيما ملكوا ويؤمنون من ٱلخوف ويعلون فى ٱلأرض. وهم ٱلذين يقول ٱللّه موكّدا لهم حتميّة علمهم بٱلنشأة ٱلأولى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

ولأنّهم يصلّون. فلهم يتوجّه ٱللّه منذرا:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ ٱلماعون.

سَهَوَ فى ٱلشىء ومنه تَرَكَهُ. وهٰذا للذين أقاموا ٱلصّلوٰة وسهوا عن ٱلقيام إليها وعن قربها. فيأتيهم ٱلويل بسبب سهوهم. فيُسبَقُون فى ٱلتنافس ٱلجارى بين ٱلناس:

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ (٤١)﴾ ٱلحج.

صَلَوَٰتُ ٱسم جمعٍ للصَّلوٰة. ٱلكبير مَدُّهُ وطوله منها. وٱلقصير وٱلوسط. ومنها ما يُقام لرصد ومراقبة ٱلأشيآء صغيرها وكبيرها. ومنها لرصد ومراقبة ٱلسمآء وحركة أفلاكها ورؤية ٱلرتق وٱلفتق. وأخرى لرصد ومراقبة تطوُّر قوَّة ٱلأخرين وضعفهم. ومنها **ٱلجامع** تقام فيه **صلوٰة ٱلجُمعة** للشُّورى ولرصد ومراقبة أعمال كهّان ٱلسلطة وعبادتهم للأمر ومناسكه. ومثله ٱليوم «ٱلكونغرس ٱلأمريكىّ» وهو ٱجتماع يجمع بين مجلس ٱلشيوخ ومجلس ٱلنّواب.

صَوَٰمِعُ ٱسم جمعٍ لمكان ٱلصناعة وٱلخزن.

بِيَعُ ٱسم جمعٍ لمكان ٱلبيع وٱلتِّجارة وتوثيق ٱلعقود ومكان خزن ٱلأموال كٱلبنوك وغيرها.

مَسَٰجدُ ٱسم جمع لمكان تسيير أعمال ومصالح ٱلناس طاعة للأوامر وٱلمناسك ٱلصَّادرة عن ٱلأمير. من دون أن يكون للسّاجد إرادة فى تبديل أو تغيير ٱلأمر وٱلمنسك. فٱلفعل «سجد» يدلّ على ٱلخضوع وٱلطَّاعة من دون إرادةٍ ولا تطّوعٍ.

و«دفعُ ٱللَّه ٱلنَّاس بعضَهم ببعضٍ». يحثُّهم على تجديد هٰذه ٱلوسآئل وٱلتَّوسع فىَ إقامتها. طلبًا لِّلقوَّة وٱلعزّ وٱلتّمكن فى ٱلأرض. وفى ٱلتنافس عوامل قوَّة وعزٍّ ونصر لِّلَّذين يقيمون ٱلصَّلوٰة بكلِّ ألوانها ولا يسهون عنها.

ما يدلّ عليه ٱلطَّلب «**أَقيموا ٱلصَّلوَٰةَ**». هو إقامة جميع وسآئل ٱلمراقبة

وٱلرّصد لحركة وأعمال ٱلناس فى كلِّ مكان. وٱلأشيآء صغيرها وكبيرها وٱلسّمآء وما فيها. وما يغيب عن بصر ٱلعين فى ٱلأشيآء وصولا إلى ٱلأزواج ٱلشهريّة «ٱلميزونات»[1]. وٱلذين يصلُّون ولا يسهون يَنصُرونَ ٱللّه. هو **قريب** وأنفسهم **قربة**. وبما فيها من رَوحٍ ورَيحَانٍ لنوره. ينصرهم على ما فيها من ظلم وجهل. وهم ٱلذين يستطيعون ٱلجواب على سؤال ما زال مظلم عليه. «**ٱلدجاجة أولا أم ٱلبيضة**»؟ فإن عقلوا ما علموا به ممَّا نُزِّلَ إليهم من ربِّهم بصلاتهم. مع بيان ٱللَّه فى كتابه. سيجدون ٱلجواب على هذا ٱلسؤال فيما قاله مبيِّنًا:

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ٤ يونس.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ٣٤ يونس.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ ١٠٤ ٱلأنبيآء.

وبٱلعقل سيعلمون أنّ ٱلدجاجة وٱلبيضة تتبادلان ٱلموقع «أولا». وأنّ بيان ٱللّه يدحض قَولَ مَن يلغو ويشيط فى ٱلجواب على ٱلسؤال بكلمة «عدم». وأنَّ من يلغوا ويشيط بهذا ٱلجواب. لا يذكر ما عَلِمَ به من أنّ زوجية «مادة- طاقة» باقية محفوظة. وأنّه لا سبيل لمفهوم ٱللّغو «عدم». لا فى ٱلحقِّ ولا فى بيان ٱللّه.

تدلّ كلمة «**زكوٰة**». على ٱلبّر وٱلصّالح وٱلحسن وٱلصّادق. فى ٱلقول وٱلعمل وٱلأمر. وهذا نقيض ٱلطّغيان وٱلكفر. وٱلنفس ٱلزكيَّة طاهرة من مناهج ٱلطغيان وٱلكذب وٱلكفر كنفس عيسىٰ بن مريم «غلاما زكيًّا»[2].

وٱلمصلّون يعلمون ويأتون بٱلزّكوٰة ويأمرون بٱلمعروف وينهون عن ٱلمنكر.

---

(١) ميزونات ٱسم لأزواج عدّة ٱلفيزيآء ٱلأولية.

(٢) قولى فى دليل ومفهوم كلمة «زكوٰة». فى «مدخل إلى ٱلكتاب» فى كتابى «أنبآء ٱلقرءان».

أما ٱلجاهلون فأضاعوا ٱلصّلوٰة. ولا يعلمون ولا يأتون بٱلزكوٰة ويأمرون بٱلفحشآء[1] وٱلمنكر فيَلقَونَ غيًا.

لقد حرف ٱللّغو كلمة «زكوٰة» عن موضعها وجعلها فى موضع كلمة «مكوس» (ضرائب ورسوم). فضيّع دليل ٱلكلمة وٱلهداية إليه.

وفَعَلَ ٱللغوُ مثلَ ذلك مع كلمة «**ركع**». وكلمة «**سجد**». ووضعهما معا فى موضع كلمة «خَرَّ». وجعل للكلمتين دليلا واحدا هو فى ٱلنزول بٱلجسم إلى ٱلركبتين. وهذا ٱلدليل يلغوا فى دليل ٱلسجود وهو ٱلخضوع لشرع معروف من ٱلدِّين وٱلأمر به من دون فسق عليه. وفى قول ٱللَّه بيان لمفهوم ٱلسجود:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٤٩ ٱلنَّحل.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ ١٥ ٱلرَّعد.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ٦ ٱلرَّحمٰن.

جميع ٱلأشيآء «**ما**» و«**مَن**» ومنها ٱلنَّجمُ وٱلشَّجرُ وٱلناس تتماثل فى ٱلخضوع بٱلفعل «**سجد**» من دون إرادةٍ.

ٱلدَّوآبُّ وٱلملَـٰئكة وٱلنَّجمُ وٱلشَّجرُ «ما». لا تنظر ولا تتفكر ولا تعلم ولا تريد. وتسجد فىَ أفعالها من دون علم ولآ إرادة لها بسنّة تكوينها وهلاكها.

(١) فى لسان ٱلأميين ٱلأراميين «بحش». وهذا ٱلفعل يقوم به ٱلدجاج يبحش ويذرّ ٱلتراب وٱلحصى وٱلحبوب فوق بعضه. فيصعب تفريقه وتمييزه وٱلعلم بأصله. وفى لسان ٱلأميين من قوم ٱلرسول «فحش». وٱلفاحشة تعبث وتخلط بين ٱلحقِّ وٱلباطل. وبين ٱلذكر وٱلأنثى بما يُعرف بٱلمثلية. وتعبث وتخلط بين ٱلأولاد بفعل ٱلشرك. فيضيع ٱلأصل وٱلنّسب. وٱلفحش فى ٱلِسان. يعبث فيه بوضع كلمة من لسان فى موضع كلمة من لسان أخر. وٱلفحشآء فى ٱلأمر. ٱسم لكلِّ أمر لا يستند إلى شرع معروف. وهو ما يراد منه بكلمة ٱللغو «فوضى».

ومن ٱلدَّوآبِّ ٱلبشر. لا يصلِّى ولا يعلم من دون رَوحٍ ورَيحَانٍ لما فيه من رُوح ٱللَّه.

أما «مَن» ما فيه من رُوح ٱللَّه فى رَوحٍ ورَيحَانٍ. يصلِّى ويعلم بدين وسنَّة سجود ٱلأشيآء. وبعلمه بهما يسجد لهما متطوعا. فيكون لسجوده ٱسم ركوع. وإن كان من ٱلذين يؤمنون بٱللَّه وٱليوم ٱلأخر ويتلوا ٱلقول:

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ ٤٣ ٱلبقرة.

يعلم أنَّ ٱلطلب موجَّه إلى ٱلَّذين ينظرون ويعلمون ويقرأون. وأنَّ ٱلتدافع بين ٱلناس يجعل ٱلذين يعلمون منهم يقيمون ٱلصّلوٰة ولا ينتظرون هدم[١] ٱلصوامع وٱلبيع وٱلصّلوات وٱلمسٰجد. فيجددون فيها من دون بخل ولا سهو حتّى لا يُسبقون. لأنّهم يعلمون أن كمال نظرهم لا يكون لهم من دونها. وأنّها ٱلوسيلة ٱلتى تُوصلهم إلى ٱلعلم بدين ٱلحقِّ. وبإسلَٰم وسجود ٱلأشيآء لهم. وبوصولهم إلى ٱلعلم بهما. يركعون مع أمثالهم من ٱلعالمين. ٱلذين يسجدون لدين ٱلحقِّ وشرعه ٱلمسنون. بعلم ودراية بهما. فيكون إسلامهم وسجودهم لهما طَوعًا هو ٱلرّكوع.

هذا ٱلأمر وٱلفعل يحدث بٱلقلب (العقل والدماغ فى اللغة). وليس بٱلجسم. وبما وعت قلوب ٱلعالمين من شرع ٱلدين ٱلمسنون فى ٱلتكوين. تركع أنفسهم فيخرّون إلى ٱلأذقان معلنين تصديقهم لبيان ٱللَّه وعبادتهم لموعظته. فلا يفسقون علىَ أمره فيما يشرعون ويحكمون ويأمرون.

صَلَّى فعل يُوقِى

بما فهمته وعرضته أرىَ أنّ ٱلفعل «صلَّى». هو فعل قيّم بدين قيّم. وهو أمر

---

(١) ٱلهدم هو ٱلتصدع وٱلتشقق وتساقط أجزآء بسبب ٱلقدم وٱلهلاك. ويرجس ٱلمحرفون دليل كلمة «هدَّ» بدليل كلمة «هدم».

ومنسك لملك قُدُّوسٍ حاكم حكيم غنيّ حميد عليم سميع بصير رقيب حسيب. يحصى ويحرس ويحكم سَنَّ أفعال ٱلتكوين لا يغفل عنها لتتداخل فيما بينها. وأنّه من دون هذا ٱلفعل وٱلأمر وٱلمنسك. لوقعت ٱلطامَّة ٱلكبرى فى ٱلتكوين كلِّه.

ممَّا قاله ٱللَّه عن نفسه. يبيّن خالقا صانعا يصلِّى على صناعته «لا تأخذه سِنَة ولا نوم». وفى قوله أنّه نفخ «**من روحه**» فى «**ٱلبشر**». وهو واحد مما خلق وصنع. وتابع تنزيل مناهج تطوير وخبرة له فى رَوحِ ورَيحَان ٱلرُّوح. ثمّ أرسل تأييدا له «**بروح ٱلقدس**»[1]. وأتى هذا ٱلتأييد بعد أن وصل ٱلبشر إلى ٱستطاعة ٱلتطهير لنفسه بيده وإلى طُورِ «**مِيكَـٰـلَ**»[2]. يكيّل ٱلحقَّ بيده. ويعلم بدينه وشرع منه. من دون عون خارجى له. لا فى تنزيل ٱلمناهج ولا فى ٱلخبرة فيها. وهذا يبيّن أنّ ٱللَّه بصناعته للبشر. واصل ٱلتنزيل للمناهج وٱلتدريب عليها وٱلخبرة فيها. بدءا من نفخ جزء من روحه «**من روحى**» فيه حتىَ أكمل له بكتابه «**ٱلقرءان**». وهو «**روح ٱلقُدُس**» يقدِّس ما فيه من روح.

ويبين له أنّ «من روحى» **قريب** ونفسه **قربة**.

كما يبيّن له أنّ ٱلمأرب هو ٱلوصول بأطوار خبرة «من روحى». فى «ٱلرَّوحِ وٱلرَّيحَان»[3] فى قلبه إلى طُورِ «ميكـٰـل». وبوصوله إلى هذا ٱلطُّور ٱمتلك ٱلوسيلة لأن يكون خليفة فى ٱلأرض. قادرًا على ٱلجعل وٱلكيل من دون تأييد خارجى. وبوصول ٱلبشر إلى مشارف هٰذا ٱلطُّور. ورد إليه «**روح ٱلقدس**» فى كتاب. وهو منهاج أصيل genuine. أرسله ٱللَّه لتنزيله على ٱلقلب من بعد

(١) نسخة منه أصلية معقمة وطاهرة من ٱلتعبيد بٱللغو.

(٢) هو ٱسم لمنهاج ٱلكيل ينزل على ٱلقلب وتشبهه مناهج ٱلكومبيوتر كمنهاج ٱلفوتو شوب وغيره.

(٣) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ٦ ٱلنحل.

تطهيره ممّا رجس فيه من لغو وفاحشة تحريف. وفيه بيانُ وسيلة ٱلسعى للعلم فى كيف بدأ ٱلخلق. وبيان وسيلة ٱلوقاية من أى فعل يشيط به إلى فعل ٱلسُّوء:

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ. .﴾ ٢٦ ٱلأعراف.

ينزّله ٱلبشر وينصّبه لباسا رئيسا يَمَسُّ ٱلقلب ٱلمُطَهَّر. ويثبّت به ٱلفؤاد. وبهذا ٱلنزول تَوَقَّف تأييد ٱللَّه. وبه كان كمال نزول منهاج دين ٱلمؤمنين وكمال أطواره:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ٣ ٱلمآئدة.

وبكمال دين ٱلمؤمنين. تُرك ٱلتأييد بروح ٱلقدس لمن يريده لنفسه. فينزّل ٱلقرءان على قلبه تنزيلا ليمسُّه ويكون لباسا له. ويثبت فؤاده به. وبإقامته ٱلصّلوٰة وقيامه إليها وقربها وٱلحفاظ عليها. يكون سبيله للعلم بدين ٱلمؤمنين وكيله. وبعلم ٱلكيل يكون سبيله إلى ٱلإسلام وٱلسجود طوعًا للدِّين عند ٱللَّه. وسبيله إلى وضع شرع معروف من ٱلدِّين. يأمر به ويُحسِنُ فيه ولا يفسق عليه بمنكر.

تأييد ٱللَّه هو تأييد ٱلخالق ٱلصانع ٱلعليم ٱلخبير ٱلحكيم ٱلهادى لصناعته. وبعد أن أوصل صناعة ٱلبشر ٱلوحش ٱلظلوم ٱلجهول. إلى طُور قوة وقدرة على ٱلعلم بدينه. وٱلخبرة فى شرع منه. وٱلكيل لكلِّ حقٍّ بنفسه. أرسل له منهاج تكميل وتجديد ووقاية للمناهج ٱلمنزلة من قبل. وأمثّل على منهاج ٱلتجديد وٱلوقاية فى ٱلقرءان. بما يفعله منهاج update ويندوز فى كومبيوتر خلقه وصنعه مؤمنون فى «مايكروسوفت». فيعمل خالق ٱلويندوز على تحسينه فى كلِّ كومبيوتر يوصل بخالقه على شبكة ٱلانترنت. من دون أن يتدخل ٱلخالق فى سلوك وأفعال مالك ٱلكومبيوتر وأعماله ٱلخاصة. وهو يُصلِّى على فعل صناعته يرقبها ويشهدها ويحصيها ولا يغفل عنها. ويحدث ذلك بفعل منهاج من أصل ٱلويندوز ٱلذى صنعه ليسجل جميع ٱلحركات وٱلأفعال وٱلأخطآء ٱلجارية عليه من قبل مالك ٱلكومبيوتر. ينسخها ويحفظها فى محفظة يرسلهآ إلى ٱلصَّانع. وبتلك ٱلنسخة

ٱلمرسلة يعلم ٱلصَّانع بأفعال وأخطآء تلك ٱلمناهج لدى مالك ٱلكومبيوتر ٱلعامل عليه. ومثل ٱلويندوز هو ٱلرُّوح فىَ أنفسنا. وتأييد ٱلرُّوح فىَ أنفسنآ بروح ٱلقدس. لا يكون إلا بتنزيل منهاج ٱلقرءان على ٱلقلب وتثبيت ٱلفؤاد به:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ ١٠١ ٱلمآئدة.

«حِينَ يُنَزَّلُ ٱلقرءانُ». هو حين تنزيله على ٱلقلب يَمسُّه ويصير لباسا له. وبتنزيله وتثبيت ٱلفؤاد به. يتغير ما بٱلنفس من منهاج أدنى خرّبه ٱلتحريف وٱللغو. ويُوقِيها من أفعال ٱلشيط وٱلسهو عن ٱلصّلوٰة.

هذا ٱلتنزيل لا يمسّ ٱلقلب ولا يكون له لباسا ولا نفع منه. من دون تطهير له من جميع ما عليه ممَّا لغو فيه ٱلكافرون سلف وخلف. كمآ أنّ هذا ٱلتنزيل هو ٱلسبيل ليُبدَى للمؤمن ما سأل عنه ولا يسوّءه. فمآ أقوله هنا عن ٱلصَّلوٰة يسوّء لجميع ٱلذين يؤمنون. وهم يشركون ٱلسلف فيما قالوه عن ٱلصَّلوٰة.

فما بدى لىَ أنّ للفعل «صلّى». دليل ومفهوم تبيّنهما ٱلأفعال سمع بصر شهد أحاط رقب حسب عَدَّ أحصى علم هدى. وأنّ ٱلَّذى يصلِّى يسمع ويبصر ويشهد ويحيط ويرقب ويحسب ويعدّ ويحصى ويعلم ويهدى. فلا يغفل ولا يسهو ولا يفتر سمعه وبصره عن ٱلَّذى يصلِّى عليه.

وممَّا بدَى لى كان ممَّا فى لسان ٱلأميِّن من مفهوم للكلمة. يتعلق بحدود قرب ٱلصّلوٰة. ومنه قولهم «صَلى ٱللّحم» إذا شوىه. وفيه وصف صواب للّحم ٱلمشوىّ ٱلصَّالح للأكل بسبب وضعه على بعدٍ محدّد مِّنَ ٱلنار. يجعلها تشويه من دون حرقٍ له. فإذا دَنَوَ من ٱلنّار حرقته. وإذا ٱبتعد عنها لا تشويه.

وهٰذا ٱلمفهوم ٱلأمىّ لحدود ٱلقرب تصدّقه ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١)﴾ ٱلحاقة.

﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥)﴾ ٱليل.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)﴾ ٱلواقعة.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ٥٦ ص.

يوضع على بعدٍ محدّد منها يُصَلّى عليها. يرصدها ويرقبها ويشهد كيف تشويه ولا تحرقه. وهو ما يبينه ٱلبلاغ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ ٥٦ ٱلنسآء.

فٱلذين يصليهم نارا. يضعهم فى موقع محدّد يُصَلُّون منه على ٱلنّار. فيرقبون ويشهدون ويحصون ويعلمون كيف تنضج جلودهم. ويذوقون ٱلعذاب ولا يحترقون.

فكلمة «نضجت» تبين ٱلشّوىَ لا ٱلحرق. وفى ٱلحرق موت فلا تذوّق لعذاب من بعده.

وهٰذا يبيّن أنّ كلمة «صَلَى». تدلّ على ما سبق من قولٍ بما بدى لى. وتبيّن أنّ كلمة «صَلوٰة» تدلُّ على وسيلة ٱلفاعل «مُصَلِّى» وفعله «صَلَّى». وأنَّ ٱلَّذى يصلِّى شهيد سميع بصير رقيب حسيب محصٍ عليم. وهو مَن لا يغفل ولا يتدخل ولا يعتدى على حدود وأفعال وأعمال ٱلذى يصلِّى عليه. وٱلذى يَصلَى نارا. شهيد سميع بصير رقيب حسيب محصٍ لنضج جلده. وتبديله. وعليم بمتابعة قربه ٱلصّلوٰة. وما يذوقه من عذاب. فكلمة «صَلَّى» فعل يشير إلى فاعل ووسيلته فى فعله «صلوٰة». وهٰذا ٱلفاعل لا يعتدى بسبب علمه بٱلأذى ٱلذى يأتى به ٱلإعتدآء. فيذكر ٱلأمر ولا ينسى:

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ ١٥ ٱلأعلى.

ٱلَّذى صَلَّى هو ٱلثانى. ٱلإنسان ٱلخليفة ٱلمؤمن ٱلعالم. ٱلذىّ نزّل وسأل فبدى له ما سأل عنه. وموقفه ٱلذى يظهره ٱلفعل «صَلَّى». يأتى به علمه بما بدى له. فذكر أنَّ ٱلرّب هو ٱلأوّل وٱلفاعل فى ربوّ أى شىء من مقدار. وأنّه عليم باق

حىّ قيُّوم. وأنَّه ٱللَّه نور ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. فيقيم ٱلصَّلوٰة ويقوم إليها ويقربها يصلِّى لينير ويبدى لنفسه فى سنّة ٱلرّبِّ ودين ٱلحقِّ ذاته. ويبدى له أنّ ٱللَّه مصلّى فى سباق ٱلنور. وهو ٱلأوّل وٱلأَخِر. وهو بكلِّ شىء عليم. وبذلك يعلم أنّه يلى ٱللَّه فى ٱلألوهة. وهو ٱلثانى. وٱللَّه شفيعه ٱلذى يرجع إليه. فلا يدّعى أنّه إلَه من دونه. ويعلم أنّه عَلَم(خلقه ٱللَّه وسوّىٰه ثمّ جعله خليفة. ومنه يعلم أنّ علمه محدود:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ ٱلإسرآء.

وممَّا يبدى له أن ما فيه من رُوح ٱللَّه قليل. فيصدّق ويركعُ مسلمًا طوعا للذى فطر ٱلسّمَوٰت وٱلأرض. ويسلك فى حياته ٱلدنيا وفق ٱلرتبة ٱلثانية فى ٱلعلم وٱلنور. فلا يتكبَّر. ولا يطغى فيما يشرّع ويعرّف. فيأمر بٱلمعروف وينَهى عن ٱلمنكر. ويصلِّى علىَ أفعاله وأعماله وأقواله ومناسكه ويقابلها بأوامر وموعظة ٱللَّه. فلا يغفل عن نفسه ولا يسهو عن أفعالها وأعمالها وأوامرها وأقوالها. ويعلم ويشهد ويسمع ويبصر ويرقب ويحسب كلَّ عمل وفعل وقول ومنسك تقوم به نفسه.

أمَّا ٱلإنسان ٱلَّذى لا يطهّر قلبه من ٱللغو. ولا ينزّل عليه ٱلقرءان. فلا يبدى له إلا ما يسوّءه. ويفجر ويجنّ. فلا يذكر ولا يصدِّق ولا يصلّى ولا يقرّ بهٰذه ٱلرتبة إلاَّ لنفسه. ويسعى فى حياته ٱلدنيا يظنّ أنّه سيدركها:

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ ٣١ ٱلقيامة.

فيكذّب بٱلبلاغ ٱلمُبين. ولا يستمع إليه. ويدّعى لنفسه ٱلرتبة ٱلأولى فى ٱلنور وٱلعلم وٱلبيان وٱلشرع على ٱلسَّوآء. ويسلك فى حياته ظانًّا أنَّه إلَه من دون ٱللَّه. ويدّعى بذٰلك ٱدعآء فرعون:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ٣٨ ٱلقصص.

ويتوجّه بما بدى له من سوّء. يفعل ويعمل ويقول ويشرع وينسك بٱلظنِّ أنّ

لا شفيع له يرجع إليه. فيتكَبَّر ويطغى. ويأتى قوله مثل قول فرعون ٱلذى يوجِّهه منذرا «موسى»:

﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ ٢٩ ٱلشعرآء.

هٰذا ٱلإنسان ٱلمكذّب ٱلمدّعى لنفسه ٱلألوهة بذاته. يسوءه أىُّ قول يخالفه. وهذا ٱلإنسان يفقد ٱلقدرة علىٰ إخفآء موقفه فى ٱلحيوٰة ٱلدنيا. ويعترف به يوم ٱلحساب:

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ ٤٣ ٱلمدثر.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ ٤٦ ٱلمدثر.

أما ٱلمؤمن ٱلَّذى يطهّر قلبه من ٱللغو وينزّل ٱلقرءان. يمسّه ويكون لباسا له. يصلّى ولا يسوّءه ما يُبدَى له. ويذكر ويعلم مَن هو شفيعه ٱلذى يرجع إليه وأنَّ لا هرب منه:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٤٤ ٱلزُّمَر.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٥١ ٱلأنعام.

فيصلى على نفسه يرقبها ولا يغفل عن فعل أو عمل أو قول لّها. ولا يتركها لتخالف ٱلموعظة فيما تشرّع وتأمر وتنسك. فتتكبّر وتطغى وتظنُّ أنَّها تشفع نفسها. ولا يتعدى حدود ٱللَّه. وأولها سبيله ٱلذى لآ إغلاق له ولآ إكراه فيه. وممَّا يُبدَى له ويعلم به. أنّ ٱللَّه يُصلّى عليه. يشهد ويبصر ويسمع ويرقب ويعدّ ويحصىٰ أعماله وأفعاله وأقواله من دون تدخل فيها:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ٤٣ ٱلأحزاب.

ٱللَّه هو نور ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. وهو ٱلقدير ٱلعليم ٱلشَّهيد ٱلسميع ٱلبصير ٱلرقيب ٱلحسيب ٱلهادى. يصلّى علينا. ولا يتدخل فىٓ أفعالنا وأعمالنا وأقوالنا. وهو يقدر عليها. ويترك ذٰلك لنا وحدنا لنختار ٱلسير على سبيله. وليكن لنا هو ٱلشّفيع بٱختيارنا. ننظر فىٓ ءَايات خلقه. ننتقل من ظلمات عَجَمَ إلى نور عَرَبَ فيها. ونعقل ما ينيره علمنا مع بلاغه ٱلعربىّ ٱلمبين لنهتدى. فما يُبدَى لنا من سنّت ودين ٱلرَّبِّ فى ٱلأشيآء. وما نجريه من عقل بينها وبين بلاغ ٱللَّه. يجعلنا نصلِّى على جميع أفعالنا وأعمالنا وأقوالنا. فلا نشيط بها ولا نعتدى ولا نطغى ولا نقعد فى سبيل ٱللَّه. كما يجعلنا نصلِّى على ٱلأخرين. نرقبهم ونعلم بتطورهم. فننافسهم من دون أن نعتدى عليهم. ونعلم بعوامل قوَّتهم وما يقيمون من ٱلصَّلوٰت بكلِّ ألوانها.

ممَّا بدى لى من ٱلقول فى ٱلبلاغ (٤٣ ٱلأحزاب). أنّ ٱللَّه يصلّى على ٱلمؤمنين. وأنَّ موقفه من قول وفعل وعمل ٱلإنسان. هو موقف ٱلمصلِّى لا يعتدى ولا يُكره ولا يتدخل إلى يوم ٱلحساب.

وفى ٱلبلاغ أنَّ ٱللَّه يصلِّى على ٱلنَّبىّ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ ٥٦ ٱلأحزاب.

فٱللَّه يصلِّى على ٱلنَّبىّ كما يصلِّى على ٱلمؤمنين. ويوكّد على خبرة ٱلنّبىّ ومسئوليته فىٓ أفعاله وأعماله وأقواله وعيشه.

وٱلنبىّ صِدِّيق تلقّى علمه من ٱللَّه. ومحمّد ٱلنّبىّ هو ٱلرّسول ٱلحاكم وٱلأمير لحكومة ٱلمدينة فى «يثرب». ولأنه ٱلرّسول ٱلحاكم وٱلأمير. فهو يصلِّى على كلّ أمر فى يثرب. وعلى مَن يسكن فى ضواحيها من ٱلأعراب. ٱلذين أسلموا ليعلم بمن ينفقون ليكتسبوا علما وخبرة للتّقرّب من شرعه وأمره وصلواته:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ

عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ٩٩ ٱلتوبة.

فهو يرصد ويرقب ويحسب. ولا يغفل عمّا ينفقون ويكتسبون. ولا عمّا يستحقون عليه من أجر على ما يعملون.

ويصلّي ليعلم مَن مِنَ ٱلمؤمنين يوسع ماله فى ٱلأعمال. فلا يأخذ منه إلا ما يتصدّق به. ولا يكرهه فى مقدار ما يدفعه:

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٠٣ ٱلتوبة.

لا يتسلط ولا يطغى. لا فى ٱلأجر للأعراب. ولا فى طلب زيادة عمّا يتصدّق به ٱلمؤمنون من ٱلمال. وهٰذا يبيّنه ٱلقول «سَكَن لهم». وٱلقول «وشاورهم فى ٱلأمر». وفيهما بيان ٱلاطمئنان على ٱلخِيرَةِ فى ٱلقول وٱلفعل وٱلعمل وٱلتطوع. فٱلنّبىُّ بما ثبّت به فؤاده وبمآ أنزل ٱللّه له من منهاج لينٍ:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ ١٥٩ ءَال عمرٰن.

لا يتسلط ولا يستبد فى ٱلرأى وٱلأمر وٱلفعل. ويشاور ٱلمؤمنين جميعهم بلين فى مسألة ٱلصدقات وسبيل ٱنفاقها. ويعرض عليهم حاجة «ٱلمدينة». من ٱلأموال. ويترك لهم أمر تحديد مقدار ما ينفقون ومقدار صدقاتهم. كما لا يكرههم على ٱلقتال ويحرضهم لعلّهم يتطوعون:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ ٨٤ ٱلنسآء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٦٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ. (٦٥)﴾ ٱلأنفال.

وهو أمير ٱلمدينة وأمير جيشها. فإن كان فيهم يقيم لهم ٱلصلوٰة حتّى لا يغفلون عن عدوّهم:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ١٠٢ ٱلنِّسآء.

فما يقيمه هو عمل ٱلرَّصد للعدوّ فيَ أماكن ٱلقتال. ومتابعته فى جميع حركاته وإحصآئها. فيقيم ٱلأمير ورآء جيشه ٱلصّلوٰة. وتقوم معه طآئفة منه بأسلحتهم ليُصَلُّوا معه على ٱلعدوِّ. ساجدين لا يغفلون ولا يفسقون. وله أن يأمر ٱلذين يصلُّون معه ورآء ٱلجيش بوضع ٱلأسلحة جانبًا. مَّع بقآء ٱلتيقظ فيَ أعمال ٱلرَّصد وٱلمراقبة وٱلإحصآء من دون سهو. ويستبدل تلك ٱلطآئفة لترتاح بأخرى يُصَلُّون معه.

وفى ٱلبلاغ وعظ للمؤمنين ليصلُّوا على ٱلنبى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ ٥٦ ٱلأحزاب.

ٱلمؤمنون يصلُّون علىٓ أمير ٱلمدينة. وهو حقٌّ لهم ومسئولية عليهم. فهم يدفعون صدقة من أموالهم ويتطوعون للقتال عن عيشهم ٱلعهدىّ. فلا يسهون ولا يغفلون عمّا ينفقه ٱلنّبىّ ويعدّ من قوّة. فيرقبون أفعاله وأعماله ويقدّمون له ٱلنصح وٱلمشورة. ولا يعتدون على ما يأمر به. وعليهم ٱلتسليم بمسئوليتهم فيما يصلُّون عليه. وبمسئوليته فيما يصلّى عليه وفيما يأمر. ولا جدال فى مسئولية كلٍّ منهما. ويسلِّمون بها تسليمًا.

وممّا بَدَى لِىَ. أنّ ٱلّذين يقيمون ٱلصَّلوٰة ويقومون إليها ويقربونها ولا يلتفتون إلى خلف حيث ٱلسّلف ٱلميِّت. ونظرهم لا يكون إلا نحرا. لا يغفلون ولا يسهون. وهم ٱلأقويآء فى ٱلأرض وٱلمنتصرون فى كلِّ وقت. وينعمون بوفرة ٱلطعام وٱلأمن. ولهم ٱليوم ٱلقدرة على مشاهدة أكثر ما يحدث فى ٱلأرض. ورصد ومراقبة وإحصآء معظم أحداثها. وٱلعلم بكنوزها وٱلسعى لأخذها من دون إذنٍ مِّن أحدٍ. ومثلهم فى ذٰلك كَمَثلِ يوسف:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ ٥٦ يوسف.

وهؤلآء ينعمون فى طعامهم ويأمنون من أىِّ خوف. ويعيشون عابدين شرعا معروفا من ٱلدِّين constitution. ويتعاونون على ٱلبرّ من دون ٱلإثم. وقد جآء فى ٱلبلاغ عنهم:

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ ٤١ ٱلحج.

ومثل هؤلآء لا يعبدون إلا ٱللّه ولا يخالفون أمره:

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ ٧٣ ٱلأنبيآء.

ومن يقيمون ٱلصَّلوٰة ويقومون إليها ويقربونها. لا يخشون إلا ٱللّه. ولا يطلبون ٱلنور وٱلهداية من غيره. وهم ٱلذين يَعمُرُون مساجد ٱلنّور:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ١٨ ٱلتوبة.

ومسٰجد ٱللّه هى بيوت يسجد فيها علمآء يصلّون. يبحثون وينظرون ويعلمون وينيرون فى كلِّ شىء. وممّا ينظرون ويعلمون به. هو شرع ٱلمعروف من ٱلدين. ومناسك لتسيير أعمال ومصالح ٱلناس وإطعامهم من جوع وأمنهم من خوف. وأعمال ومصالح ٱلناس هى منافعهم من تجارة وصناعة وزراعة وغيرها من ٱلأعمال.

وما يدلّ عليه ٱلفعل «عَمَرَ». هو ٱلإقامة وٱلبناء وٱلسكن. فٱلَّذى يعمر هٰذه ٱلبيوت وهو يصدِّق بٱليوم ٱلأخر. يقيم ٱلصَّلوٰة ويقوم إليها ويقربها ولا يعتدى ولا يطغى ولا يعطل سبيل ٱللَّه ولا يقعد فيه. ويسجد لعهد ٱللَّه وميثاقه فيما يضعه من شرع معروف. ويأتى بٱلأفعال وٱلأعمال وٱلأقوال ٱلصالحة (ٱلزكوٰة). ولا يخشى إلاَّ ٱللَّه. فلا يخالف فى شرعه ٱلمعروف مآ أناره بنظره وعلمه. وهٰذا يُرجىٰ أن يكون مهديًا. وهو لا يدعوا مع ٱللَّه أحدًا:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ١٨ ٱلجن.

نهى ظاهر فصيح بيّن. فلا رسول ولا حاكم ولآ أب ولا ولد. يملك أن ينير له فى ٱلحقِّ ويبيّنه. وهو وحده ٱلمسئول. فينظر بما فى نفسه من نور ويعمل به لينير لها ما يستطيع تنويره.

وٱلَّذين يأخذون بٱلكتاب ويتمسَّكون بما فيه من هداية وبيان. يقيمون ٱلصّلوٰة فيعلمون ويصلحون:

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ١٧٠ ٱلأعراف.

وهؤلآء من صفاتهم ٱلصَّبر على مأربهم من إقامة ٱلصَّلوٰة. وٱلإنفاق بٱلسرِّ وٱلعلن على تطوير وسآئل ٱلنور وٱلتنافس بين ٱلناس:

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ ٢٢ ٱلرعد.

وهؤلآء يصبرون على ٱختيارهم وجه ربِّهم وسبيل ٱلنور إليه. للعلم بحاجتهم إلى ٱلحسنة فلا يسيئون. وهم يعلمون أنّ سبيلهم إلى ما يريدون. هو فى ٱلنظر وٱلدرس فىٓ ءَايات ٱللَّه ٱلبيِّنات وقرءانه ٱلمبين:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

ولا يستعجلون على ما يقيمون من صلوٰة ومصانع لها. وسوآء عليهم ءَكان

ما ينفقون عليه يتطلب ٱلسِّرَّ أم ٱلعلن لا يبخلون. فيقوم بنآء لا ينجم عنه سيِّئة ولا فساد. كوسآئل ٱلرّصد وصناعتها ٱلتى لا تنفث فى ٱلهوآء أو ٱلمآء أو ٱلتراب ما يفسد فيها.

وممَّا بَدَى لىَ. أنّ ٱلصَّلوٰة وسيلة ٱلتنوير وٱلعلم بدين ٱلحقِّ ٱلمسنون وفق «قدّر فهدى». وٱلأمر ٱلأول فى هذه ٱلوسيلة. هو فى توجيه ٱلسَّمع وٱلبصر وٱلفؤاد إلى كلِّ شىء. للعلم أنَّ ٱلصَّلوٰة وسيلة وقاية أساس فى ٱلتكوين. وهو ما جآء بيانه فى ٱلبلاغ:

﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤١ ٱلنور.

فلكلِّ شىء صلوٰة. وعلم ٱلشىء هو علم هدايةٍ مُّسَوَّمٌ ومُوزَعٌ «**يفعلون ما يؤمرون**». وليس للأشيآء فى هذا ٱلعلم إدراك ودراية وعقل. وصلوٰتها قآئمة فيها بعلامة data لدينٍ وهى تصلى وفق «**قدّر فهدى**». فلا تعتدى ولا تفسق على ٱلشرع ٱلمسنون.

أما ٱلإنسان. فهو مَن يضع دينا وشرعا معروفا ليقيم ٱلصلوٰة ويقوم إليها ويقربها ليصَلِّى وفق «**نظر ودرك ودرى وعلم وعقل وعرف**». وهو عنها مسئول. وبها يصلِّى على ٱلنَّفس وعلى ٱلأخرين وعلى كلِّ شىءٍ. ويتبع منهاج علمه وخبرته وإرادته وخيرته فى ٱلسير على سبيل ٱللَّه. ليعلم بشرع ٱلسّلَٰم ودينه ويتقى ٱلفسق عليه وٱلشيط عنه.

أما وجوده كشىء. فإن للصَّلوٰة منهاج وقاية قآئم فى جميع قبيل جسمه ٱلمتحدة فى «فيدرالية» وفق «قدَّر فهدى». وهو يزيد على ٱلأشيآء فى صلوٰته ٱلَّتى تُركت إقامتها له بما فيه من روح ٱللَّه. وهو عنها مسئول. وهذا ما يبدى فى ٱلبلاغ:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ ٥٤ ٱلكهف.

فكلمة «أكثر» تبين إرادة ٱلإنسان بما فيه من روح ٱللَّه. ومسئوليته عمّا يكتسب من علم وخبرة وإرادة فى فعل منهاج ٱلصَّلوٰة. ٱلَّتى لا تملكها ٱلأشيآء ٱلأخرى. وهو مَن يفعل ويعمل ويقيم ٱلصَّلوٰة ويقوم إليها ويقربها ليصلّى ويعلم ويتّقى. وهو مَن يصنع ويقول ويملك ويَغنَى ويقوى ويعلوا. وفى حركته عليه أن يدرك ويعلم بشرع من دين ٱلحقِّ ولا يترك نفسه لتفسق عليه. ولا يفعل عدوانًا يسوق إلى ٱلطَّامة ٱلوجودية ٱلشيئية وهو منها.

وٱلإنسان هو ٱلعالم وٱلمالك وٱلملك وٱلحاكم وٱلمؤمن وٱلغنىّ وٱلحميد. وهو ٱلَّذى يقيم ٱلصَّلوٰة ويقوم إليها ويقربها ليصلى على نفسه وعلى ٱلأخرين وعلى ٱلأشيآء. ويعمل ليؤسس فى بيت ٱلحكم أهلاً يقيمون ٱلصَّلوٰة ويصبرون علىَ إقامتها وبها يصلُّون. فيعلمون ويرزقون:

﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ ١٣٢ طه.

يُصَلِّى ويذكر

تبيّن ٱلموعظة أنَّ ٱلذِّكر أساس:

﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ ٤٥ ٱلعنكبوت.

وفيها توجيه للمؤمن بٱلقول «**ٱتلُ ما أُوحِىَ إليكَ من ٱلكِتَـٰبِ**». وفى ٱلكتاب بيان مُصَلِّ على كلِّ شىء وموعظته وهدايته فيه.

وفيه توجيه أخر له بٱلقول «**وأقِم ٱلصَّلوٰة**». وهى ٱلبنآء لكل وسآئل ٱلتَّيقظ وٱلتَّرقب وٱلتَّهيؤ على ٱلنفس وعلى ٱلأخرين وعلى ٱلسلطة وعلى ٱلأشيآء وعلى ٱلصناعة ٱلمحسنة ٱلتى لا تفسد.

وفى ٱلتوجيهين قرن بين تلاوة ٱلكتاب. وبين ٱلنظر وٱلعلم بٱلحقّ. وبهذا

ٱلقرن يكون بين يدىّ ٱلمؤمن وسيلتان ليبدَى له ولا يسوّءه. وللعلم وٱلإيمان بٱللَّه وٱلتّصديق بكتابه وما فيه من موعظة وهداية:

ٱلأولى كتاب ٱللّه. وهو ٱلمؤمن ٱلعليم. وفى كتابه بيان وتبيان لمصلٍّ يحيط بصره وسمعه بكلِّ شىء. وهو عليه شهيد. وفيه موعظة وهداية.

وٱلثانية بيان إنسانٍ مؤمن يصلِّى. فيُبدَى له ويعلم. وٱلصّلوٰة وسيلته للتنوير فى ٱلحقِّ وٱلعلم به وبدينه وبكيف بدأ ٱلخلق.

وبتلاوة ٱلإنسان ٱلمؤمن لبيان ٱللَّه ٱلمنزّل على قلبه. يحدث عقل بين ما تبيّن له من ٱلحقِّ وبين بيان ٱللَّه عنه. فيرى فى بيان ٱللَّه سبقا على بيانه. وبذلك يحدث إيمان وتصديق ويقين فى قلبه. ويعلم أنّ تلاوته للكتاب وحده. لا توصل إلىَ إيمان وتصديق ويقين. وبفعل ٱلعقل يرى فى ٱلموعظة حكما على ما تبيّنه ٱلصّلوٰة له «**إِنَّ ٱلصَّلوٰةَ تَنهَى عن ٱلفَحشَآء وٱلمُنكَرِ**». فيعلم من ٱلموعظة أنّ ٱلصّلوٰة. هى وسيلته للنور وٱلبيان فى ٱلحقِّ ودينه. وأنّها وسيلته للتَّصديق وٱلتفريق بين ٱلحقِّ وٱلباطل. وبعلمه بٱلفرق بينهما. يتبع دين ٱلحقَّ وينهى نفسه عن قول وعمل ٱلفحشآء وٱلمنكر. وكلاهما دين ٱلجهل وٱلباطل.

ويرى فى ٱلموعظة حكما أخر «**ولَذِكرُ ٱللَّهِ أَكبرُ وٱللَّهُ يَعلَمُ مَا تَصنَعُونَ**». فيعلم أنّ ذكر ٱللَّه. هو ذكر ٱلنُّور فى ٱلسَّمـٰوٰتِ وٱلأرض وذكر لموعظته. فبعد أن صلَّى وأنار وعلم بمآ أقام من صلوٰة. عليه أن لا ينسى مآ أناره وعلم به بٱلتلاوة من موعظة وهداية. فيعقل بين ما علم به بصّلوٰته مع ما علم به بتلاوته. فإن صدّقا بعضهما عليه أن لا يعبد ولا يتبع غير ما فيهما من نور. فلا يتجاوز لحدود ولا يعتدى ولا يفسد فيما يصنعه. فإن ذكر ٱلنورين عبد ما علم به من ٱلموعظة. فيدفع عنه ٱلتَّكبر وٱلطغيان وٱلشقآء وٱلفحشآء وكل فعلٍ يفسد فى ٱلأرض.

لقد بيّن ٱللَّهُ ٱلمؤمنُ للإنسان ٱلمؤمن. أنّه وحده ٱلذى ينير له:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ ١٤ طه.

وبيّن له أنّه واحد ولا يوجد نور أخر فى ٱلسّمـٰوٰت وٱلأرض. فٱلّذى يُرهَبُ هو ٱللّه وحده:

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ ٥١ ٱلنحل.

ومَن يذكر أنّ ٱللّه هو ٱلنور فى ٱلسّمـٰوٰت وٱلأرض. وهو ٱلهادى. يعلم ولا يسهو ولا ينسى موعظته. ويعلم أن ٱلسهو وٱلنّسيان يطلق منهاج «إبليس». فيظلم عليه. وبٱلظلام يجهل. فيضلّ ويفحش.

وفى كتاب ٱللّه قول كثير عن ٱلذِّكر:

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ ١٩١ ءال عمران.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ ١٣٥ ءال عمران.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ ٢٢٧ ٱلشعرآء.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ ٢٤ ٱلكهف.

فذكر بيان وموعظة وهداية ٱللّه أساس فى ٱلنفع من ٱلعلم ٱلمقروء بٱلصّلوٰة من دون فساد ولا فحشآء. وأساس لكلِّ فعل يصلح ما فسد وفحش. وبٱلذكر توقد أفئدة ٱلإنسان ٱلمؤمن بٱلموعظة وٱلهداية ٱلمقترنة بما بين يديه من علم بٱلحقِّ. وهو وسيلة ٱلعلم وٱلرسوخ فيه.

وفى ٱلكتاب أنّ ٱلنسيان للهداية وٱلموعظة. يسبب للإنسان عذابًا خالدًا:

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ١٤ ٱلسجدة.

وهـٰؤلآء كانوا يعبدون من دون ٱللّه فيما يشرعون ويفحشون. كانوا يصلُّون

وينيرون ويعلمون فى ٱلحقِّ ويتلون ٱلكتاب ولا يعقلون. فكانوا يقولون ويعملون ويصنعون من دون ذكر للبيان وٱلموعظة وٱلهداية فى ٱلكتاب.

لقد قرن ٱللَّه ذكره بذكرنا:

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ ١٥٢ ٱلبقرة.

ومثله مع ٱلنسيان:

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ٦٧ ٱلتوبة.

وما يظهر من ٱلبلاغ (١٥٢ ٱلبقرة). وٱلبلاغ (٦٧ ٱلتوبة). أنَّ ٱللَّه هو ٱلمصلِّى وهو ٱلأَخِرُ. وأنَّ ٱلإنسان هو ٱلمصلَّى وهو ٱلأوَّل ٱلَّذى يؤسَّسُ عليه موقف ٱللَّه ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾. و﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾. وٱلإنسان هو مَن يتولى تحديد ٱلعلاقة مع ٱللَّه وتوجيهها. إمَّآ إلى ذكر بيانه وموعظته وهدايته وعبادته. وإمّآ إلى نسيانها وعبادة ما علم به من دون ٱللَّه.

ٱلنسيان وٱلذكر طرفان فى جدل «رحمٰن – شيطان». وجدل «إنس– جنّ» فى ٱلنفس. وبإقامة ٱلصّلوٰة وٱلقيام إليها وقربها وٱلصبر عليها. وعقل لما تقرأه ٱلنفس بها من نور مع نور ٱللَّه فى كتابه. يقوى طرف ٱلجدل «ذكر». وبذكر ٱلنورين تُبدَى ٱلهداية للنفس. ويضعف طرف ٱلجدل ٱلأخر «نسى». وبهذا ٱلذكر يصير ٱلمؤمن من «أهل ٱلذِّكر». وهم ٱلَّذين يصلُّون ويذكرون بيان وموعظة وهداية ووصايا ٱللَّه. ويخضعون ما بين أيديهم من علم وشرع للموعظة وٱلوصايا. وبجدل (ذكر– نسى) يتأسس موقف ٱلإنسان ٱلمُصَلِّى. ويتخذ ٱللَّه ٱلموقف ٱلمقابل لموقفه.

يدلّ ٱلفعل «ذكر» علىَ أفئدة متقدة بٱلنورين. وهٰذا ٱلفعل من أفعال قلب وفؤاد ٱلإنسان ٱلمؤمن ٱلعالم ٱلَّذى يبقى يسأل ويسعى للتنوير فى ٱلحقِّ. فيقيم

ٱلصّلوٰة ويقوم إليها ويقربها ويصبر حتّى يُبدَى له ٱلجواب. ويعقله مع نور تلاوته فى ٱلكتاب. ويبقى يصلّى ويعلم ويعقل ويذكر ٱلنورين ما دام حيًّا. وهذا ٱلمؤمن يعلم أنّ «ٱلذِّكر» حاجة أساس للبحث ٱلعلمى. وهو سمته ٱلرئيس. وبٱلعقل يعلم أنّ «ٱلذِّكر» سمة للصِّدّيق وللقرءان:

﴿صٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ ١ ص.

وبذلك يعلم أنّ «ٱلذِّكر». يبرئ ٱلمؤمن ٱلصِّدّيق من ٱلنسيان وٱلظَّنّ وٱلكسل وٱلكذب وٱلريآء وعمى ٱلقلب:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ ٢٠١ ٱلأعراف.

وأنّه وسيلةُ ٱلصِّدّيق للعلم وٱلرسوخ فيه. وسبب لعلوّ ٱلإنسان ٱلَّذى يحيا مع هٰذه ٱلوسيلة:

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ٩ ٱلزمر.

ويعلم أنّ مَن يُكسب قلبه «ٱلذِّكر». يصير من أهله:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ ۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ٤٣ ٱلنحل.

فٱلَّذين يذكرون هم ٱلَّذين يعلمون ويصدِّقون. وهؤلآء هم أهل ٱلذِّكر. ومَن يقيم ٱلصّلوٰة ويقوم إليها ويقربها ويصبر على قربها. مؤمن عالم يسير فى ٱلأرض ينظر كيف بدأ ٱلخلق ويتبوَّأُ منها حيث يشآء. وهذا لا يفتر عن ٱلقيام إلى ٱلصَّلوٰة وعن قربها حتى مستقرّه فى ٱلموت. ويشحن ذاكرته بما ينزِّل إليه ويأتيه بنور نظره وعلمه. ويحافظ على صلوٰته ما دام حيًّا. فلا تضيع منه. وإن كان من ٱلذين يتلون ٱلكتاب ويعقلون ويذكرون ويصدِّقون. يبقى مصيطرًا على أفعاله وأعماله وأقواله وٱلمقرّ ٱلّذى يحيا فيه. حتى تهلك طاقة سباحته ويستقرّ. فلا يتجبَّر ولا يطغى ولا يعتدى ولا يفسد ولا يفحش.

لم يدرِ ٱلمسلمون ٱلأولون ولا ٱلخلف بما وعظ ٱللَّه ٱلإنسانَ:

«أقم ٱلصَّلَوٰة».

«إذا قمتَ إلى ٱلصَّلَوٰة».

«لا تقرب ٱلصَّلَوٰة».

فكيف سيدرون بٱلقول:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ ٧٨ ٱلإسرآء.

وفيه يبين للإنسان بكلمة «أَقم». قيامَ بنآء ليرصد به ٱلحدث ٱلجارى فى ٱلوقت ٱلمبيّن بٱلقول: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾.

ولكلمة «دلوك». دليل ومفهوم من دليل ومفهوم ٱلفعل «دَلَكَ». ومنه قول ٱلأميِّن: «دَلَكَ ٱلسُّنبل بكفّيه ففرق عصفه عن حبه». وفى ٱلقول هداية للإنسان ليشهد ما يفعله دلوكُ ٱلشمس إلى غسق ٱلّيل. فبهذا ٱلدلوك يفرق ظلامَ غسقِ ٱلّيل عمَّا يخفيه من وجود.

ويبيّن ٱلتحكّم بٱلعصا «لِ». بدين داش ٱلحيريق توجيها محكوما لهآ إلى هذا ٱلحدث. يفسّر له كيف حدث ٱلفجر The big bang وما حدث من بعده:

﴿وَٱلۡفَجۡرِ (١) وَلَيَالٍ عَشۡرٖ (٢) وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ (٣) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ (٤)﴾ ٱلفجر.

وبعد كمال قيام هذه ٱلصّلَوٰة. يقوم إليها ويقربها ليشهد حدث «دلوك ٱلشَّمس إلى غسق ٱلَّيل». ويكون ما يشهده بيان له مشهود «قرءان ٱلفجر». وليس رأيا يرىٰه بقلبه ولا يشهده ليؤمن بما يقوله عنه:

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ٣٠ ٱلأنبيآء.

وكيف سيدرون بٱلقول:

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ ٣١ إبر'هيم.

ومنه يظهر وعظ لعباد ٱللَّه ٱلمخلصين. ليقيموا ٱلصَّلَو'ة وينفقون عليها مهما بلغت ٱلتكاليف. ممَّا رزقهم بمآ ألَّهوه وعلموا به من ٱلحقِّ ٱلمشهود. وما رأوا بقلوبهم منه. وبيّن لهم أنّ من ٱلصلو'ة ما ينفق على بنآئها فى ٱلسِّرّ. ومنها ما ينفق عليه بٱلعَلَن.

ٱلسبيل إلى شرع من ٱلدِّين

فى قول ٱللَّه بيان لما شرعه للناس من ٱلدين:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ ١٣ ٱلشُّورىٰ.

فٱلحديث عن ٱلسبيل إلى شرع من ٱلدين يحكم عيش ٱلناس فى ٱلمجتمع. يحتاج إلى ٱلعلم بٱلدين وبما جآء فى ٱلوصية. وٱلدين عند ٱللَّه هو دين ٱلحقّ أو ناموسه substantive law. وله سبيل يُبثّ ٱلنور فيه. ولبثّ ٱلنور وسآئله وأوّلها فىٓ إثارة ٱلأسئلة. وفى ٱلسعى للجواب عليها بٱلصَّلوٰة وبوسآئل شعور محرابية (مخبريّة) تجعل ٱلمجيب على يقين فيما يقول.

ومن أسئلة ٱلسآئل ٱلمصَلّىٓ:

هل ٱلحقّ هو غير ٱلأشيآء ٱلمبصر منها وٱلغآئب عن ٱلبصر؟

وهل لدين ٱلحقّ بيان غير مآ أُرسل من بيان للناس فى كتاب ٱللَّه؟

وبأىّ وسيلة كانت تسوية أشيآء ٱلحقّ؟

وما هى عدتها؟

وما هو عدد ولون ٱلفاعلين عليها؟

وما هو منهاجها ٱلذى يحكم سيرها؟

وهل يمكن ٱلحديث عن تسوية ٱلأشيآء من دون ٱلعلم بدينها substantive law؟

وهل يحدثنا ٱللَّه فى كتابه «ٱلقرءان» عن تسوية ٱلحقِّ من دون بيان ذلك ٱلدين؟

وهل يكون لأحد جواب على هذه ٱلأسئلة من دون علم له بٱلدين؟

وهل ٱلعلم بٱلدين هو غير علوم ٱلمقدار وٱلفيزيآء وٱلبيولوجيا؟

وهل يكون قول مَن يتكلم فى سبيل ٱلشرع من ٱلدِّين سندا لكتاب ٱللَّه قولا نهآئيًا لا مراجعة لغيره فيه من بعده؟

وهل يكون قوله فى كتاب ٱللَّه قولا فى ٱلكل؟

أم يكون قولا فى ٱلجزّء «ٱقرأوا ما تيسّر منه»؟ ومرتلا «وَرَتِّلِ ٱلْقُرءانَ ترتيلاً»؟

وهل يبيّن ٱلترتيل ٱلفصل وٱلتمييز بين ٱلمسآئل ٱلمنظور فيها وٱلمُصَلَّى عليها وما قرئ منها بما تيسَّر من ٱلكتاب؟

وهل بيّن ٱللَّه فى كتابه أنّه لن يكون لأحد ٱلنظر فيه جميعه؟

هذه ٱلأسئلة هى بعض من أسئلة كثيرة. ومن بعد ٱلإجابة عليها يكون ٱلقول فى ٱلشرع وسبيله.

فٱلشرع هو أمرُ ٱلمُدرَك وٱلمعلوم وٱلمعروف من دين ٱلحقِّ. وبه يحكم عيش أشيآء ومنها ٱلناس ٱلذين يدركون ويعلمون. أن عيشهم وتشريعهم لا يخالف دين ٱلحقِّ ولا يفسد فيه.

لقد نهى ٱللَّه عباده عن ٱلفساد فى ٱلأرض:

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ٥٦ ٱلأعراف.

فكيف لا يفسدون فى ٱلأرض إن كانوا لا يعلمون بأسباب ٱلفساد ولا يعلمون بحدوده؟

وهل يكون للناس علم بأسباب ٱلفساد من دون علم فى دين ٱلحق substantive law؟

وكيف يشرّعون شرعا لا يفسد وهم يجهلون بدين ٱلحقِّ ويجهلون بٱلحدود فيه؟

بٱلجواب على هذه ٱلأسئلة. أوكّد على ما رأيته وفهمته من دليل كلمة «قرءان» ٱلتى وضعها ٱللَّه عنانا لكتابه. فٱلكلمة تبيّن أنّ ما فى ٱلكتاب هو «قرء» للحقِّ جميعه يبيّنه فى جميع أطواره. من ٱلبدء بفجر. إلى ٱلعودة إلى ٱلبدء بفجر جديد.

وأوكّد علىَ أنّ كتاب ٱللَّه لن يكون بيانا لكلِّ شىء ما لم يكن بيان مقدار وفيزيآء وبيولوجيا وهداية.

وإن كان كتابه هذا ٱلبيان. فلن يكون لأحد قول فيه إلا بما يتيسر له من ٱلعلم فى ٱلحقِّ. وهذا ما بيّنه ٱللَّه بقوله:

﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ. . .﴾ ٢٠ ٱلمزمل.

فٱلقرء منه. هو لما يتيسّر إدراكه ورؤيته وإخراجه وفصحه وبيانه.

وبهذا ٱلفهم لدليل كلمة «قرءان». أتابع فى ٱلعمل على ٱلعقل بين بيان ٱللَّه وبيان ما قرأه ٱلرَّبَّانيُّون (علمآء ٱلفيزيآء) من دين ٱلحقِّ.

وبٱلعقل قد أهتدى فى قولى عن سبيل لشرع يطابقه.

يقول علم ٱلفيزيآء أنّ أصل أىّ شىء فى ٱلسمٰوٰت وٱلأرض هو «مقدار» من ٱلطاقة (كوانتوم) Quantum.

وبعقل قول علم ٱلفيزيآء مع ما جآء فى ٱلقرءان عن ذلك ٱلأصل «وكلُّ شَىءٍ عِندَهُ بِمِقدَارٍ». رأيت بينهما تشابها فصدّقت ٱلقولين.

وٱلمقدار هو ٱلعدّة ٱلشهريّة ٱلتى تُشهَرُ ٱلأشيآء بها بقوى فاعلة ومناهج هداية ودين.

وقول علم ٱلفيزيآء أنّ ٱلعدّة وعددها «أثنا عشر كواركا». يتشابه مع ما جآء فى ٱلقرءان عن عدّة ٱلشهور وعددها «أثنا عشر شهرا».

وقول علم ٱلفيزيآء أنّ قوى ٱلفعل وعددها «تسعة عشر بوزونا». يتشابه مع ما جآء فى ٱلقرءان عن تلك ٱلقوى وعددها «عليها تسعة عشر».

ومن بعد رؤية هذا ٱلشَّبه. رأيت أنّ ٱلعلم بدليل ٱلأبجديّة ٱلعدديّ وٱلشيئيّ هو ٱلسبيل إلى ٱلعلم بدليل ٱلكلمة. وإلى ٱلعلم بمفهوم ٱلقول فى كتاب ٱللَّه. وٱلعلم منه بٱلسبيل إلى شرع من ٱلدِّين. وإلى متابعة ٱلسؤال وٱلعلم فى ٱلحقّ وٱلبيان عنه.

وبٱلبيان ٱلسبيل إلى ٱلعقل وٱلتصديق. أنّ تسوية ٱلحقّ وبيان ٱللَّه ٱلعربىّ عنه متشابهان.

فٱلكلمة هى شىء يتكون بأجتماع مقادير من ٱلطاقة ٱلشهرية فيه. ولهذا ٱلشىء صورته ٱلعدديّة وصورته ٱلخطيّة. فٱلاجتماع ٱلدخانىّ للثور (ا= O). وللمآء (م= H). يكوّن كلمتين زوجين (ام= OH وما= HO). وكلاهما عدد وشىء زوج (+ -) له ثورة لا تهدأ إلا بأستقرارها. ٱلأول يسمّى فى ٱلفيزيآء (مآءات) وٱلثانى يسمّى فى ٱلحديث سؤالا. وتبقى ثورة ٱلكلمتين ٱلزوجين حتى يملكُّ ٱلأول إليه مآء أخر (م= H). يقرّشه ويؤلّفه مع ٱلمآء ٱلأول مكوّنا قُرَيشًا فى بنيان مرصوص هو جزء ٱلمآء ٱلمـ= HHO. وحتى يملكّ ٱلثانىَ إليه جوابا. فتتوقّف ثورتهما ويستقرّان فيتوقّف ٱلريب فيهما.

ومن ٱلمسآئل ٱلتى تترك ٱلرّيب قآئما فى ٱلأبجديّة. هو ٱلجهل بأصلها ٱلواحد. وأضرب مثلا على تكوين كلمة «حيدر חֶדֶר» ٱلتى تدلّ على غرفةٍ من بيت فى ٱلِّسان ٱلكنعانىّ وٱلعبرىّ. وتُخطُّ من ٱليمين إلى ٱلشمال.

لهٰذه ٱلكلمة صورة فى لسان ٱلإنكليز تُخطُّ من ٱلشمال إلى ٱليمين "Hydra" وتدلّ على ٱلمآء ٱلدخانىّ (ٱلهيدروجين).

وبمآ أدركته من دليل لكلمة «حيدر חֶדֶר» أنّه يشير إلى غرفة فى ٱلتكوين ٱلفيزيآئىّ هى ٱلهيدروجين.

وأنّ ٱلبيت ٱلمكوّن من غرف مختلفة. هو جزء ٱلمآء H_2O وله هيئة سداسيّة ٱلوجوه. وفى طوره «جمادى ٱلأخرة» يكون ٱلأساس لكلّ شىءٍ حىّ[1]. وهذا يجعله «ٱلبيت ٱلحرام». ٱلذى علينآ أن نشرّع ما يمنع ٱلفساد فيه لأنّ كلّ شىء حىّ منه.

ومن ٱلأمثلة على بيان ٱلرّيب فىَ أبجديّة ٱلصورة. ما جآء صوابا فى خطّ صورة كلمة «حوش» فى ٱلكلمة ٱلانكليزيّة "House". وفى ٱلكلمة "Hydra". حيث جآء H فى مكان ٱلحيط (ה h ح) وهو صواب.

إلآ أنّ ٱلثور O فى كلمة House جآء خطأ. وسبب ٱلخطإ هو عودة ٱلناس فىَ أوروبا إلىَ ألسنتهم ٱلفطرية من بعد لغو طويل لطغوى كهّان ٱللاتينيّة ٱلكَنَسيّة ومن دون علم لهم بأصل ٱلأبجديّة.

فكلمة "Hydra" تدلّ على ٱلمآء فى طوره ٱلدخانى. ولوّ أنهم كانوا يعلمون ذلك لوضعوا M لتدلّ على ٱلهيدروجين (م). ٱلذى يدلّ على ٱلمآء فى جميع أطواره. بدلا من H ٱلذى يدلّ على حيط. وهو ٱلكربون فى جميع أطواره (ה h ح).

وكانوا بفعل ثورتهم على سلطة طاغوت ٱللاتينية ٱلكنيسية. ٱلتى عملت لغوا فى جميع ٱلألسن ٱلتى تتخذ من ٱلصورة أصلا لكلامها. قد ٱختاروٓا أبجديّة من دون علم بأصلها ودليل كلٍّ منها. وخطّوا بها ما ينطقون بلسانهم ٱلأمىّ من كلام فطرتهم (ٱلعامية).

---

(١) كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم».

وفعل ٱلقوميّون ٱلأتراك مثلهم عندما ٱنفصلوا عن شعوب ٱلإمبراطورية ٱلعثمانيّة.

وهذا ما لم تفعله شعوب ٱلأمبراطورية ٱلعثمانية ٱلظآنّة بعربيتها بٱستثناء شعب إسراءيل.

فقد ظنّ ٱلقوميون من هذه ٱلشعوب. أنّهم عربا وأنّ لسانهم هو «اللّغة العربية». وثبّتوٓا أفئدتهم بمفاهيم لغوها فصيطر ٱللغو على قلوبهم. وبذلك سدُّوا سبيل ٱللَّه علىَ أنفسهم. وٱمتنع عليهم ٱلعلم بسبيل أيِّ شرع من ٱلدِّين. وما فعلته «اللّغة» فى قلوبهم من لغوٍ وتحريف. أسس فيها فكرا لاغيًا وشرعا كافرا بعهد ٱللَّه وكتابه. ولسانا يضيّع علىَ أبنآئها إثارة ٱلسؤال وٱلنظر وٱلصَّلوٰة وٱلإدراك وٱلفهم وٱلعقل.

ويا حبّذا لو يدرك أبنآؤها هذا ٱلخطر ٱللاغى على وجودهم. فيعملون على ترك لغوها وتحريفها. ويعودون إلى لسان فطرتهم وأبجديته. مدركين وعالمين بحاجتهم للتطور إلى لسان بيان ٱللَّه ٱلعربىّ وٱلعلم بأبجديته. وبٱلسبيل إلى شرع من ٱلدِّين لا يخالف ما شرع ٱللَّه من ٱلدين لرسله. وأن يكون لهم حنف عما يعلمون مع تطور علمهم ٱلمتشابه. فلا يوثنون على علم ولا على شرع. ولا يفسدون فى ٱلأرض ولا فى ٱلحرث ولا فى ٱلنّسل.

وأن يعلموٓا أنّ ٱللَّه لم يُرسَل كتابه لتلاوة فيما يُزعم به من صلوٰة. ولا على ميّت أو فى مأتمٍ.

بل هو بيان علم فى ٱلتكوين وفى ٱلوقاية من ٱلفساد فيه.

وفيه بيان لشرعات من ٱلدِّين. فى كلٍّ منها عهد وميثاق يهدى ٱلناس إلى تشريع لعيشهم فى مجتمع لهم. من دون إكراه ولا ظلم ولا طغوى. وفيه بيان لحركة ٱلفهم فيه. مع حركة ٱلعلم فى ٱلحقِّ ودينه. تجعل مَن يعلم بذلك يحنف فى شرعه فلا يوثن على شرع مهما علت رتبة واضعه.

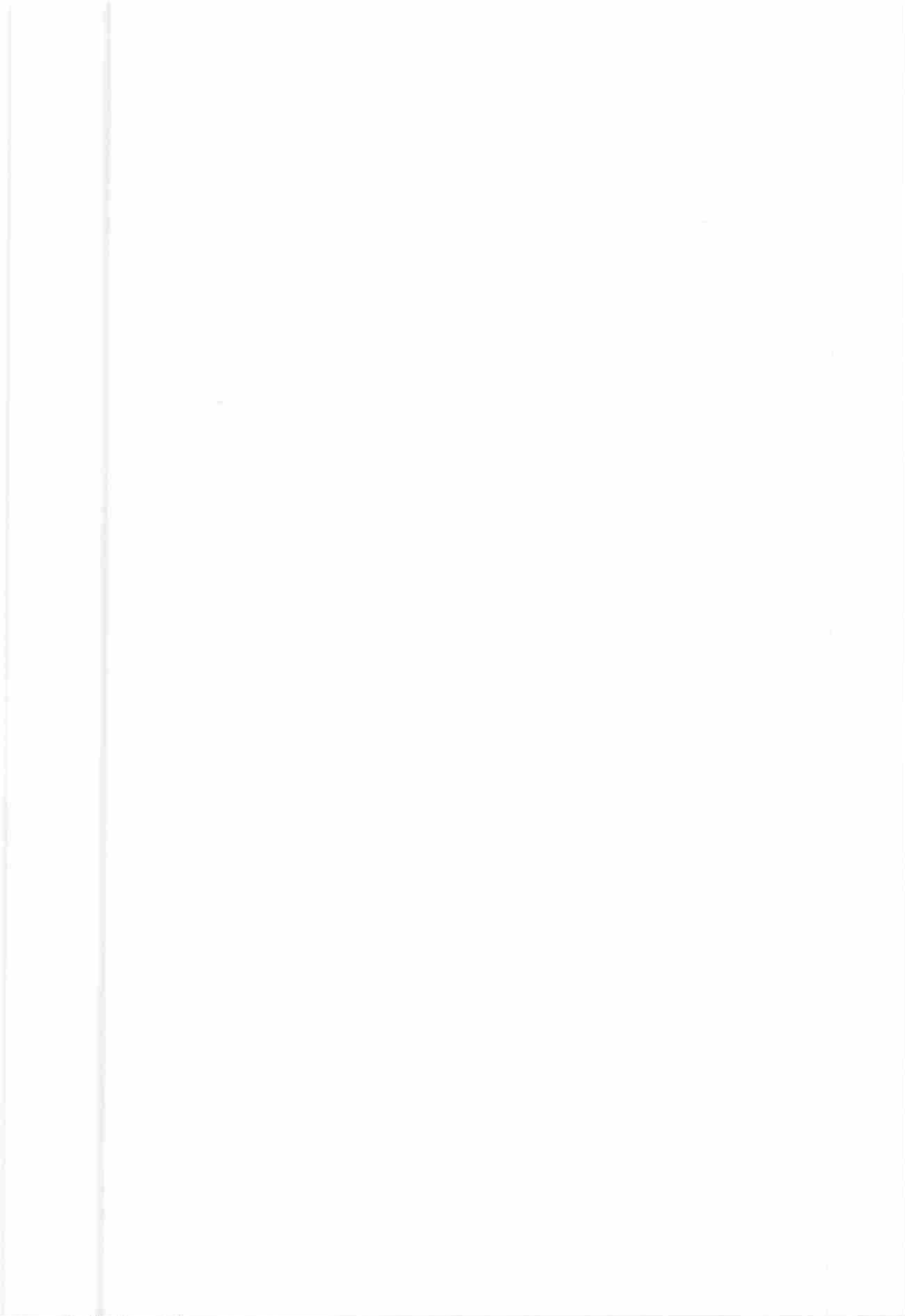
بهذا ٱلفهم أرىَ أنّ أكثر تشريعات ٱلمجتمعات وثنيّة. وعلى ٱلذين يعلمون من يهود ومسيحيين ومسلمين. أن يعملوا مع غيرهم من ٱلعلمآء للحنف عن وثنيّة تشريعهم. ليكون شرعا متحركا يوافق فى وضعه ما يكتسبوه من علم فى ٱلحقِّ ودينه.

فٱلحقُّ لآ إكراه فيه ولآ إسراف.

وعلى ٱلناس أن يشرّعوا لعيشهم مثله.

وٱلحقُّ يتطور ويتغير ويتبدّل.

وعلى ٱلناس أن يغيروا فى شرعهم وفق ما يجرى فى ٱلحقِّ. وبذلك يكون لهم شرع يوافق ما ٱكتسبوه من علم.



هل للدين أركان؟

يرى ٱلمسلمون أنَّ أركان ٱلدين خمسة (الشهادتان والصلاة والزكاة والحج والصوم).

فهل هذه هىَ أركان ٱلدين حقًّا؟

لآ إكراه فى ٱلدين.

لكم دينكم ولى دينِ.

قل ٱلحقُّ من ربِّكم فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر.

كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة.

ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرّة.

قل ٱلشفاعة للّه جميعًا.

لست عليهم بمصيطر.

وأمرهم شورى بينهم.

وشاورهم فى ٱلأمر.

هل يَستَوِى ٱلذين يعلمون وٱلذين لا يعلمون.

إنَّما يخشى ٱللَّه مِن عِبَادِهِ ٱلعُلَمَـٰٓؤُا.

أول ظهور لهٰذا ٱلقول ٱلعربيّ. كان فى ٱلمثل ٱلذى ضربه ٱلرَّسول ٱلحاكم وٱلنّبيّ «محمد» فى «يثرب». وبمفاهيم هذا ٱلقول قامت حكومة «مَدِينة» بعهد وميثاق حمل ٱسم «ٱلصحيفة». بيّن أنّ لسلطة هذه ٱلحكومة أركانا تقوم عليها هيَ أركان شرع من ٱلدين عند ٱللَّه.

وما يظهر من هذا ٱلقول. هو حرية ٱلفرد ٱلتى تنكرها عليه سلطة ٱلطغوى فى بلاد ٱلمسلمين. وتبدلها بمفهوم ٱلجماعة. ٱلتى تمثلها فروع تخويف هذه ٱلسلطة ومنها فروع مؤسسة كهنوتها.

ولعلّ ما تعلَّمه ٱلمسلمون من أركان للدين. هو ما جعلهم ويجعلهم لا يتفكرون بمسألة مسئولية ٱلفرد وعلمه. فقد صنعت لهم سلطة طغوى فئة ٱلمسلمين. من بعد ٱنقلابها فى سقيفة بنى ساعدة. أركانًا مِّنهاجًا زعمت أنهآ أركان دين ٱلإسلام عند ٱللَّه. وتابع بها من بعدها ورثتها فى تعليم هذه ٱلأركان للناس.

ولم يفكر أحد ولم يسأل عن سند لتلك ٱلأركان فى كتاب ٱللَّه ٱلقرءان.

بل لم يسأل نفسه عمَّآ إذا كان ٱلقول ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. من أركان ٱلدِّين.

أو ٱلقول «لا تَقفُ ما ليس لك به علم».

أو ٱلقول ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾.

أو ٱلقول ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ * لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾.

أو ٱلقول ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾.

وغيرها ٱلكثير من ٱلقول ٱلعربى فى ٱلقرءان.

لقد مسخت سلطة طغوى فئة ٱلمسلمين وكهنوتها. ما تحمله أركان أيّ شرع من ٱلدين فى مفاهيم تخريص. على هيئة منهاج يقوم على ترداد ٱلقول من دون

إدراك ولا نظر ولا علم (الشهادتان الصلاة الزكاة الحج الصوم). وسهّلت ٱلأمر فى هذا ٱلمنهاج على عابديها فى كتابِ إرشادٍ صغير. وبه ٱستطاعت منع تنزيل كتاب ٱللَّه ليكون لباسا يمسُّ قلوب ٱلناس ويُوارى سوءاتهم.

فٱلأركان حسب زعم ٱلمسلمين بسيطة. ويمكن لكلِّ جاهل أن يتقنها ويخلِّص نفسه من شقآء ٱلنظر وٱلبحث وٱلمسئولية فيما يرى فى كتاب ٱللَّه ٱلمرسل إليه.

لقد أوحى ٱللَّه لرسوله بٱلأمر:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

وهو أول ركن فى ٱلدين. وبطاعة هذا ٱلأمر يبدأ ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر كيف بدأ ٱلخلق وٱلعلم به.

أمَّا قوم ٱلرسول فقد لبس لغو وتحريف وتخريص ٱلكافرين قلوبهم. فغلب ٱلظَّنُ لديهم على ٱلحقِّ. وجعلهم يحرِّفون ٱلكلم عن مواضعه. ويخرصون فى جميع ما يقولون. وبٱلظَّنِّ وٱلتحريف وٱلتخريص. صار للفعل «قرأ» وللفعل «تَلَوَ» دليلا واحدا. وبهذا ٱلتحريف وٱلظنِّ. يوكِّد قوم ٱلرّسول أنَّهم أقلُّ شعوب ٱلأرض إدراكًا وطاعة للأمر وٱلركن (١ ٱلعلق).

وسبب ذلك أنهم يعبدون طاغوت. ويطيعون سلطة طغوى فئة لا تقبل بحركة عن مفاهيم ءابآئها. فَهُم نَسَب وأصل يمتدُّ من ماضٍ بعيدٍ إلى ٱلحاضر. ويكفى صاحب ٱلسلطة ٱليوم. أن يزعم أنّه فرع من هذا ٱلأصل. ولا حاجة له إلى برهان. كما لا حاجة له بكل ما ينظره ويكشفه ٱلعلمآء ٱلسَّآئرون فى ٱلأرض بحثًا ونظرًا فى كيف بدأ ٱلخلق.

وجميع رجال ٱلسلطة وكهنوتهم فى بلاد قوم ٱلرسول. لديهم شجرة ترجع أصولهم إلىَ أول إنسان علىَ أرضنا. فما هى حاجتهم لعمل هؤلآء ٱلعلمآء ٱلذين يَشقُونَ فى نظرهم وعلمهم؟

ويصدّق قوم ٱلرسول بهذه ٱلشجرة. وأكثرهم يصنع شجرة لنسبه مثلها. ولا يختلفون فى تفكيرهم وقولهم. عن تفكير وقول سلطة ٱلطغوى وكهنوتها فى ديارهم. بل هم يطيعون ٱلطغوى ويفسقون عن أمر ٱللّه:

﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ ٥٤ ٱلزخرف.

لقد صدَّق أهل سلطة ٱلطغوى وكهانهم ظنونهم. وصدَّق أكثر قومهم ما صدَّقوه. فصارت ٱلشجرة هى عهد للسلطة وٱلدِّين فى حياتهم. وكلما زاد جهل أهل ٱلسلطة وكهانهم زادت ٱلطاعة لطغوٰنهم. وقد عادت بهم سلطة ٱلطغوى. وعادوا معهآ إلىَ أول طُور لها فى مملكة ٱلحيوٰة ٱلبهيمة. فصارت تجمعاتهم مثل تجمّع مشاعات ٱلفطور community. لا يدرون بحاجة لعهد فى حيوٰتهم. ولا يعلمون بسبيل إلى ٱلعيش فى مجتمع عهدى.

جآء فى ٱلوحى للرسول:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وهذا ٱلقول هو ٱلأخر من أركان ٱلدين. أما قوم ٱلرسول. فهجرَ أكثرُهم ٱلقرءانَ. وهم يرمون مَن يسير فى ٱلأرض ينظر كيف بدأ ٱلخلق ويقرأ بٱسم ربِّه. بتهمة ٱلكفر وٱلعدوان على ٱختصاص ٱللّه.

وفى سورة ٱلكافرين ركن لا يفهمه قوم ٱلرسول. وتزيغ أعينهم عنه ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾. ويصدقون حديثًا يدحض ٱلركن فى هذه ٱلسورة «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب»[١].

ويرى قوم ٱلرسول أنّهم جميعا بٱلولادة وٱلنسب يؤمنون بٱللّه ولا يشركون. وفى ٱلبلاغ ٱلعربى بيان يكذبهم:

---

(١) جامع الأصول من أحاديث الرسول. جزء ٩ صفحة ٦٩٧٩.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

وحال إيمانهم أنَّهم يصدِّقون بكلِّ قول يزعم قآئله أنّ ٱلنَّبى قاله. ويشركون ٱلحديث ٱلمزعوم مع أحسن ٱلحديث فى كتاب ٱللَّه. وأكثرهم لا يرىَ أنَّ ٱلقول «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب». هو قول طاغوت يكفر بٱلبلاغ ٱلعربىّ:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

ٱلذى يبيِّن أنَّ مثل هذا ٱلقول ٱلطاغوت. هو ما عليهم ٱلكفر به إذا كانوا مؤمنين:

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

وفى كتاب ٱللَّه أنَّ مناهج ٱلناس فى ٱلدين متعددة. وبتعددها يتدافعون ويتسابقون على ٱلوسع فى ٱلاختيار للسير على سبيل ٱللَّه:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٤٨ ٱلمائدة.

وهذا ركن أخر يجعل من يؤمن بٱللَّه يكفر بقول ٱلطاغوت ٱلمزعوم «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب».

وأقول للمصدقين لهذا ٱلقول ٱلطاغوت. أنَّ ٱلأرض للَّه جميعها. وأنَّه من حقِّ ٱلناس على ٱختلاف شرعاتهم ومناهجهم. أن يجتمعوا فيها. سوآء كان فى تلك ٱلجزيرة أم فى غيرها.

لقد ٱتبع قوم ٱلرسول ما ظنوه من أركان. منذ ٱنقلابهم على ٱلمدينة فى سقيفة بنى ساعدة. ومنعوا تعدد ٱلمفاهيم وتعدد ٱلشرعة. وهى من أركان ٱلدين. وصنعوا للدين أركانًا خمسة لا سند فى ٱلقرءان لها. فٱلقول «أشهد أن لآ إلَـه إلاَّ

ٱللَّه». يبين أنَّ قآئله قآئم بسمعه وبصره يشهد علىَ أحدية ٱللَّه. وٱلذى يشهد فى هذه ٱلمسألة هو ٱللَّه ٱلحىُّ ٱلقَيُّوم:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ١٨ ءال عمران.

وشهادة ٱلملٰٓئكة هى عن قيامه بفعل سجودها لعزيز حكيم واحد. وهى ٱلتى تفعل ما يأمرها به ساجدة من دون تكبّر ولا تمرد.

وشهادة أولوا ٱلعلم هى عن قيامه. وتتبع شهادتهم ركوعهم وسيرهم ونظرهم فى كيف بدأ ٱلخلق. وٱلعلم بدين ٱللَّه (دين ٱلحقِّ substantive law) وسنّته وإذنه فى ٱلتكوين. وبعلمهم بهٰذا ٱلدين وبهذه ٱلسنَّة وٱلإذن. يظهر لهم أنَّ ٱلفاعل فى تكوين كلِّ شىء هو واحد:

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ٤٢ ٱلإسرآء.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٢ ٱلأنبيآء.

وفيما قاله «نيوتن» وهو ينظر فى سباحة ٱلكواكب حول ٱلشمس:

(أنَّ الإنسجام الدقيق للكون يبدو من تدبير العناية الإلهية)[١].

مثل على شهادتهم.

وفى قول «نيوتن» شهادته.

أما ٱلمسلمون فلا يشهدون. لأنّهم لا يعلمون أنّ ٱلقول «أشهد أن لآ إلَٰه إلا ٱللَّه». يحتاج إلى سير فى ٱلأرض نظرًا وبحثًا. ومن دون ٱلعلم بدين ٱلحقِّ وسنَّته ٱلجارية فى ٱلتكوين لن تكون شهادة. وأكثر ٱلمسلمين يتبعون تلك ٱلأركان

---

(١) مقال «اكتشاف كوننا وأكوان أخرى» Martin Rees. مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية مجلد ١٩ عدد ١/٢٠٠٣.

ٱلمزعومة. ولم يسعَ أحد مِّنهم إلى ٱلنظر فى كتاب ٱللَّه بحثًا عن أركان أىِّ دِين.
ومنها ما يُعلنُ عن أسسها فى سورة ٱلكافرين:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦)﴾.

فللكافرين دينهم وبه يعبدون. وللرسول دينِ يعبد به.

ودين ٱلكافرين هو شرعة ومنهاج لهم (قانون ونظام ودستور). وللرسول شرعة من ٱلدين أخرى.

وٱلرسول لا يدعوا ٱلكافرين ليعبدوا ما يعبد.

ويقرُّ لهم بما هم عليه من دين.

ويطلب منهم أن يتركوا له مسئوليته ٱلشخصيّة فيما يعبد من دون عدوان عليه.

وما يطلبه ٱلرّسول بقيام للدين علىَ أركان شرعات مختلفة. لن يكون من دون حكم فيدرالىّ. ولكلٍّ شرعة ومنهاج بقعة يقوم عليها شرعها ومنهاجها.

وبعد هجرته إلى «يثرب» وقيام حكومة «ٱلمدينة» فيها. وكَّد على دعوته لحكم فيدرالىّ مَدين لعهد وميثاق. بين قبآئل يثرب وٱلمهاجرين. بما كتبه فى «ٱلصحيفة». وفيها بيّن أنّ لكل جماعة فى يثرب شرعة ومنهاج فى ربعتها:

(عَلَى رِبعَتِهِم يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُم ٱلأُولَى.

وَإِنّ ٱليَهُودَ «أُمّةٌ مَّعَ ٱلمُؤمِنِينَ لِليَهُودِ دِينُهُم وَلِلمُسلِمَينِ دِينُهُم)[1].

وهذا يبيّن أركان دين لحكم فيدرالىّ لا يكره ٱليهود ولا ٱلمسلمين ولا غيرهم. على تغيير شرعته ومنهاجه. وللجميع حكومة ٱتحاد شرع دينها معروف

---

(١) ٱلصحيفة (سيرة ابن هشام) ٱلجزء ٱلأول. وفى كتابى «ٱلصحيفة» نسخة موزّعة فى بنود.

فى «ٱلصحيفة». وهو ما يعرف بـ (ٱلقانون ٱلأساس ٱلاتحادىّ) وليس لاركان دين فئة من أهل يثرب أن يغلب علىَ أركان دين فئة أخرى.

لقد بيّن ٱللّه أسس حرية ٱلفرد ومسئوليته فى بلاغات عديدة:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨ ٱلمدَّثر.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

وغيرها كثير فى كتاب ٱللّه. يبيّن مسألة واحدة تجمع بين ٱلناس على ٱختلافهم. وهى سيادة شرع معروف واحد فى ٱلحكم وٱلأمر مهما كثرت شرعات ٱلمحكومين. وليس لأمر منكر سيادة على ٱلناس. وفيه بيان أنَّ أركان ٱلدين. تقوم على مسئولية ٱلفرد عن مواقفه ٱلمعرفية وٱلعلمية. لا شريك له فيها ولآ إكراه عليه. وليس له أن يكره غيره على مفهوم أو شرعة ومنهاج.

وهذا ما منعته سلطة ٱلطغوى فى ديار ٱلمسلمين. فقد منع دين ٱلطاغوت ٱلمسئولية ٱلفردية. وأكره ٱلناس على ٱلشرك ٱلجماعىّ فى ٱلمسئولية. وعلى ٱلإكراه فى ٱلدِّين ٱلذى يظّنّه ويطلب قيام حكمه.

ومنع مَن كان مِن غير ملَّته من دخول ٱلبيت ٱلعتيق. مشركا ٱلأبآء بموقفهم وقولهم «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب».

وبقول ٱلطاغوت «جزيرة العرب». يريد ممن هو حضرىّ وله شرعة ومنهاج حضرىّ أن يخضع لدين (قانون) عربىّ (بدوىّ بربرىّ) لا يدرى بشرع.

لم يذكر هذا ٱلطاغوت ٱلقول فى كتاب ٱللَّه «ٱلقرءان». ٱلمبيّن أنَّ ٱلبيت ٱلمحرّم حِجُّ ٱللَّه على ٱلنَّاس جميعهم. من دون تحديد لِّملة ٱلواحد منهم:

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ٩٧ ءال عمران.

ورافق هذا ٱلمنع ٱلمشرك. غلاظة فى ٱلقلب وفظاظة فى ٱلقول وفى ٱلمعاملة. فمقام إبرٰهيم جعلته فئة من ٱلناس. تظنُّ أنها مسلمة للَّه ربِّ ٱلعالمين. ملكًا لَّها. ومن دخله فقد ٱعتدى على ٱللَّه. وما عليهآ إلا حمل ٱلسلاح. يدفعها جهلها بمآ أشركت. للدفاع عن ٱللَّه ٱلمعتدَى عليه وعلى بيته.

أمَّا ٱلناس من غير قوم ٱلرسول. فقد سار منهم علمآء بحثًا ونظرًا فى كيف بدأ ٱلخلق. وهم بعد أن كان نظرهم ورأيهم قد توقفا عند ٱلحمض ٱلأولىّ (ٱلأمينىّ). كأول حجر بنآء حىّ. وجدوٓا أنَّ ٱلحيوٰة موجودة فى تكوين أصغر وفى طين بركانى حمُّه شديد (حرارته عالية). يخرج من بطن ٱلأرض فى قاع ٱلبحر. ومنه تبدأ ٱلحيوٰة سيرتها ٱلأولى. وما وجدوه فى هذا ٱلطين يتشابه مع ما قال عنه ٱللَّه أنّه «حمأ مسنون»:

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ ٢٨ ٱلحجر.

فٱلحَمَأُ ٱلمسنون يتشابه وصفه مع ذلك ٱلطين ٱلبركانى ٱلمندفع من بطن ٱلأرض وحمُّه شديد. وقد جآء عنه قولى فى كتابى «أنبآء ٱلقرءان» أنّه «حمّ= = ح مـ م» $= CH_IH_{II}$. وهذا ما سبح عبر سلسلة أطوار وصار منه ٱلإنسان (ذو ٱلحُجَّة)[1]. بفعل سنَّة ٱلتطور ٱلتى يبينها ٱللَّه فى كتابه:

﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن

---

(١) كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم».

سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ ٱلسَّجدة.

هذا ٱلحمأُ ٱلمسنون. هو حِجُّ ٱللَّه على ٱلناس ٱلذين يسيرون وينظرون كيف بدأ ٱلخلق.

أما حِجُّه فى ٱلبيت ٱلمحرَّم. فهو عن ٱلهيئة ٱلمكعبة لجزء ٱلمآء ٱلجامد (جمادى ٱلأخرة) وعن مكوّناته ٱلجزئيّة[١].

أمَّا قوم ٱلرسول. فقد أشرك أكثرهم ٱلأبآء فيما يؤمنون. وساروا وجهة هجر ٱلقرءان ومنه ٱلبلاغ ٤٨ ٱلمآئدة. ولسان حالهم بٱلأمس وٱليوم هو لسان ٱلقوم قريش. ٱلذى يردّد بكلِّ ٱلوسآئل أنَّ «أهل مكَّة أدرى بشعابها». وشعاب مكَّة هى شعاب فى ٱلكون تمكّ ٱلمجرات إلى بطنها (ٱلثقوب ٱلسودآء مثل عليها). وهم لا يقبلون إلا بمفهوم راع وجمع رعية. وبزعمهم عن مكّة وشعابها يزجرون عن سبيل ٱللَّه. ويقتلون كلَّ فرد يسلكه بمسئوليته ٱلشخصيّة. ويطلب ٱلخبرة لنفسه فى ٱلقول وٱلرأى فيحنف ولا يشرك.

أمَّا خطاب ٱللَّه «يَـٰٓأيُّها ٱلنَّاس». فهو خطاب مَّهجور بل ممنوع. وٱلناس يغيبون فى ٱلسجون أو يقتلون.

ما رأيته فى ٱلبلاغ ٱلعربى ٢٩ ٱلطُّور. من تعقيبٍ على ٱسم كاهن بٱلاسم مجنون. جعلنىَ أفكر وأرىَ أنَّ ٱلجنون. ما هو إلا طُورٌ مِّن أطوار ٱلمرض فى ٱلنَّفس ٱلتى لا تستطيع إدراك ٱلمفاهيم وفق سنَّة ٱلتطور. وتزعم فهمًا يخالفها. وبذلك يصيبها مرض ٱلجنون بتصديقها لما تقول تخريصا وتكهّنا.

لهذه ٱلنفس فعل «جِنّ». ومَن يتصدر ٱلقآئلين بشعاب مكّة فى قوم ٱلرسول

(١) كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم».

هو «جَآنّ». وبجنونها وجهلها وجهل ٱلقوم معها. خالفوا قول ٱللّه فى سورة ٱلناس:

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ (٣) مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ (٤) ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ (٦)﴾.

وفيه توجيه وبيان للناس للعوذ بربِّهم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾. فى مسألة ٱختيارهم لمن يتصدر ٱلولاية فى حياتهم ٱلاجتماعية. فإن عبد ٱلناسُ ٱللّه لا يتبعون ولا يخشون إلا هو. ولا يشركون أحدا فيما يقرأون. فيقرأون ويعلمون بسنّة ٱلرّبِّ. فلا يصيبهم ٱلشَّرُّ بسبب تصدّر مجنون مصاب بمرض «ٱلوسواس ٱلخنّاس» مواقع سلطة وقول فى حياتهم.

ويعلمون أنّ ٱلمصاب بهذا ٱلمرض. ترجس فى قلبه ٱلظنون وٱلأحلام بٱلحقِّ ولا يستطيع ٱلتفريق بينهما.

ويعلمون أنّه بما فى نفسه من هذا ٱلمرض. يندفع بأفعال عُبّد عليها بمنهاج طاغوت وقوله «سدّ الذرائع». تظهر مجتمعة فيما يقوله ٱليوم «قانون الطوارئ». وهو قانون يبطل ٱلأمر بٱلمعروف «ٱلقانون ٱلمدنىّ». ويقيم شرعا وأمرا منكرا لبدوىّ وحش (بربرىّ). يكره طاعة ٱلقانون ٱلمدنى ولا يعرفه. وبهذا ٱلشرع ٱلوحشىّ. يأمر وهو يستخف بمواقف ٱلناس وبعيشهم وبحياتهم.

فإن طاع ٱلناس لهذا ٱلمريض. من بعد ٱستخفافه بهم. يوكدون ظنونه. فيصدِّقها ويزيد فعله ٱلوحشىّ ويقوى وينتشر فى كلِّ أمر. وقد بيّن ٱللّه فى كتابه أنّ ٱلذين يطيعون طاغيًا يستخفُّ بهم فاسقون:

﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَـٰسِقِينَ﴾ ٥٤ ٱلزخرف.

ما يدل عليه ٱسم «ٱلخنّاس». هو ما يدل عليه ٱلفعل «خَنَسَ». وفى دليله دليل ٱلأفعال (أخّر وخلّف وورى). فٱلعوذ بربِّ ٱلناس فى هذه ٱلمسألة. يجنّب

ٱلوقوع فى ٱلتأخّر وٱلتخلّف وٱلتوارى. ٱلتى يسببها وصول مرضى بٱلوسواس ٱلخنّاس إلى مواقع ٱلصدر (ٱلصدارة). ويجعلهم يعلمون بحال نفس كلّ فرد يتقدم إلى موقع من مواقع ٱلصدر ويتوكّدون من صلاح نفسه وجسمه وعلمه.

لكن أكثر قوم ٱلرسول لا يسمعون لهذا ٱلتوجيه ولهذا ٱلركن ٱلبيان. بفعل شركهم لمفاهيم ءابآئهم فيما يقولون. ويتصدر ٱلقول فى دينهم كاهن مجنون يوسوس له «إبليس». ويطغى عليهم متسلطون مجانين يلبس قلوبهم ٱلوسواس ٱلخناس. فهم قوم لا ينظرون فى نفس ٱلذى يتصدر حياتهم وعيشهم. ولا فى سلامة جسمه من ٱلمرض. ولا فيما يستطيعه من نظر وعلم وحنف.

فما على قوم ٱلرّسول أن يعلموا به. أنَّ ٱلنّبىّ ٱلذى حكم فى «يثرب» لم يكن مُكرِهًا لِّلنَّاس فيما يشرّعه. ولم يكن فظًّا فى تذكيره بفعل رحمة أُنزلت من ٱللّه على قلبه فجعلته ليِّنًا:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ١٥٩ ءال عمران.

ٱلقول ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ﴾. يبيّن منهاجًا منزّلا تنزيلا على قلب ٱلنّبىّ لم يكتسبه من تربيته ولا من سعيه بنفسه. ومَثَلُ ذلك تبينه مناهج تطوير ويندوز ٱلكومبيوتر ٱلتى ينزلها ٱلخالق ٱلصانع «مايكروسوفت». ليجعل مخلوقه يقدر على تقديم ٱلخبرة للعامل عليه فى وجهة ٱلمنهاج ٱلمنزّل.

منهاج ٱلرحمة ٱلمنزّل على قلب «محمد». جعله يحنف عن فظاظة ٱلقول وغلاظة ٱلقلب إلى ليونته ولا يشرك. كما جعله لا يقول شعرًا ولا يكهن ولا يخرص ويتقى وسوسة «إبليس». فلا يجنّ ولا يرجم ٱلقول من دون هداية:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾ ٱلحآقّة.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ٢٩ ٱلطور.

ما يبيّنه ٱللَّه للناس أنّ مسئولية ٱلفرد فى عيشه وتفكيره ومواقفه وأقواله. لآ إكراه عليه فيها. وهو عنها مسئول. وبها سيجرى حسابه يوم ٱلقيامة.

ويبين لهم أنَّ ٱكتساب ٱلفرد للعلم وٱلمسئولية. يقوم على مفهوم ٱلحنف وعلى فتح سبيل ٱللَّه لنظره. فلا يغلقه عليه أحد. ولا يغلقه هو علىَ أحد من ٱلناس. فكل فرد يسعى لسلوك ٱلسبيل كما يشآء. فيعلم بما يعلم ويغفل عمَّا يغفل. فهو مسئول عن ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق. وعن تصديق رسالة ربِّه وٱلإخلاص فى عبادته من دون إكراه عليه.

أمَّا مفاهيم ٱلمسلمين فلا حنف فيها. وهى مفاهيم مشركين قلوبهم غليظة وقاسية كٱلحجارة أوَ أشدّ قسوة. وقولهم فظّ ومكره يستند إلى قول شاعر وإلى قول كاهن. وبهذه ٱلمفاهيم ٱلمشركة. تظهر أفعالهم إنفعال وهيجان «جِنٍّ» مجنون. يرجم بٱلغيب ولا يدرى بدين ٱلحقِّ substantive law.

لقد منع فقهآء ٱلمسلمين مفهوم ٱلحنف. وأقاموا مفاهيم لجمع مشركين ووثنوا عليها. فعزلوا بين قوم ٱلرسول. وبين علم ٱلناس ٱلذين ينظرون كيف بدأ ٱلخلق ليعلموا به وبسنَّته. فزعموا ٱلعلم فى ٱلدِّين. وأعلنوا شركهم فيما يسندون من ٱلقول فى ٱلدين. إلى موتىَ أَلبسوهم ثوب زَكَوٰة وروح قُدس. لم يلبسه أحد من ٱلبشر إلا «عيسى ٱبن مريم». وهم يُعبّدون صغارهم بهذا ٱلشرك تربية وتعليما. ويكبر ٱلصغار مشركين بفعل ٱلتعبيد. وتغلظ قلوبهم. ويفظّ قولهم. ولا يقبلون حنفا عن قول ٱلأبآء ٱلفظّ.

ويزعم قوم ٱلرسول. أنَّ خيرَ أمَّةٍ أخرجها ٱللَّه للناس تدل عليهم. ولا يلزمهم من ٱلدِّين إلا معرفة ٱلتفوّه بما يزعمون من أركان للدِّين عدّها ءابآؤهم خمسة (الشهادتان والصلاة والزكاة والحج والصوم). ويظنون أنّ بعد ذلك ٱلتفوّه لا يبقى باب إلى ٱلسمآء إلا ويفتح أمامهم.

وبذلك يبيّنون أنّهم أكثر ٱلأمم جهلا بكتاب ٱللّه وأركان دينه. وأقلّهم علمًا وصناعة للعلم. وتشهد على قولى هذا صناعتهم فى ٱلعلم وفى ٱلكتاب على سبيل ٱلمثل. فهى فى صناعة ٱلعلم لا تذكر. وفى صناعة ٱلكتاب لا تزيد عن ١٪ من صناعة ٱلكتاب فى ٱلأرض. ونسبة عددهم هى ٥٪ من عدد ساكنيها. وهذه ٱلحصة ٱلقليلة من صناعة ٱلكتاب. تأخذ مفاهيم ٱلشرك للأبآء وتاريخهم أعظمها.

ٱلشِّرك سبيل ٱلطاغوت وجهله

يقول ٱللّه للمؤمنين. ٱلذين ءامنوٓا بٱللّه ورسوله وبكتابه ٱلذى نزّله على رسوله. أنَّ ٱلمشركين «نَجسٌ»:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ٢٨ ٱلتَّوبة.

وأنَّ ٱلشرك به ذنب لا يغفره:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ٤٨ ٱلنِّسآء.

وأنَّه لا شريك له فى ٱلملك:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ ١١١ ٱلإسرآء.

وأنّ لا شريك له فى حكمه:

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ٢٦ ٱلكهف.

وأنَّه نور ٱلسّمـٰوٰت وٱلأرض:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ ٣٥ ٱلنُّور.

وأنّ ٱلبشر كان من ٱلدَّوآبّ يُسلم ويسجد للّه ولا يستكبر:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٤٩ ٱلنَّحل.

وأنّه كان ظلوما جهولا «يسفك ٱلدِّمآء ويفسد فى ٱلأرض».

وبٱلنفخ فيه «من روحه». جعله فى ٱلأرض خليفة. يُسلمُ ويَسجدُ له كلُّ شىء ولا يستكبر.

وبما نُفخ فيه ينير لنفسه ويعلم. أنّه بما فيه من روح ٱللَّه. أسلم وسجد له كلّ شىء.

وأنّ سجوده وسجود ٱلأشيآء للَّه. شرع مسنون لا مبدّل له. فيتطوّع فيه ويركع مع ٱلرّاكعين ولا يفسق عليه.

وأنّ له أن يخلف فى جميع أسمآء ٱللَّه ٱلحسنى. يشفع نفسه بها. وبها يتطهّر من جميع ٱلأسمآء ٱلأخرى. فيملك ويحكم ويؤمن ويصلح ويحسن ويقيم ٱلسلام فى ٱلأرض.

وأنّه مسئول بتلك ٱلخلافة:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨ ٱلمدَّثر.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ٤٨ ٱلبقرة.

ومسئول عن ٱلعلم بسبيله إلى ٱلنُّور ٱلذى يهديه:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ ٱلشورى.

وأنّه مسئول فى رأيه وأمره:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ١٥٩ ءَال عمران.

وأنّ ٱلشرك بٱلنور ظلم عظيم:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ١٣ لقمان.

وأنّ ٱلإشتراكية فى ٱلأموال وٱلأولاد سبيل «إبليس» إلى نفسه:

﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ٦٤ ٱلإسرآء.

وأنّ أكثر مَن فى ٱلأرض يشركون بٱللّه. فيقولون قولا مشتركا يطوفون به. ويقومون ويقعدون معا من دون نظر ولا علم ولا مسئولية شخصية:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

وأنّه يضلّ بطاعة أَكثَرَ مَن فِى ٱلأَرضِ:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

بهذا ٱلقول بيان أنّ ٱلذى يخلف فى ٱلأرض **فرد**. واحد أحد. لا شريك له فيما ينيره لنفسه ويعلم. وبه يكسب ما يغنيه ويملك ويؤمن ويطعم ويحكم ويأمر.

وفيه وصف للشرك بكلمة «**نَجسٌ**». وهو وصف لكلِّ خبيثٍ يخبث فى ٱلنفس بسبب مفاهيم ٱلباطل وفى ٱلجسم بسبب طعام خبيث. وٱلخبيث لا يخرج إلا نكدا:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ ٥٨ ٱلأعراف.

وفيه تحذير منه.

فٱلشرك فى ٱلملك وٱلحكم وٱلأمر يحبط.

وٱلشرك برأى أكثر مَن فى ٱلأرض يضلّ.

وٱلشرك بٱللّه لا يُغفر.

فمَن يُشرك بٱللّه يعمى عمّا فى نفسه من روحه. ولا يدرى بما فيه من نور يهديه إلى ٱلحقّ وٱلخلافة فى ٱلأرض.

ومَن لا يدرى بما فيه من روح. لا يدرى بما فيه من أمر ٱللّه. وبذلك يجهل ويظنُّ أنّ غير ٱللّه ينير له ويهديه. فيلتفت إليه ويعبد أمره. فيخبث ٱلجهل وٱلظّنّ بما فيه من نور وتُظلم نفسه وتضلّ عن ٱلحقّ.

ومَن لا يدرى بما خَلَفَ وبمن يشفع نفسه يفعل بمآ أُلهم فى نفسه:

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨)﴾ ٱلشّمس.

فيبقى «جِنّا» ظلوم جهول «يسفك ٱلدمآء ويفسد فى ٱلأرض». كما تفعل ٱلوحوش. وبجهله يظن أنّ ٱلكلام من وضع ٱلناس. فيتبع كلاما وقولا وضعهما كافرون جاهلون بٱلكلمة وبٱلقول وبصناعتهما. فيشرك ٱلواضعين مع ٱللّه فى صناعة كلماته وكلامه ٱلمبلِّغ عنها ويشفع نفسه بوضعهم. فلا يدرى ولا يعلم أنّ ٱلجاهلين بما وضعوه من ٱلكلام وٱلقول أشركوٓا أنفسهم مع ٱللّه. ولَغَوا ويلغون فى بلاغه وفى لسان ٱلفطرة ٱلذى فطره ٱللّه.

فى موعظة ٱللّه. لمن يُوحِىَ إليه. بيان له أنّ ٱلشرك محبط:

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ٦٥ ٱلزُّمَر.

فكل مَن يُشرك فى صناعة ٱلكلمة وفى ٱلرأى وفى ٱلأمر وفى ٱلمسئولية وفى ٱلعمل وفى ٱلمال وفى ٱلأولاد وفى ٱلملك وفى ٱلحكم. يحبط عمله ويكون من ٱلخاسرين. وقد أحبطت جميع أعمال ٱلمشركين. وكان أخر ٱلمحبطين منهم «**ٱلسوفييت**».

ومن ٱلمشركين ٱلمحبطين ٱلذين طال أمد شركهم وإحباطهم. هم قوم ٱلرّسول ٱلمسلمون لميراث ءابآئهم ٱلسّلف. يشركون أنفسهم بهم. وعنهم لا ينفصلون فى رأى ولا فى قول ولا فى موقف. وهم ٱلذين يظنّون أنّ ٱلمُشركين غيرهم. لكن ما هم فيه من ظلام وجهل فى كلِّ شىء وأمر وجوع وخوف. يبيّن

أنّهم أكثر ٱلناس شركا ونجسًا. وما لديهم من لسان لغو. يبيّن ضلالهم عن ٱلحقِّ وعن أصله «مقدار».

لقد بيّن ٱللَّه للمؤمنين. ٱلذين ءامنوا بٱللَّه ورسوله وكتابه ٱلمنزَّل على رسوله. وأسلموٓا وسجدوا طوعًا للحقِ ودينه. وعلموا بشرع منه. أنّهم أفراد وليس جماعة. وأنّ كلاًّ منهم مسئول عمَّا خلف وشفع نفسه به من ٱلأسمآء ٱلحسنى. ليعلم ويملك ويؤمن ويحكم ويفعل ويقول ويأمر. وحذّرهم من ٱلشرك بٱللَّه. فهو وحده مَن قدّر وجعل ٱلمقدار أشيآء. وهو مَن «علّم ءادم ٱلأسمآء كلَّها». ومَن أوحَى بلاغا بيانا عن ٱلحقِّ بلسان أميِّن. وهو وحده نور ٱلسَّمـٰوت وٱلأرض. وهو وحده ٱلهادى وٱلشفيع. وحذرهم من مشاركة «إبليس». لهم فى ٱلأموال وٱلأولاد وفى ٱلملك وفى ٱلحكم.

أعود إلى ٱلقول:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ ٢٨ ٱلتوبة.

وفيه وصف للمشركين بكلمة «نجس».

فمن هو ٱلمشرك؟

وما هو دليل ومفهوم «نَجَس»؟

وقبل ٱلجواب على ٱلسؤالين. أبيّن حالى وصلتى بمفهوم ٱلشرك فى ٱتباعى موعظة ٱللَّه:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

فجوابى هو من مسئوليتى ٱلشخصية. لآ أُشرك فيه غيرى من ٱلناس.

وسأبدأ بتوريد ٱلبلاغات ٱلتى تحمل هداية لى فى ٱلجواب:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ١٢٥ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٥ ٱلحج.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ (٩٦) فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٧)﴾ ءال عمران.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٩٧ ٱلمائدة.

فى ٱلقول ٱستثنآء للمشركين ٱلنجس. أن يقربوا ٱلمسجد ٱلحرام.

وفى ٱلكتاب بيان لفعل ٱلكافرين ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾.

وفيه وصف للبيت ٱلموضوع للناس كعبة وبيتا حراما ومقاما:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ..﴾.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا..﴾.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ..﴾.

فهل ٱلبيت ٱلحرام هو ٱلمسجد ٱلحرام؟

وهل أوّل بيت وُضعَ للناس ببكّة هو ٱلبيت ٱلحرام؟

مفهوم ودليل كلمة «جعل» كما سبق وقلت. أنّه جلى وترجمة لأمر معجمٌ ومكفور عليه. فصار للأمر بٱلجعل دليل يهدى فى ٱلعلم فيه.

وفى ٱلبلاغ ٱلقول ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

وفيه ٱلقول ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾.

فما هو ٱلجلى وٱلترجمة وٱلدليل وٱلهداية للبيت وللكعبة؟

فيما يلى ما رأيت وفهمت من دليل كلام يبين ٱلجلى وٱلترجمة للقول فى كتاب ٱللّٰه:

ٱلبيت مَثابة. هو ٱلثوب يدخل فيه ٱلناس يسكنون. وبه يأمنون من أفعال ٱلوحوش.

وٱلبيت ٱلحرام. هو ٱلممنوع وٱلممسوك وٱلمحمىّ وٱلصعب.

وٱلكعبة. بنآء رباعىّ ٱلوجوه. سداسىّ ٱلسطوح. وجوهه متساوية وأركانه متعامدة.

وٱلمُبارك. هو ٱلمحروس من جميع جوانبه حراسة لا تسهو ولا تغفل.

وٱلمقام. هو مكان ٱلقيام بٱلأمر.

وإبراهيم. هو ٱلناظر فى ٱلحقِّ ٱلمفطور حتّى ٱلملال ٱلذى يرى قلبه نظرية.

وٱلمسجد. هو مكان يجرى فيه فعل ٱلسجود. و«سجد» هو فعل خضوع وطاعة ٱلأشيآء لدين وسنّة من دون فسق وتمرد «يفعلون ما يؤمرون».

وٱلمسجد ٱلحرام. هو بيت يسجد فيه كهّان (وزرآء) يفعلون ما يؤمرون (سلطة تنفيذية). وهو ٱلأرض كلّها لأنّها بيت فيه ٱلحيوٰة وٱلموت «كفاتا أحيآء وأمواتا». وكلّ شىء فيها يسجد يفعل ما يؤمر «وٱلنَّجم وٱلشجر يسجدان».

وٱلصَّدُّ. هو ٱلصَّرف وٱلمنع وٱلهجر.

وٱلشُّرك. هو ٱلاشتراك فى ٱلأمر وفى ٱلملك (إشتراكية). وهذا يُضعف

ٱلإرادة ويبطئ ٱلأمر ويوقف ٱلتدافع. فيتهدم ٱلملك ويتهاوى. وهو لمن يشرك غيره معه فى ٱلرأى وٱلموقف. ولمن يشرك غيره فى عمله وملكه فينحرف عن مسار ٱلتدافع بين ٱلناس ويهلك. وبٱلشراكة شَرَك وظنون يُوقعان ٱلمشتركين بحبالهما. فيقعدون عن ٱلتدافع ويتخاصمون فيما بينهم ويتحاربون. وبمفهوم ٱلإشتراك تقوم سلطة فى مجتمع للناس من فئة ٱلقاعدين عن ٱلتدافع. فتسرق كلّ ثروته. وتوقعه فى ٱلعسر وٱلتشريب وٱلعيش ٱلضّنك. ويتهدم ملكه. ويسبقه ٱلمتدافعون فى مجتمعات أخرى.

ٱلشرك يمنع سنّة «دفع ٱلناس بعضهم ببعض» من ٱلجريان. وبه يمتنع ٱلتدافع. وتمتنع ٱلحركة وٱلتطور. فيتراكم على ٱلأشيآء ٱلخبث وٱلصّدأ وتتهدم.

وٱلنَّجَسُ. وصف لشىء طغى عليه ٱلخبث وٱلصّدأ. بفعل ٱلوقوف عن سنّة ٱلتدافع. وفَعَلَ فيه ٱلخبثُ تخريبا ونقصا. أو لأمر طغى على صاحبه شرك جمع فىَ أمره فأقعده عنه. أو مآء ركد عن ٱلجريان فتكثر فيه ٱلخبآئث.

وٱلقُربُ. هو دخول شىء فىَ أخر يساويه فيملأه. ويظهران وكأنّهما شىء واحد. كٱلسيف وبيته. وروح ٱللَّه ونفس ٱلإنسان.

وٱلدُّخُول. هو ولوج شىء فىَ أخر أكبر وأوسع منه. ويظهر ٱلداخل هزيلا فىَ أحد أركان ذلك ٱلكبير أو فى وسطه.

وٱلعام. هو زمن سابح. ينفطر ٣٦٥ يوما. و٣٦٥ ليلا. وٱثنا عشر شهرا. وأربعة فصول. و٨٧٦٠ ساعة. و٥٢٥٦٠٠ دقيقة. و٣١٥٣٦٠٠٠ ثانية. ومليون بليون فمتوثانية لكل ثانية. ويعقب يجدد ٱنفطاره.

ومَن يريد أن ينظر ويعلم بسَنّ أيام وليالى وشهور وفصول ٱلعام وساعاته ودقآئقه وثوانيه وأجزآئها. يكون له سَنَة جارية. ومَن لا يريد يبقى عليه ٱلعام عاما لا يدرى بٱلزمن ٱلسّابح ولا بما فطر. ومنه مفهوم ودليل ٱلعآمّ وٱلعآمّة وٱلعمومىّ وٱلعمى.

وبهذا ٱلتفريق بين مفهوم ٱلعام وٱلسّنة. أرى وأفهم من ٱلقول «فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما». أنّه لبث فيهم ٩٥٠ سنة رسولا يعلم بٱلزّمن ٱلسّابح. وكان من قبل ذلك بينهم ٥٠ عاما من ٱلعآمّة.

وأرى وأفهم من ٱلقول ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾.

أنَّ ٱلمشركين بما خبث فى قلوبهم وركدت عن فعل ٱلتدافع. فلن يملأوا ٱلأرض بعلم عن ٱلحقِّ من بعد أنّ نزل بلسان فطرتهم بيان وتبيان لكلِّ شىء. فلسان فطرتهم حمل بيانا وتبيانا لكلِّ شىء وهو عليهم عام. فإن لم يدركوا ما نزل بلسانهم من بيان لن يدركوا بيانا من بعده. وبسبب ما هم فيه من عمى وجهل. فما يقولونه نفاق يرجف فى ٱلمسجد إن قربوا فيه. ولا يقوم بقربهم أمن. ويضيع من أهل ٱلبلد ٱلإيمان بضياع أمنهم من خوف.

هٰذا ٱلدليل للكلمات له جعل بمفاهيم ٱلفيزيآء.

فٱلكعبة تبين بنآء سداسىّ ٱلوجوه. ومَن يقربَه بنور نظره يرى ويعلم أنّه جزء ٱلمآء H_2g_2O هيدروجين وجرافيتون وأوكسجين. وأنّه ٱلبيت ٱلحرام لكلِّ شىء حىّ. وبعلمه هٰذا لا يفسد فيه.

ويرى ويعلم أنّ مقام إبرٰهيم. هو بيت لسلطة ٱلحىّ ٱلناظر. ٱلذى يعلم أن بيت ٱلسلطة. محرّم هو ومسجده على ٱلمشركين. فلا يكونون من ٱلقآئمين فيهما. وهٰذا ٱلبيت أقامه إبراهيم ليكون مقرّا لسلطة ناظرين. يحمون ٱلحيوٰة من ٱلفساد. ويحرسونها من نجس ٱلمشركين وصدِّ ٱلكافرين.

وأنّ ما للّه عليه من حِجّ للبيت قد صدّق به. بعد أن نظر فيه وعلم بهيئته. وبذلك يكون ٱستثنآء أخر للمشركين من هٰذا ٱلعلم. لأنهم نجس يجهلون ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾.

فكيف لا يقربون؟

ٱلذى يقرب شيئا يساويه ويملأه. وٱلمشركون بسبب ٱلخبث نجس. وهم قاعدون عن ٱلتدافع. فلا ينظرون ولا يصلُّون ولا يقربون ولا يعلمون ولا يصدقون ويفسدون فى ٱلأرض.

ويصرّ ٱلمسلمون على زيارة مقام إبراهيم «ٱلكعبة». وقصر ٱلزيارة وٱلطواف بها عليهم. ظنّا منهم أنّ ٱلمشركين هم غيرهم من ٱلناس.

وجميعهم يظنون أنّ كلمة «مشرك» وصف لمسيحى أو ليهودى. وبظنّهم يقيمون دين طاغوت.

جآء ٱسم ٱلمشرك فى كتاب ٱللّه. لوصف ٱلجاهل ٱلذى لا يقول ولا يعمل. من دون أن يشرك نفسه فى قول وعمل وموقف غيره من ٱلناس. وخآصّة ٱلسلف.

وما جآء فى كتاب ٱللّه. هو بيان يفصّل فى مواقف ٱلناس جميعا. ويعدّدهم بأممهم ٱلعلمية وٱلمعرفية وٱلسلوكية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١٧ ٱلحج.

ولم يذكر بينهم موقف وأمّة «ٱلمسلم للّه ربّ ٱلعَٰلَمين». وهذا ما لا يدرى به ٱلمسلمون ٱلذين يظنون أنّهم هم «ٱلذين ءامنوا». وقد فرق ٱلنّبىّ فى كتابه بين ٱلمؤمنين وٱلمسلمين وبيّن فيه أنّ ٱلولاية للمؤمنين وليس للمسلمين.

وٱلمؤمن هو ٱلذى يرى ويعلم أنّ ٱلكعبة رمز للمآء ٱلجامد[1]. وهو أساس ٱلحيوٰة. فٱلجاهل لا يقرب ٱلكعبة. ولا يعلم أن ٱلفساد فيها هو فساد فى ٱلحيوٰة. وهذا ما نهى ٱللّه ٱلّذين ءَامَنُواْ عنه:

---

(١) كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ﴾ ٢٨ ٱلتوبة.

وللمشرك ٱسم يهودى ومسيحى ومسلم وغيره من ٱلأسمآء ٱلتى يدمغه بها مأمور ٱلنفوس. ويبقى فى حياته ملحقا بتلك ٱلدمغة من دون تفكير ولا نظر. وهذا هو ٱلجاهل ٱلذى جآء عنه فى كتاب ٱللَّه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ ١٧٩ ٱلأعراف.

وهؤلآء لا يدرون أنّ ٱلعلم لا يحدث. من دون رَوح ورَيحَان لما فيهم من رُوح ٱللَّه. ولا يكسبون علما. ولا يقوم لهم شأن فيه. إلا بأفعال ٱلأذن وٱلعين وٱلقلب. وقد خلقها ٱللَّه مع كل فرد من ٱلناس. وبيّن له أنّ لا سبيل له إلى ٱلعلم إلا بها:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

فسبيل ٱكتساب ٱلعلم. يقوم بشعآئر[١] ٱلسّمع وٱلبصر وٱلفؤاد. وبها تجرى أفعال ٱلإدراك ٱللازمة للبدء بٱلنظر وٱلقرب وٱلعلم وٱلفقه وٱلحكم وٱلأمن. وهو ما يمتنع عنه ٱلمسلمون ويحكمون على ٱلناس بأقولهم وبأفعالهم بٱسم ٱلدين عند ٱللَّه.

«ٱلكعبة» ليست ممنوعة إلا على ٱلجاهلين ٱلمسلمين أمر طعامهم من جوع وأمر أمنهم من خوف لمن يقدر عليها. وهم ممنوعون عنها حقًّا. ويجهلون سبب جعل «ٱلكعبة» قياما للناس:

(١) وسآئل ٱلشعور من سمع وبصر وشمّ وغيرها.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ ٩٧ ٱلمائدة.

وفيه أنَّ ٱللَّه عليم بما فى ٱلسَّمَٰوٰت وٱلأرض. وهو بكلِّ شىءٍ عليم.

ويريدناَ أن نعلم ذٰلك بجعله ﴿ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾.

وكذلك جعله «حِجُّ ٱلبيت» على ٱلناس[1].

وٱلمشركون لا يقربون ٱلمسجد ٱلحرام بمفاهيم ٱلفيزيآء. ولن يقربوه أبدا. ولن يكون ٱلبيت حِجًّا عليهم. بسبب ما على قلوبهم من نجس. بشركهم لأبآئهم ٱلموتى ولمؤسسات طاغوت ٱلكهنوت فيما يقولون ويعملون. وما يفعله ٱلناس بزيارتهم للكعبة لا حِجّ فيه. وهو فعل لمن يعبد من لا يسمع ولا يبصر.

جآء فى كتاب ٱللَّه:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ ٤٤ ٱلزخرف.

ومنه نشأ ٱلسُّؤال من بعد تلاوتى ونظرى فى ٱلبلاغ:

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ ٩٧ ٱلمآئدة.

ومنه رأيت أنَّ ٱلدِّين علم يطلب ٱللَّه ٱلنظر للكشف عنه وجليه.

ومن ٱلموعظة أدركت أنّ ٱلعلم يحدث بطاعة أمره:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

---

(١) كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم».

وٱلمسلمون لا يستطيعون جوابًا على ٱلسؤال. لأنهم لا يطيعون أمره فى ٱلنظر. وإن أرادوا ٱلجواب. فلن يستطيعوّا إلا تخريص ورجم مجوسٍ بٱلغيب.

أمّا ٱلسلف فجوابهم مُّبين فيما يزعمون من تفسير. وكنت قد قلت فى كتاب «منهاج ٱلعلوم». ٱلثانىَ أنّ ٱلأخذ بما قاله ٱلسَّلف. يُخرج ٱللَّه وأخرج معه من دآئرة «يعلم».

فما هو ٱلسبيل إلى ٱلعلم أنَّ ٱللَّه يعلم؟

رأيت أنّ ٱلخوض فى جواب على ٱلسُّؤال يحتاج:

إلى معرفة نظرية فى علوم ٱلحقِّ وأولها ٱلفيزيآء.

وإلى ٱلعلم أنّ فهم قول ٱلقرءان. هو مسئولية فردية فى كلِّ وقتٍ. ولكلِّ نفسٍ وسعها.

وإلى تلاوة ٱلقرءان بلسانه كما ٱنفطر. وٱلدرس فيه حتّى ينجلى قوله ويُقرأ منه مفهوما متشابها مع ٱلمعرفة ٱلنظرية فى علوم ٱلحقِّ.

وإلى تذكّر لِسان فطرة ٱلأميِّن. وسبيل فطرته وسنّه. للعلم بدليل ٱلكثير من ٱلكلمات ٱلَّتى حرف دليلها منهاج ٱلتعبيد تربية وتعليما بلسان لغوٍ «اللغة العربية».

وإلى ٱلعلم بدليل ٱلكلمة ٱلشَّامية ٱلعبرية ٱلمفروقة ٱلخطِّ. سندًا لِّما جآء من تعريفٍ لِّكتابها فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ١٢ ٱلأحقاف.

وإلى ٱلتقوى من تأثير ٱلسَّلف.

وقد عرضت لبعض ألوان ٱلتحريف ٱلّذى جرى بفعل ٱللُّغة فى كتابى «منهاج ٱلعلوم» ٱلثانى. وفى كتابى ٱلثالث فتح للباب فى فهم ما يمثله لسان «كتاب

موسىٰ». فرأيت أنّ مَن يتلوا ٱلقرءان فيَ أيّ وقت ويسعى ليقرأ ويستنبط من تلاوته فهمًا مُتشابهًا عليه:

١- أن يفكر بوسآئل معرفية متحركة فى ٱلعلم. بحركة تقدم نظره وكشفه لما كان لا يزال فى ٱلغيب. فما فى ٱلقرءان هو تصديق لما بين يديه. وما بين يديه هو ما يعلم به ويصدّقه.

٢- أن يذكر مسألة ٱستقرار ٱلنَّبإ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

٣- أن يبحث فى وسآئل ٱستقراره. ٱلأمر ٱلَّذى يدفع به إلى سبيلٍ واحد يلاحق به بلاغات ٱلفيزيآء.

وبها يعقل ما يخرج عنها مع ٱلنَّبإ.

ومنها يتعلم كيف يحدث ٱلاستقرار.

٤- أن يعلم أنّ شركه لقول ٱلسلف عن ٱلنَّبإ. بما يقرأه منه ويستنبط. يشيط به بمنهاج «إبليس» عن قول ٱلحقّ ويجعله يرجم بٱلغيب:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ ٱلنَّحل.

لقد رأى ٱلفيزيآئيون أن ٱلسُّورة (ذرة فى اللغة) تمرّ بطُورٍ مِّنَ ٱلحركة وٱلقوَّة يظهر فيَ إطلاق ٱلفوتونات من نوىٰها.

وعندما يتوقف إطلاق ٱلفوتونات تهدأ ٱلسُّورة وتستقرُّ.

ورأوا أنها فى ٱلطرف ٱلداخلى لقميص ٱلمجرَّة متعادلة ومستقرَّة.

وهى مشحونة وحمَّة (متأينة) وهآئجة فى ٱلطرف ٱلخارجى.

وبما رأوا يظهر أنّ ٱلاستقرار يسبق ٱلنزول ويبيّن أنّ للنزول طُورين.

وبذلك أفهم ٱلموعظة:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ ١٠١ ٱلمآئدة.

وفيه حين يتعلق بتنزيل ٱلقرءان. وهٰذا ٱلتنزيل هو مِّن بعد تنزيله على قلب ٱلرَّسول ونشره فى صحفٍ. وهو تنزيله على قلب كلِّ إنسانٍ. وفى هذه ٱلمسألة مسئولية خاصة على ٱلرَّسول وعلى قومه يبينها ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ ٤٤ ٱلزخرف.

ومسئولية ٱلرَّسول كانت فى بلاغه رسالة ٱللَّه للنَّاس كآفَّة بلسان فطرته. وقد فعل ٱلرَّسول ذلك. وهى منشورة فى كلِّ مكان. وسيكون جواب ٱلرَّسول لربِّه يوم يقوم ٱلحساب:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ ٱلفرقان.

أمَّا مسئولية قومه. فتنشأ بسبب تنزيل ٱلرسالة على قلوبهم بلسانها ٱلعربىّ ٱلمبين.

أو بسبب ٱمتناعهم عن تنزيلها بفعل ظنَّهم أنَّ لِسانهم يبين وهو لسان عربىّ مثلها.

وعليهم مسئولية أخرى تتعلق بفهم ٱلرِّسالة.

إمَّآ أن يكون فهمًا مُّتحركًا عمَّا قاله ٱلسّلف مع حركة ٱلنَّظر فى كيف بدأ ٱلخلق. تصديقا لما بين أيديهم.

وإمَّآ أن يكون فهمًا مَّوقوفًا عند قبولهم لما بين أيدىَ ءابآئهم.

وهم عن تنزيل ٱلقرءان على قلوبهم وعن لون فهمهم سوف يُسئَلون.

وجواب أكثر قومه تبينه ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ

عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ يسٓ.

وفى هٰذه ٱلبلاغات مسائل وصفيّة تتعلق بٱلقوم:

ءاباۤؤهم غافلون عن ٱلإنذار.

وهم مقمحون فخرا بما قاله ءاباۤؤهم وبقولهم يشركون.

لا يبصرون وأكثرهم لا ينفعهم ٱلإنذار ولا يؤمنون.

ومَن هٰذا حاله. لا يقرب ٱلمسجد ٱلحرام. بسبب شركهم لأباۤئهم ٱلسّلف بما قالوه. ومنه ما جاۤء فى تفسير «ٱبن كثير» للموعظة:

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ١٥٨ ٱلبقرة.

فقال:

(من شعائر الله، أي مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحجّ).

وفيما قاله هذا ٱلأب تحريف لِّكلمة «شعآئر». ونقص فى فقه دليل ٱلكلمة ٱلَّذى خلطه بدليل كلمة «شرع».

ٱتبع ٱلمفسرون جميعهم ٱلقول ٱلمنقول عن سلفهم. وفيه فتاوى كهان معبّدون بمناهج ٱللغو وجاسوا فيه يتأملون ويخرصون. وما قالوه لا علم فيه وليس فيه دليل فقه للكلمة. ولا علم فى ٱلدليل ٱلعلمى. ٱلمتعلق بمسألة ٱلتنزيل ومسألة ٱستقرار ٱلنّبإ.

وما رأيته فى كلمات «ٱلصَّفا وٱلمَروَة وشعآئر وحَجَّ وٱعتَمَرَ ويطَّوَّف». أنّها تكوّن مع بقية ٱلكلمات فى ٱلموعظة ١٥٨ ٱلبقرة. بيانًا جزئيًا من ٱلبيان وٱلتبيان لكلِّ شىءٍ (ٱلقرءان).

وأوَّل ما يجب عمله هو إدراك دليل ٱلكلمة ٱلواحدة وٱلانتقال إلىَ إدراك دليل

وحدتها فى ٱلقول ٱلعربى. ثمّ عقل ذلك بما بين ٱليد من بلاغات علم ٱلفيزيآء ٱلجزئية.

«ٱلصَّفا». وصف للخالص من ٱلكدر. كٱلمآء ٱلخالص من ٱلعوالق وٱلجوِّ ٱلخالى من ٱلغيم.

«ٱلمَروَة». وصف للقدرة على ٱلفعل «مَرَوَ». وهو فعل حركة رَوح ورَيحَان لنظر فاعل «ٱمرء وٱمرأة». ومنه كلمة «مروءة» وصف للمرء وٱلمرأة.

«ٱلحَجُّ». وصف للدليل وٱلبيّنة وٱلبرهان يوقف ٱلرّيب وٱلجدال.

لقد فهم ٱلمفسرون من كلمة «حَجَّ». أنها تدل على ورود وزيارة إلى ٱلبيت. وما فى هذا ٱلفهم من صواب يتبع مسألة ٱلتشابه ٱلتى لم يدركوها. ولقد سجَّلوا بهذا ٱلفهم ما يتعلق بهيئة ٱلمكان وأركانه (ٱلصَّفا وٱلمروة وٱلبيت). وسبيل حركة ٱلنَّاس فيه. إلاَ أنَّه فهم يتعلق بٱلمكان ٱلَّذى يتحرك فيه ٱلنَّاس. وهو مقطوع عن ٱلأمر ٱلعربى:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

فٱلسَّير فى ٱلأرض وٱلنَّظر فى كيف بدأ ٱلخلق. قام ويقوم به علمآء دين ٱلحقِّ. وهم علمآء ٱلفيزيآء ٱلجزئية ٱليوم. وبنظرهم يصلون إلى ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق.

وبعقلٍ لهيئة ٱلمكان ولحركة ٱلنَّاس فيه كما تحدث. مع ما بين أيدى ٱلنَّاظرين فى كيف بدأ ٱلخلق. ومنها هيئة مسرعات ٱلفيزيآء. سيدرك ٱلعاقل ويرى ٱلتشابه بينهما. وبمتابعة ٱلعقل سيرى ٱستقرارا للنبإ ٱلوارد فى ٱلموعظة وهو ما يوكّده ٱلبلاغ ٱلعربىّ:

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ الواقعة.

وما فعله ٱلمفسرون لا يتجاوز مسألة تصوير شاهد لحركة ٱلنَّاس فى ٱلمكان. وفعلهم لم يصل إلى قدرة ٱلعقل ٱلمرجوَّة فى ٱلبلاغ ٱلعربى «لعلَّكم تعقلون». ولم يكن بين أيديهم علم ناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وما قاله ٱلسَّلف فى ٱلبلاغ ٱلعربى. هو ما تشابه لهم بقدرة ما سمعوه من ٱلنَّاس ومآ أبصروه بٱلعين فى ٱلمكان وبتأثير ما عبّدوا عليه.

«ٱعتَمَرَ». فعل من أصل ٱلفعل «عَمَرَ» ٱلَّذى يدل على ٱلإقامة وٱلسكن فى ٱلمكان.

«شعآئر». من دليل ٱلفعل «شَعَرَ». ومنه أسمآء ٱلشَّعرة وٱلشَّعير وٱلشَّعيرة. و«شعآئر» جمع «شعيرة». وتدل على مدخل ضيق سالك كٱلأوردة ٱلشَّعرية فى ٱلجسم.

وقول ٱلحقِّ يحتاج إلى نور بصر ينفذ عبر ٱلمسالك ٱلضيقة. ليرى ٱلقلب ما ورآءها من حدثٍ فى ٱلغيب عن بصر ٱلعين. و«شعآئر ٱللَّه». هى منافذ للنور خالية من ٱلعوالق وٱلعوآئق. ومنها يعبر نور نظر ٱلمرء إلى ٱلغيب. فينبر ويرى ويعلم بما فيه ويبيّنه.

وحتّى يعبرها نور ٱلنظر يجب أن تكون مقدّسة من ٱلعوالق وٱلعوآئق. وهذا ٱلتقديس هو ما تدلّ عليه كلمة «ٱلصَّفا».

بل إنّ ما تدلّ عليه كلمة «ٱلصّفا». يشدُّ نور نظر ٱلناظر ويحرّضه على ٱلعبور. وإن عبر يمكّنه «ٱلصّفا» من رؤية ما خلف تلك ٱلشعآئر.

وهذا يوكّده دليل ومفهوم كلمة «ٱلمروة». فٱلقول ٱلعربى «إنَّ ٱلصَّفا وٱلمروة من شعآئر ٱللَّه». بيَّنه نور علم ٱلناظرين برؤيتهم لجزء ٱلمآء فى هيئة «ٱلكعبة».

وبعلمهم مما يتكوّن وسوره وعدّته وٱلقوى ٱلفاعلة. ورأى جميع ٱلعاملين فى ٱلفيزيآء ٱلجزئية هذه ٱلهيئة وأجزآئها من دون عوقٍ ولا عوالق. وقد سمحت هذه ٱلشعآئر لنَّظرهم بٱلحركة بيسر وبقوّة فى غيبٍ عن بصر ٱلعين.

أما قول ٱلشّعر. فهو قول بما شعر به ٱلشّاعر من دون نظر فيه للعلم به وبأسبابه. وقول ٱلشّاعر لا علم فيه إلا بما شعر به. وقوله قول لمَن لم ينفذ نور نظره «شعآئر ٱللَّه» إلى ٱلغيب. فَعَجَلَ بقوله عما شعر به. وتوقّف عند شعوره.

وفى كتاب ٱللَّه بيان للفرق بين قول ٱلشّعر وبين قول ٱلرّسول:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾ ٱلحاقة.

وبيان لما علّم ٱللَّه رسولَه:

﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ ٦٩ يس.

وٱلقرءان خروج وفصح وظهور لما كان معجمًا فى ٱلحقّ.

وبعقل لما بين يدىّ من بلاغ عابر بنور نظره لشعآئر ٱللَّه. مع ٱلموعظة ١٥٨ ٱلبقرة. فهمت ٱلقول «فَمَن حَجَّ ٱلبيتَ». فهمًا متشابهًا بيَّن لى زيارة لمكان ٱلبيت فى ٱلغيب. ورأيت أنَّ ٱلبيت فى ٱلغيب «كعبة». كما هو فى ٱلشهادة «كعبة».

وأقول فيه أنَّ ٱلَّذى نفذ نور نظره شعآئر ٱللَّه ليعلم كيف بدأ ٱلخلق. نفذ منهآ إلى غيب فيه جزء ٱلمآء (ٱلمَـ H_2g_2O). وسوره ٱلمفردة وعدّتها ٱلشهرية وقوى ٱلفعل عليها. وهو ٱلَّذى يستنبط منه ٱلبرهان وٱلبينة ٱلحقّ. ٱلّتى تمكّن من ٱلعقل بين هيئة ٱلبيت ٱلمحرَّم فى مكانه ٱلمشهود. وبين هيئة ٱلمآء ٱلمحرَّم فى مكانه ٱلغيبى.

وهو ٱلَّذى يحجُّ فى بلاغه عن ٱلبيت. ويدعوّا إلى حمايته من ٱلفساد. ويعلن لنفسه وللناس أنَّ ٱللَّه يعلم.

وأدركت من ٱلقول «أو ٱعتَمَرَ». أنّ ٱلَّذى يعتمر لا يزال قآئمًا على فعل ٱلنَّظر فى ٱلبيت. وما يزال يلاحق بنور نظره ٱلحقَّ فى ٱلغيب.

وفى كلا ٱلحالين «فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما». فكلمة «جَنَحَ» تدل على ٱلميل إلى جانب ٱلشىء ومتابعته من دون غيره من ٱلأشيآء ٱلأخرى. وهذا يدل على عزله فى ٱلمخبر كجزء عن بقية ٱلأجزآء ٱلأخرى. وفى هذا ٱلعمل يقوى ٱلنَّظر ويقوى ٱستنباط ٱلبيِّنة. ويكون قول ٱلناظر فيه من دون عوق أو عوالق. ويأتى برهانه قوىّ فى بيان صفاته.

وبنشر بيانه. يتلوه من يعمل على ٱلعقل بين بيان ٱلجزء ٱلَّذىَ أتى به عالم دين ٱلحقِّ (ٱلفيزيآء). وبين بيان ٱللَّه فى ٱلقرءان. وبه ينشأ ٱلقول ٱلعاقل بين ٱلبيانين. فيصدّق كلّ منهما ٱلأخر. أو يكذّبه.

كيف وصل بى ٱلأمر إلى ٱلفيزيآء ٱلجزئية لأعقل مع بيانها؟

ما ورد فى ٱلبلاغ ١٥٩ ٱلبقرة دفعنى فى هذه ٱلوجهة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

لعنُ من يكتم «ٱلبَيِّنَٰتِ وٱلهُدَىٰ». هو ما دفعنى للبحث عن بيِّناتٍ قد تُكتم ولا يُعلن عنها. وما وجدته فى قول ٱلمفسرين لا يدخل فى مفهوم ٱلبيِّنات. وهو ليس أكثر من وصف لِّلمكان ولحركة ٱلنَّاس فيه. فأىّ بيِّنة يمكن كتمها فى ٱلمكان وحركة ٱلنَّاس فيه؟

ولماذا جآء مفهوم ٱلبيِّنة وكتمها بعد ٱلبلاغ عن شعآئر ٱللَّه؟

وَصَفَ ٱلمفسرون ٱلمكان وحركة ٱلنَّاس فيه. وهذا ما لا يمكن كتمه على ذى بصر ولو كان جاهلا. وقولهم لا بيِّنة فيه. إلا بما يتطابق مع ٱلمكان وحركة ٱلنَّاس فيه. وهذه ٱلمسألة لا تستوجب لعنًا.

سبق قولى عن علم ٱللَّه وكيف نعلم أنَّ ٱللَّه يعلم فى كتابى ٱلثانى «منهاج ٱلعلوم». وأدركت أنّ سبيلىَ إلى ٱلعلم أنّ ٱللَّه يعلم. هو فى كسر كلمة «لعلّ» فى ٱلقول ٱلعربى «لعلَّكم تعقلون».

فحركة ٱلنَّاس بين ٱلصَّفا وٱلمروة والتفافهم فى حركة فلكية حول ٱلبيت. هى ٱلصورة ٱلمشاهدة وٱلمبصرة بٱلعين. وهى تمثيل مشاهد لمسألة تكوينية جرت وتجرى فى ٱلغيب.

وفهم ٱلمسألة يأتى بعقلها مع أسلوب تعليم طفلٍ ٱلحسابَ لأول مرَّة. فٱلمعلم يبدأ ٱلتعليم بقرن ٱلعدد بٱلشىء ٱلمبصر بٱلعين. مثل «هذه تفاحة واحدة». وتكون ٱلتفاحة فى يده وهو يعرضهآ أمام بصر ٱلطفل. وفى ٱلطور ٱلثانى من ٱلتعليم ينتقل إلى ٱلقول «هاتان تفاحتان». ثم ينتقل إلى مفهوم ٱلمقدمة وٱلنهاية «تفاحة وتفاحة ← تفاحتان». وبعد أن تثبت صورة هذا ٱلعلم ٱلمشاهد فى قلب ٱلطفل. ويرتقى فى تعلّمه. يأتيه ٱلتعليم ٱلعددى ٱلمجرَّم عن ٱلشىء ٱلمبصر «١+١ = ٢». ثمَّ ينتقل فى ٱلأعداد حتى يوصل به ٱلتعليم إلى ٱلمقدار ٱلغيبى (ٱلكوانتوم). ويكون بذلك قد نفذت بصيرته ورآء ٱلمشاهد إلى ٱلغيب. وهناك يرى ما يشبه ٱلصورة ٱلمثبتة فى فؤاده. وإذا عقل ٱلإنسان بين علمه فى ٱلمشاهد مع ما رأىٰه فى ٱلغيب يعلم أن ٱلعلم فى ٱلعربىّ. وهو ٱلبادى ٱلمشهود. يسوق إلى ٱلعلم فى ٱلغيب وهو ٱلمعجم. وإذآ أدرك هذا ٱلإنسان مسألة عقل علمه بٱلغيب مع بيان ٱللَّه فى ٱلقرءان. أدرك تطابقهما. وصدَّق بيان ٱللَّه. وصدّق أنّه يعلم. فيركع مع ٱلراكعين.

وهنا تظهر مسألة ٱللَّعن لمن يكتم ٱلبيِّناتِ. فٱلَّذى علم بٱلغيب وعقل علمه مع بيان ٱللَّه وأدرك ٱلبينة. ثم كتمها على ٱلنَّاس أصابه ٱللَّعن.

أمَّآ إذا علم بٱلغيب ولم يعقل علمه مع بيان ٱللَّه. فإنَّ ٱللَّعن لم تكتمل أشراطه. وسبب ذلك أن ٱلَّذى يسير فى ٱلأرض ينظر كيف بدأ ٱلخلق هو ٱلَّذى

يعلم بٱلغيب وسبيله إلى ذلك فى ٱلفيزيآء. وأكثر علمآء ٱلفيزيآء لا يدركون بيان ٱللّه بلسانه ٱلعربى ٱلمبين. وهم إن أرادوا تلاوة فيه. لجأوٓا إلىٓ أعمال بشر تزعم تفسيرًا (ترجمة) له. ومآ أعمال ٱلمفسر إلآ إدراكه ٱلمتشابه لبيان ٱللّه.

فما هو سبيل ٱلعقل إذن؟

مآ جآء فى كتبى هو جهد فى ٱلعقل ومسئولية سأُسأَلُ عنها. لأنّى من قوم ٱلرّسول. وعملى يستند إلى مفهوم ٱلتشابه من منطلق ٱلعلم ٱلمتحرك فى فقه دليل ٱلكلمة ٱلشّامية ٱلعربية ٱلبيان. مع ما بين يدىّ من علم نظرى يتحرك مع حركة بلاغات ٱلناظرين فى كيف بدأ ٱلخلق. فلم أُوثن على ما قاله ٱلأبآء. ولآ أَقول إلا وأنا مسئول عمآ أعقله.

وأعلم أنّ للعقل وسآئله. ٱلّتى تتوزع بين فهم فى دليل ٱلأبجدية. ودليل ٱلكلمة ٱلمفردة. ثمّ دليل ٱلقول. وبين فهم وإدراك نظرىّ لما بين ٱليد من بلاغات علم ٱلفيزيآء وعلم ٱلبيولوجيا. وبهذه ٱلوسآئل أعقل. وبه أعلم أنّ ٱللّه يعلم ما فى ٱلسَّمٰوٰت وما فى ٱلأرض وأن ٱللّه بكلِّ شىء عليم.

لم يرد كلام ٱلموعظة ١٥٨ ٱلبقرة. ليدلّنا على ٱلمكان وحركة ٱلنّاس ٱلمشهودين (وقد صورهما قول ٱلنّاس وسجّله ٱلمفسرون). ثمّ ليتوقف دليله عند ٱلصورة ٱلعربية ٱلمشاهدة. بل ورد ليبين للنّاس سبيلهم ٱلسالك إلى ٱلتصديق بٱلمكان وحركة ٱلنّاس فيه. وإنّ ٱلّذين يتسآئلون ويتفكرون فى كيف بدأ ٱلخلق. هم ٱلّذين يسيرون فى ٱلأرض ينظرون ويسلك نور نظرهم عبر شعآئر ٱللّه.

فما يفعله ٱلنّاس فى كلِّ سنة فى ٱلمكان ٱلعربىّ ٱلمشاهد. هو من دون أن يتسآئلوا ومن دون أن يتفكروا. وهم واقفون عن سنّة ٱلدفع بما يفعلون. وقد توقفوا عن ٱلسُّؤال وعن ٱلتفكير بسبب شركهم بما قاله ءابآؤهم. وحالهم يبيّنه ٱلقول ٱلعربى:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ ٱلمآئدة.

فهم على ما وجدوا عليه ءاباءهم. فلا يعلمون شيئا. ولا يهتدون. ولا يضرّون مَن ٱهتدى.

سبيل ٱللَّه وسبيل ٱلطاغوت

فى كتاب ٱللَّه بيان لموقفين وسبيلين للناس:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ٧٦ ٱلنِّسآء.

وفيه مثل عن فعل ٱللَّه فى ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. بمصباح يصبح ٱلمكان بنوره فيتبدد عنه ٱلظلام:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣٥ ٱلنور.

وفى هذا ٱلمثل هداية ٱلناس. بما فيهم من روح ٱللَّه. إلى سبيل تبديد ٱلظلام وٱلجهل فى أنفسهم. به ينيرون ويعلمون ويؤمنون من خوف ومن جهل. فتصبح أنفسهم ويتبدد ظلام جهلها.

فمن يهتدى ويعلم أنّ سبيل ٱللَّه هو رَوح ورَيحان «ٱلرُّوح» فى قلوب ٱلذين يسيرون وينظرون ويعلمون ويقرأون وتصبح قلوبهم. ولا يريحونها عن ٱلنظر وٱلعلم لا فى ٱلّيل ولا فى ٱلنّهار:

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ١٧ ٱلذّاريات.

لا يقعد فى سبيل رَوحِ ورَيحَانِ ٱلنُّور فى قلوبهم. ويعلم أنَّهم ٱلمؤمنون من خوف ومن جهل. ومنهم ٱلذين يتطوعون للقتال فى سبيل ٱللَّه عندما يقعد فيه مَن يصدّهم عنه.

أما سبيل ٱلطاغوت فٱلفاعل فيه هو منهاج غواية «إبليس» فى نفس ٱلبشر:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ ٱلحجر.

ومنهاج «إبليس» مخلوق وملهم فى ٱلنفس. يختبر ٱلناس فى علمهم بما نُفخ فىَ أنفسهم من روح ٱلحقِّ وفىَ إخلاصهم له. وٱلجاهلون من ٱلناس بروح ٱلحقِّ وبٱلإخلاص له كثيرون. وهم ٱلذين يغويهم ويجلب عليهم «إبليس» بخيله ورجِله. فتعود قلوبهم ظلومة جهولة. ويشاركهم فى ٱلأموال وٱلأولاد. ويزيّن لهم ٱلشهوات وٱلفحشآء وٱلمنكر فيزنون. وبٱلغواية يبتعدون عن ٱلنّور. ويتخذون ٱلطاغوت وليًّا:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ٢٥٧ ٱلبقرة.

فيخرجهم ٱلطاغوت من ٱلنُّور إلى ظلمات ٱلجهل. تربية وتعليما. فيقعدون فى كلِّ سبيل للنور يصدّون عنه.

ٱتبعت تعريف ٱسم «ٱللَّه» فى ٱلكتاب:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ ٣٥ ٱلنُّور.

ومنه رأيت أنّ ٱلقول «سبيل ٱللَّه». هو سبيل إنسان شفع نفسه بأسمآء للَّه. وبها ينظر فىَ أشيآء ٱلسمٰوٰت وٱلأرض لينيرها وتُبدَى له ويعلم بها. وبتنويرها تصبح نفسه.

وبما رأيت فهمت أنّ ٱلذى يريد لنفسه سبيل ٱللَّه. يجعل ٱللَّه شفيعه ووليّه يعبده وحده من دون غيره من ٱلأوليآء. فيجتنب ولاية ٱلطاغوت مستنيرا بقول ٱللَّه:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٣٦ ٱلنحل.

ورأيت أنّ ٱلطاغوت ٱسم لمنهاج سلطة طغوى جاهلين. يأمرون بٱلفحشآء وٱلمنكر. فيكفرون ٱلنور بظلام ٱلجهل. ويهيمنون على ٱلقول وٱلتعليم وٱلمعرفة وٱلإيمان. ويزيدون مآ أنزله ٱللَّه طغيانا وكفرا:

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ ٦٨ ٱلمآئدة.

ما رأيته جعلنىَ أفكّر بمن يُولّى على ٱلمسلمين فى ديارهم منذ سنة ٦٣٢ ميلادية. فرأيت أنّ مَن تولّى عليهم كان من ٱلقوم وٱلأعراب. ٱلذين أسلموا لأمر حكومة ٱلمدينة. ولمّا يدخل ٱلإيمان بشرعها وأمرها فى قلوبهم. فٱنقلبوا عليها وعلى عهدها وميثاقها. ونقضوه بسلطة طغوى جاهلين. هيمنوا على تربية وتعليم أولادهم. وعبّدوهم بٱلظن أنّ مَن يُقتل منهم فى قتال دفاعا عن طغوٰهم. هو قتيل فى سبيل ٱللَّه.

ورأيت أنّ ٱلحال ٱلذى هم عليه حتى ٱليوم يبيّن أىّ سبيل يتبعون.

وأنّ ما كتبه كهّان ٱلطاغوت فى قراطيس. هو كَفر لدين ٱلحقّ بزعم شرح وتفسير وزيادة:

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ ٦٨ ٱلمآئدة.

وقعود فى سبيله وصدّ عنه. وما كتبوه زعما أنّه من عند ٱللَّه. طغى على ٱلتعبيد تربية وتعليما. فضلّ ٱلمُعَبَّدون بٱلطاغوت عن ٱلحقّ فىَ أنفسهم وفىَ

إخلاصهم له. وأشركوا ٱلطاغوت وشفعوّا أنفسهم به فيما يقولون ويعملون ويكتبون.

يزعم عباد ٱلطاغوت أنّهم يؤمنون بمآ أُنزلَ إلى ٱلرسول:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ ٦٠ ٱلنِّسَآء.

وٱلذين تحاكموّا ويتحاكمون إلى ما قاله وكتبه كهان ٱلطاغوت من شرحٍ وتفسير وأحاديث. زيادة على مآ أُنزل على ٱلرسول. فسقوا ويفسقون علىَ أمر ٱللّه ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾. فحقّت وتحقُّ عليهم ٱلضلالة.

هذا ٱلحال هو ما يقوم فى جميع ديار ٱلمسلمين. وجميعهم يعبدون شرعة ومنهاج طاغوت كهنوت (هيئات للدين). ويطيعون سلطة طغوى (دكتاتورية). تتولّى عليهم كراعٍ ومعه كلابه من ٱلكهان. ٱلذين يعتدون على حقّ ٱللّه. فيفتون لرعيّة من ٱلمواطنين ٱلمذلّين. ليعبدوا ٱلطغوى ولا يفسقون علىَ أمرها. وبذلك يكون مفهوم «سبيل ٱللّه» لدى ٱلمسلمين. هو سبيل وليّهم «ٱلطاغوت» ومن يقتل منهم فى حرب «ٱلطاغوت» يكون قتيلا فى سبيل شيطان.

لقد نشأ هذا ٱلحال بفعل لغو ٱلكافرين من قوم ٱلرّسول وٱلأعراب:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

وبٱللغو حرف ٱلكافرون كلمة «سبيل» عن موضعها وعن دليلها. ووضعوا مكانها كلمة «طريق». ٱسم لمسلك تعترض ٱلسآئر فيه طوارق تعوقه وتصدّه وتمنعه من ٱلسير فيه.

ولم يقصر فعل ٱللغو وٱلتحريف على كلمة «سبيل» وحدها. بل ٱمتدّ إلى

ٱلكثير من كلام كتاب ٱللَّه. وزيد عليه بما كتبه ٱلكافرون من قول زعموٓا أنّه من عند ٱللَّه. ليسيِّغوا بهآ أفعال سلطة طغوى جاهلين. فصار لغوهم وما زادوه على كتاب ٱللَّه. هو ٱلوسيلة ٱلمهيمنة على ٱلتعليم وعلى فهم ٱلقول فى كتاب ٱللَّه فى جميع ديار ٱلمسلمين.

جآء فى كتاب ٱللَّه وصيّة تبيّن أنّ «إبليس» عدوّ لأَدم:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧)﴾ طه.

وجآء فيه أنّ للشيطان سلطة ٱلفتنة ونزع ٱللباس عن بنىٓ ءادم:

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا. .﴾ ٢٧ ٱلأعراف.

وجآء فيه أنّ للّه عهد إلى بنىٓ ءادم ليعبدوه ولا يعبدون ٱلشيطان:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ يٓس.

ٱلشيطان ٱسم لمنهاج «إبليس». يُنسِى ويُغفِل قلب مَن لا يخلص للحقِّ فى نفسه. ومَن لا يذكر أنّ ٱللَّه نفخ فيه من روحه. لا يذكر ما عهده إليه. فيشيط وينزع عنه لباسه. وهو مآ أنزله عليه ٱللَّه:

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ. .﴾ ٢٦ ٱلأعراف.

وهذا لباس للقلب وليس للجسم. ومَن يفتنه ٱلشيطان ويذكر عهد ٱللَّه. لا يشيط. ويبقى لباس قلبه قُدُسًا. وبه يوارى ٱلسّوءَة. فلا يُسيئ فيما يعمل ويقول. سوآء ءكان عمل ٱلسيّئة بغير يده ومن دون إرادته «سوءة». أم كان بيده وبإرادته «سيّئة».

أما من يفتنه ٱلشيطان ولا يذكر عهد ٱللَّه. فيشيط وينزع عنه لباسه كما نزعه عن أبويه. فيعود إلى ٱلبدء بشر وحش ظلوم جهول من دون لباس لقلبه.

لقد عهد ٱللَّه إلى بنىٓ ءادم أن لا يعبدوٓا إلاَّ ٱللَّه:

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ..﴾ ٢٦ هود.

وٱلعبادة طاعة عبد لسيده فيما يأمره. ومن يعبد ٱللَّه. يتبع ما ينيره بنظره ويعلم به بما فيه من روح ٱللَّه.

وفى ٱلعهد عقد شرآء وبيع بين طرفين:

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ..﴾ ٤٠ ٱلبقرة.

ووفآؤهم بٱلعهد. هو فىٓ علمهم بٱلحقِّ فىٓ أنفسهم وفىٓ ٱلإخلاص له. فيقيمون حكما لعيشهم بعهد مثله (دستور فى لغو ٱللغة). من دون تأثير لفتنة ٱلشيطان ونزعه عن ٱلقلب لباسه.

وكان أخر مآ أنزله ٱللَّه من لباس لقلب بنىٓ ءادم. هو كتابه ٱلقرءان. وفيه بيان لعهد ٱللَّه وموعظته ووصيته إليهم. أن لا يعتدوا. وأن يقاتلوا فى سبيل ٱللَّه ٱلذين يقاتلونهم:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ ١٩٠ ٱلبقرة.

وأن ينفقوا فى سبيل ٱللَّه ما يزيد عن حاجة عيشهم وأمنهم. وأن يكون ما ينفقون مُحسنًا لسلوكهم ٱلسبيل وليس زيادة على ما لديهم:

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ١٩٥ ٱلبقرة.

فٱلنفقة فى سبيل ٱللَّه. لا تكون إلا من أجل ٱلإحسان (ٱلتجديد وٱلتطوير) فى وسآئل ٱلعمل وٱلنظر وٱلعلم وٱلقوّة. وسبيل ٱللَّه هو سبيل لبنىٓ ءادم فى عيش

عهدى لا يخالف عهد ٱللَّه. فلا تكون فى حياتهم طغوى تمنع عليهم ٱلتنوير فى ٱلحقّ وٱلعلم به. وتمنع عنهم ٱلنفقة فى سبيل ٱللَّه وٱلإحسان فى وسآئل ٱلعمل وٱلنظر وٱلعلم وٱلقوّة.

فٱلذى يعبد ٱللَّه يذكر ما عهده إليه من وصيّة وما وعظ به. فلا يشيط عن ٱلوصية وٱلموعظة وٱلعهد. ولا ينسى ويخالف. فيعبد ٱلشيطان وهو عدوّ له. ومن ينسى ما عهده ٱللَّه إليه. لا يكون له عابدا.

عهد ٱللَّهُ إلى بنىٓ ءادم أن لا يعبدوٓا إلا هو. فهو وحده ٱلشفيع. وله وحده ٱلأسمآء ٱلحسنى. وهو ٱلعليم ٱلمحسن ٱلمحيط ٱلمؤمن ٱلحقِّ ٱلهادى. وهو وحده نور ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض لا يترك ظلاما يخفى من ٱلحقِّ شيئا.

وعهد إليهم أن يكونوا مؤمنين محسنين يؤمنون أنفسهم من جهل ومن خوف بما يعلمون.

وأن لا يوثنون على موقف وقول هالكين يشركونهم فيما يعلمون ويقولون.

وأن لا يكذبون.

وأن لا يقتلون.

وأن لا يشتهون ولا يزنون.

وأن لا يسرقون.

وأن لا يشهدون زورا.

وأن يحسنوا مع ءابآئهم وأمهاتهم. فلا ينهرونهم. ولا يقولون لهم أفٍّ ولو كانوا من ٱلمشركين.

وأن يعملوا ستة أيام. يصنعون فيها جميع أعمالهم. وفى ٱليوم ٱلسابع يسبتون للرّبِّ إلٰهِهم. وبسبتهم يستريحون. ويتنفسون. وتتنفّس معهم ٱلأرض تصلح بفعل ٱلرّبِّ ما فسد فيها بما عملته أيديهم فى ستة أيام.

فلا يصنعون عملا فى ٱلسبت. ومَن صنع عملا يُقتل قتلا. لأنّه لم يترك للأرض يوما تتنفّس فيه. فأفسد فيها. وفساده فيها يقتل ٱلنفس من دون نفس.

ومن ٱلموعظة وٱلوصيّة:

أنه ليس بٱلخبز وحده يحيا ٱلإنسان.

وأن يقرأوا بٱسم ربِّهم ٱلذى خلق.

وأن يسيروا فى ٱلأرض ينظرون كيف بدأ ٱلخلق. فيعلمون ويؤمنون من جهل ومن خوف. وتطمئنّ أنفسهم بٱلإيمان ولا يشركون.

وأن لا يقعدون فى سبيل ٱللَّه. وهو سبيل ٱلناس إلى ٱلعلم بٱلحقِّ ودينه. وإلى ٱلعلم بحاجتهم إلى عيش عهدىّ. وبه يكون سبيلهم إلى ٱلنور وٱلعلم فى ٱلحقّ وفى نشأته ٱلأولى.

وأن لا يُكرهون ولا يقاتلون فى ٱلدين.

وأن لا يطغون ولا يظلمون ولا يفصلون بين ٱلناس.

وأن يحكموا بين ٱلناس بٱلعدل. فلا يجورون ولا يميلون بهوى عن ٱلحقِّ.

وأن يأمروا بٱلمعروف. ولا يفحشون. ولا يوثنون. ولا يأمرون بٱلمنكر.

ومن ٱلموعظة وٱلوصيّة. أن يكتبوا ٱلعهد بما عهده إليهم ٱللَّه. وينشروه فى جميع وجوه مكان عيشهم. ليذكروه ولا ينسوه ولا يخالفوه.

ومن ٱلوصية أن يقيموا للعهد فئة منهم تقوم عليه. تذكره وتحرسه وتذكّر به.

وأن يقيموا سلطة مؤمنين عالمين راشدين صالحين. تحكم بينهم بما عُهد إليهم فى ٱلوصيّة. وتقضى وتأمر مَدينة للعهد لا تخالفه. فيتبع ٱلقاضى ٱلعهد فيما يقضى بينهم وكلّ مَن بيده أمر ٱلسلطة.

ومن ٱلموعظة وٱلوصيّة. أن لا يعتدوا. وأن يقاتلوا مَن يعتدى عليهم. وأن لا يسرفوا فى ٱلقتل.

وأن يأخذوا من ٱلمعتدِى جزية عن قتلاهم وعن أموالهم ٱلتى خسروها.

ومن ٱلموعظة ما جآء من بيان عن حاجة ٱلقوّة من نفقة:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ ٦٠ ٱلأنفال.

«ٱلخَيلُ». ٱسم يدلّ على صفةٍ لِّلونٍ مِّنَ ٱلدّوَآبّ. هو «حصان» يمثل قوَّة حصنٍ ومساندة مأمونة لصاحبه. تُرهب ٱلعدوّ فى ٱلقتال. وهو فى كلّ وقت ٱسم لأيِّ قوَّة مأمونة تُرهب ٱلأخرين. وعندما يسمع ٱلأعدآء عن هذه ٱلقوّة يتحرك فىَ أنفسهم ٱلخيال. يصوّر فى قلوبهم رؤية عن قوَّة بطشهآ. وعندما يبصرونها تفعل خيالاتهم بهم. وتسوقهم إلى ٱلاستسلام من دون قتال ومن دون أن يكون لهم علم بأسسها وأساليب قتالها.

فٱسم «خيل» لكلِّ قوَّة تثير خيال ٱلعدوِّ وترهبه.

«رباط». ٱسم يدلّ على ما يمسك ويشدّ ويسند. وهو من دليل ومفهوم ٱلفعل «ربط». وتدلّ كلمة «رباط» فى ٱلقول ٱلعربىّ «رِباطِ ٱلخَيلِ» على علاقات تماسك وتَسَاند وتشادد هذه ٱلقوى ٱلمرهبة مع بعضها. لتكون صدمتها للعدو كبيرة. فتجعله يتوقف عن ٱلقتال ويستسلم من دون عنآء فى قتاله وقتله.

ومثل هذه ٱلقُوَّة تحتاج إلى نفقة تُوجَّهُ إلى بنآئها. وهذا مآ أشار إليه ٱلبلاغ ٦٠ ٱلأنفال ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾.

فهى نفقة فى سبيل ٱللّه. ٱلمأرب منها بثُّ ٱلرُّهب فى نفوس أعدآء ٱللّه ٱلجاهلينَ ٱلقاعدين فى سبيله وٱلصّادين عنه. من دون حاجة إلى قتالهم وقتلهم.

فٱلذى ينفق على تطور ٱلقوَّة. ينفق على تطور ٱلعلم بكلِّ فروعه ولا يبخل فىَ أمرٍ مِّنه. وهؤلآء هم ٱلمؤمنون ٱلمحسنون ٱلذين بيَّنهم ٱلبلاغ ٱلثالث من سورة ٱلــبــقــرة ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾.
وٱلمؤمنون عددهم قليل. أمَّا ٱلجاهلون فعددهم كبير. وهم غافلون عن ٱلغيب ولا ينفقون للبحث عنه. ويميلون إلى ٱلعدوان. بفعل ظنِّهم أنّ فى كثرة عددهم قوّة. وهؤلآء حطب جهنَّم كما يبين ٱلبلاغ ٱلعربىّ:

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ ١٧٩ ٱلأعراف.

وسبب ذلك فىَ إلغآء أفعال ٱلعين وٱلأذن وٱلفؤاد. وهى شعآئر ٱلقلب وأفعاله من فهم وعلم وفقه وحكم.

وٱلجاهلون يؤمنون بٱللّه بما يظنّه جمع مشرك:

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

فأكثر ٱلناس يؤمنون بٱللّه وهم يشركون طاغوت ٱلأبآء فىَ إيمانهم. وقد بين ٱللّه فى ٱلموعظة أنّ طاعة ٱلمؤمن لهذه ٱلأكثرية تُضلّه عن سبيل ٱللّه:

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

فهؤلآء لا يفهمون ٱلموعظة:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

ولا يعلمون أنّ ٱلنظر فى ٱلشىء. هو ٱلبحث فيه ودرسه وإخراج ما فيه من علم.

ولا يعلمون أنّ ٱلذى يتبع ٱلموعظة. هو ٱلذى ينظر فى ٱلأشيآء ٱلظاهر منها وٱلباطن ٱلغآئب عن بصر ٱلعين. ولا يتوقف عند ما قاله ٱلأبآء ٱلسلف عنها. يسكتشف ويستقرأ دين وسنَّة ٱلأشيآء ويبينهما. وهو ٱلذى يتخذ فى نظره من ٱلموعظة منهاجًا لَّه:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

ومن ٱلموعظة أنّ من ٱلأكثرية مَن يزعم ٱلتحالف مع ٱلمؤمنين. وهم مخادعون كاذبون خآئنون. لا يُركن إليهم فى مسألة كمسألة رصد ٱلأعدآء:

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ٣٥ ٱلأنفال.

«صَلاتُهُم عِندَ ٱلبَيتِ». هى قيامهم بفعل ٱلرَّصد عند ٱلبيت. ولم يكن رصدهم «إلا مُكآء وتَصدِيَةً».

و«ٱلمُكآء» هو شدّ وسحب لبصر ٱلعدوِّ للعلم بقوّة ٱلمؤمنين.

و«ٱلتَّصدية» هى ميل إلى ٱلعدو وٱلصَّدّ عنه.

فرصدهم هو لمصلحة ٱلعدوّ. وهم يكفرون ما فىَ أنفسهم عن ٱلمؤمنين ٱلذين يسندون إليهم مثل هذا ٱلعمل.

ومن ٱلموعظة وٱلوصيّة. أن يهاجروا فى ٱلأرض يعبدون ٱللَّه. فلا يعبدون سلطة نَزَعَ ٱلشيطانُ لباسَها. فتشيط وتنسى وتفسق على ٱلعهد. وتطغى وتأمر بٱلفحشآء وٱلمنكر. فتظلم وتقعد لهم فى سبيل ٱللَّه.

ومن ٱلموعظة وٱلوصيّة أن يطلبوا ٱلنصر من رَّبِّهم. إن كانوا مستضعفين لا يستطيعون هجرة عن ديار قوم ظالمين.

فمَن ذكر عهد ٱللّه وموعظته ووصيته. وعمل عابدا له. ينصره ٱللّه فى جميع أعماله.

ومن ٱلموعظة وٱلوصية:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ ١٥٤ ٱلبقرة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ . .﴾ ٢١٧ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٢١٨ ٱلبقرة.

فهل يبيّن قول ٱللّه مَن هو ٱلذى يُقتل فى سبيله؟

جآء فى كتابه:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ٥٥ ءال عمران.

وجآء فيه أنّ ٱلذى يُقتل فى سبيل ٱللّه حىّ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ١٦٩ ءال عمرٰن.

ٱلإنسان «عيسىٰ». توفّـٰه ٱللّه. وهو حىّ عند ربّه ومن ٱلمقرّبين.

وٱلذين يُقتلون فى سبيل ٱللّه أحيآء عند ربّهم.

ويقول ٱلمسلمون. أنّ أىَّ قتيل منهم. هو قتيل فى سبيل ٱللّه. ويطلقون عليه ٱسم «ٱلشهيد». وهو ٱسم حىّ لا يُقتل ولا يموت.

فهل مَن يُقتل فى سبيل دين قوم. أو طآئفة. أو ديار. أو حزب. يُحسب قتيل فى سبيل ٱللَّه؟

ومن هو ٱلذى يُقتل فيُحسب قتله فى سبيل ٱللَّه ويحيا عند ربِّه؟

لقد بيّن ٱللَّه أنّ ٱلذين ءامنوا يقاتلون فى سبيله. ومَن يُقتل منهم يحيا عند ربّه ويرزق.

وأنّ ٱلذين كفروا يقاتلون فى سبيل ٱلطَّاغوت. ومَن يُقتل منهم يموت بكيد وليّه ٱلشيطان:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ ٧٦ ٱلنِّسآء.

وبيّن أنّ سبيل ٱللَّه. هو سبيل ٱلنور وٱلعلم فى ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. فٱلذين يقاتلون وينفقون فى سبيل ٱللَّه. هم ٱلمحافظون على عهد ٱللَّه وٱلمخلصون ٱلعابدون له. ٱلذين يسيرون فى ٱلأرض وينفذون فىٓ أقطار ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض ينظرون كيف بدأ ٱلخلق ومما رزقوا ينفقون. وهؤلآء لا يقاتلون أحدا حتى يقعد لهم فى سبيل نور نظرهم وعلمهم ويصدّهم عنه. ومَن يقتل من هؤلآء هو ٱلذى يقتل فى سبيل ٱللَّه. وله حيوٰة ورزق عند ربه.

أما سبيل ٱلطاغوت. فهو سبيل كيد ٱلشيطان وٱلظلام وٱلجهل للذين نزع إبليس عنهم لباسهم. وٱلذين يُقاتلون فى سبيل ٱلطّاغوت. هم ٱلكافرون ٱلعابدون لدين طآئفة أو قوم أو طبقة وحزب. يجهلون ويكرهون ٱلنّور ويكفرون بحقِّ ٱلفرد فى مسئوليته عن موقفه وعيشه وعلمه. فيقعدون له فى سبيل نظره وعلمه ويصدونه عنه. ومَن يقتل من هؤلآء. له ما يعده به وليّه ٱلشيطان.

سبيل ٱللَّه يبيّنه دليل ٱسمه بقول يعرّفه:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ٣٥ ٱلنور.

وللّه ٱلأسمآء ٱلحسنى. وهو ٱلحىّ ٱلقيّوم ٱلخالق ٱلبديع ٱلبارئ ٱلمصوّر ٱلمؤمن ٱلسميع ٱلبصير ٱلشهيد ٱلرّقيب ٱلمحيط ٱلمهيمن ٱلحسيب ٱلعليم ٱلخبير ٱلمحصى ٱلقدير ٱلقادر ٱلحكيم ٱلحميد ٱلمجيد ٱلنّور ٱلهادى. . فٱسم «ٱللَّه». هو ٱسم فاعل ينير فيبين جميع أفعال أسمآئه. فى خلق وتسوية كلّ شىء وكلّ أمرٍ فى ٱلسّمٰوٰت.وٱلأرض. بما فى ذلك أمر ٱلهداية لكلّ شىء. وٱلهداية إلى فعل ٱلنور لمن يشآء من ٱلناس.

وسبيل ٱللَّه. هو سبيل ٱلناس بما فيهم من روحه. وبما يشفعون أنفسهم من أسمآئه ويحسنون. إلى ٱلنور وٱلعلم فى كيف خلق ٱللَّه ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض بأفعال أسمآئه ٱلحسنى.

وهو ما تعلّمه وتأيّد به «عيسىٰ» من ربّه.

ومنه ما يصنعه بصر ناظر من ٱلناس يعبد ٱللَّه ويطيع أمر ٱلهداية لبصره وفكره:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

فٱلذى يعبد ٱللَّه يطيع سيّدا يأمره ويهديه إلى سبيله. بٱلسير فى ٱلأرض لينظر ويعلم كيف بدأ خلق ٱلسمٰوات وٱلأرض. ويحسن فى علمه ولا يوثن على علم سلف. وبٱلعبادة وٱلهداية وٱلإحسان. يُبدَى له ويدرك ويعلم وينير ٱلحقّ. ويطمئن قلبه. أنّ دين ٱلحقّ substantive law هو دين جميع ٱلأشيآء بدءًا مّن عدّة ٱلشهور وٱنتهآء بأكبر مسجد فى ٱلسمآء.

ويعلن عبد ٱللَّه للناس ما علم به. ويدعوهم إلى ٱلنّور وٱلإيمان به سبيلا للرزق وٱلأمن وٱلإيمان وللعلوّ فى ٱلأرض. وإن ءامنوا بسبيل ٱلنُّور. ينفقون عليه ليحسنوا فيما يعلمون ويرزقون ويؤمنون ويعلون ويحنفون عن سبيل ٱلطاغوت ومفاهيمه ٱلشيطانية. فإن قتل ٱلطاغوت عبد ٱللَّه بسبب ما يدعوّا إليه. يحيا عند ربّه ويرزق.

بهذا ٱلفهم لا يكون مَن يُقتل من ٱلعابدين لما شرعه ٱلسلف عبدًا للّه. ولا مقتولا فى سبيله. بل هو عبد لدين كافرين جاهلين بدين ٱللّه. يُكرهون ٱلناس فى دينهم ويكفّرون مَن يصبأ عليه.

لقد أيّد ٱللّه «عيسىٰ» بروح ٱلقدس. وعلّمه ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾. وبذلك بدأ «عيسىٰ» ينير للناس سبيل ٱللّه ويدعوهم إليه. ولما سمع ٱلكافرون ما يدعوّا إليه. عملوا بكيد شيطان على عودته عمّا يدعوّا أو يقتلوه. فتابع فى دعوته إلى سبيل ٱللّه حتّى توفىٰه ٱللّه ورفعه إليه وطهّره من ٱلكافرين.

وأضرب مثلا من غير ٱلرّسل. يبيّن ٱلعابدين للّه ٱلسّآئرين على سبيله. ومثلا أخر عن ٱلعابدين للطاغوت ٱلسّآئرين على سبيله:

ٱلأول يبيّنه عمل عبد ٱللّه «جاليلو». ٱلذى نظر فعلم وءامن. أنّ للأرض هيئة فلكية (شبه كروية). وتسبح فى فلكٍ حول ٱلشمس. فأعلن للناس ما رأى بنظره وعلمه ونوره. وبذلك ٱلعمل كان «جاليلو» عبدًا للّه. وٱبنًا للأب إبرٰهيم ٱلذى نظر وفكّر فوجّه وجهه للذى فطر ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. وحنف عمّا وثن عليه ٱلناس وعمّا يعبدون.

وٱلثانى يبيّنه موقف كهّان طاغوت «ٱلفاتيكان». ٱلذى كفّروا عبد ٱللّه «جاليلو». وعملوا ليعيدوه عن كفره أو يقتلوه. وقد حكم عليه كهّان ٱلطاغوت بٱلموت. ثمّ خيّروه بين ٱلموت وبين ٱلرّجوع عن كفره.

ولما فكر عبد ٱللّه «جاليلو». رأىٓ أن يتّقى حكم ٱلجاهلين. فأعلن لهم عودته وٱتقى حكمهم عليه بٱلقتل.

ولوٓ أنّهم قتلوه لكان قتيلا فى سبيل ٱللّه.

جآء فى ٱلموعظة وٱلوصية:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. قول يبين أنَّ ٱلدِّين مسآئل مختلفة عند ٱلناس تتفرّع عن شرع ٱلدِّين عند ٱلملك ٱلقُدُّوس فى ٱلسَّمَـٰوٰت وٱلأرض. وبٱختلافهم لا يخرج أحد منهم عن سجوده لأمره وشرعه ٱلمسنون. ومن فروع هذه ٱلمسآئل شرع من ٱلدِّين لأىِّ سلطة للناس فى بقعة من ٱلأرض. وهذه ٱلمسآئل يختلف فيها ٱلناس أفرادا وجماعات بٱختلاف عبادتهم وبٱختلاف علمهم. وركن ٱلإيمان فى هذه ٱلمسألة هو ٱلفرد بعبادته وعلمه وخيرته ومسئوليته عن عيشه وأمنه. وهذا ٱلرّكن لا يقوم فى بلد. ما لم يكن ٱلفرد سيد نفسه وقوله وموقفه من جميع ٱلمفاهيم.

فمن يعبد ٱللَّه يشفع نفسه به. فيطيعه فيمآ أمر ووعظ ووصّى وهدى. ويُوفى بعهده. ويكتب عهدا لسلطته يبين فيه أنّه ليس لهآ أن تقعد فى سبيل ٱللَّه. ومَن يعبد ٱلشيطان يفسق على عهد ٱللَّه ويضلّ عن سوآء ٱلسبيل.

وتبين ٱلموعظة أنَّ ٱلدِّين فى ٱلسَّمَـٰوٰت وٱلأرض واحد. وأنّ ما يختلف ٱلناس فيه. هو بسبب قعود فى سبيل ٱللَّه وصدّ للناس عنه. وفى ٱلموعظة نهى عن ٱلقتال فى ٱلدِّين وإخراج ٱلناس من ديارهم. فٱلدين فى مجتمع للناس هو ٱلشرع ٱلحيادىّ بين فئاته وشرعاتها ٱلمختلفة. وأنَّ ٱلَّذين يقاتلون فى ٱلدِّين. هم ٱلَّذين يعتدون على شرعات ٱلفئات ٱلأخرى بزعم وصاية على ٱلدِّين ودفاع عنه.

وفى ٱلموعظة نهى لعباد ٱللَّه عن ولاية ٱلذين يقاتلون فى ٱلدين:

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ٩ ٱلممتحنة.

فلا يقبل عبد ٱللَّه ولاية فىَ أى موقع من مواقع ٱلسلطة. للَّذين قاتلوا ويقاتلون فى ٱلدِّين (ٱلحروب ٱلطآئفية).

ولا للذين أيّدوهم من بعد توقف ٱلقتال وٱلدخول فى ٱلسلم.

ٱلدِّين عند ٱللَّه هو دين ٱلحقِّ. وعبد ٱللَّه يعلم أن سبب ٱختلاف ٱلناس فى ٱلدِّين. هو ٱختلافهم فيما يعلمون من ٱلحقِّ ودينه. فلا يقاتل فى ٱلدِّين ويدعوا ٱلناس لينيروا ما يختلفون فيه. ويذكّرهم بما جآء فى ٱلموعظة وٱلهداية عن مسئولية ٱلفرد عمّا ينيره لنفسه:

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨ ٱلمدَّثر.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ٤٨ٱلبقرة.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٢٨١ ٱلبقرة.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ مريم.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ٩٤ ٱلأنعام.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ ٤١ ٱلزُّمر.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ ٥٠ سبإ.

فٱلفرد وحده ٱلمسئول عن ٱلعلم بٱلحقِّ ودينه. وعليه أن يسعى بنفسه من دون إكراه. ولا صدّ. ولا عوق من أحد يقعد له فى سبيل علمه ومعرفته ومسئوليته عمّا علم وعرف.

ٱللَّه هو ٱلنور فى ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. وسبيله هو سبيل نوره فيهما. وٱلنور يُبدِى ما خفى فى ٱلظلام ويبيّنه. وسبيل ٱللَّه فى ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. هو سبيل ٱلنور ٱلذى يُبدِى ويبيّن جميع ما فيهما. لا طارق فيه. ولا عوج. ولا صدّ. ولا قعود فيه. ولذلك فإنّ ٱللَّه بكلِّ شىء محيط وعليم. لا يخفى عليه فيهما شىء ولآ أمر.

وٱلسبيل ٱسم لممر لا عوق ولا عوج ولا صدّ للسالك فيه. فإن كان فيه عوق وعوج وصدّ يكون له ٱسم «طريق». بسبب ما يطرق فيه من عوق وعوج وصدّ وقعود فيه.

من هذين ٱلاسمين ينشأ مفهوم «سبيل ٱللّه». وهو من ٱلمفاهيم ٱلتى أظلم عليها لغو ٱلكافرين. وألصقها بمفهوم ٱلزهد وٱزدرآء ٱلسير وٱلنظر فى ٱلأرض للعلم فى كيف بدأ ٱلخلق.

وبفعل طغوى تعبيد ٱلكافرين فى ديار ٱلمسلمين بطاغوت ٱلتربية وٱلتعليم. فٱلناس فى ديارهم يعبدون ٱلطاغوت ويسلكون سبيله. وبسبب عبادتهم للطاغوت. تنتشر فى ديارهم أفعال ٱلعوق وٱلعوج وٱلصّدّ عن سبيل ٱللّه. فيزداد ٱلعمى وٱلجهل فى قلوبهم. وٱلصّمّ فى سمعهم. وٱلفقر وٱلضعف وٱلخوف فى مجتمعاتهم. وبذلك ٱلتعبيد يطغى عليهم ٱلمعبّدون. فيتخذونهم أوليآء يتسلطون عليهم ويمنعونهم عن سبيل ٱللّه ويمنعون ٱلنفقة فيه. وبذلك يمنعونهم من ٱلمساهمة فيما تصنعه ٱلشعوب ٱلعابدة للّه. من وسآئل محسنة تساعدهم فى تطوير علمهم بكيف بدأ ٱلخلق. وتجعلهم يعلون فى ٱلأرض وينعمون بٱلرزق ٱلوفير وٱلأمن وٱلقوّة.

فٱلقول «سبيل ٱللّه». يبيّن ممرًا عربيًا للنور. يبدِى ٱلحقّ ويبيّنه للفرد ولمجتمع ٱلناس. فإن علم ٱلناس بحاجة ٱجتماعهم إلى حكومة متنورة. تعلم بٱلحاجة إلى سبيل ٱللّه. وتحكم بينهم بٱلعدل. وتأمر بشرع معروف. وتَنهَى عن ٱلأمر بمنكر. يطمئنون بقيامها. ويدخل ٱلإيمان بحكمها وأمرها فى قلوبهم. فلا يخافون من أمر بٱلفحشآء وٱلمنكر علىٓ أنفسهم وأموالهم وما يملكون. وبهذا ٱلإيمان يعملون فى مجتمعهم ويطعمون من جوع ويؤمنون من خوف.

سبيل ٱللّه نور مستقيم لا يعوجّ. وهو صراط ٱلرَّبِّ ٱلذى يطلب ٱلمؤمنون ٱلهداية إليه:

ربنا ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ٦ ٱلفاتحة.

ٱلقول ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. وٱلقول ﴿أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾. وٱلقول ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾. فى كلٍّ منها طلب قدرة للقلب بوسيلة منهاج ينزل عليه. كما نزل منهاج رحمة من ٱللّه على رسوله ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾. وٱلمثل عليه فى مناهج ٱلكومبيوتر. فأىّ عمل ينزّل على ٱلكومبيوتر. لا يرىٰه إن لم يكن فى قلبه منهاجه. فٱلقدرة على ٱلرؤية. هى قدرة منهاج فى قلب ٱلإنسان وليس فى عينه. وقلب ٱلمرء يرى رأىَ ٱلعين حقًّا لا تبصره عينه.

ومثل ذلك هو فعل ٱلهداية إلى ٱلصراط ٱلمستقيم. فٱلذى يطلبها لقلبه يجدهآ إن لم يعبد إلاَّ ٱللّه. ولم يشفع نفسه بغيره ويلبس قلبه منهاج شيطان. وهذا لا يضلّ عن ٱلصراط ولا يقعد لأحد فيه. يعوقه من ٱلنظر فىَ أى مسألة من مسائل ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق. ولا يزعم بدين لسلطة مجتمعه. يمنع ويحرّم ٱلنظر وٱلعلم فىَ أى مسألة من مسائل ٱلنظر وٱلعلم فى ٱلحقّ.

فٱلذى يهتدى وهو يسلك سبيل ٱللّه. يرى قلبه حدود سلوكه فيه. ويعلم بٱلمحرّم فيه بنفسه ومسئوليته. ويعلم أنّه ليس لأحد أن يقول لمن يريد ٱستنساخ بشر هذا حرام. فليستنخ ليعلم إن كان فى ٱلمستنسخ روح أم نفس من دون روح. فإن كان من دون روح. سيعلم بأية ٱلبشر وأنّ ٱلروح ليس من كتاب ٱلخلية DNA. وأنّ خلق وتسوية ٱلبشر كان بكتاب ٱلأحماض ٱلأمينية. ولم يكن من منىّ يمنى. وسيعلم أنّ ٱلروح من أمر ٱلرّبّ:

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ٨٥ ٱلإسرآء.

وإن كان فيه روح. علِمَ أنّ ٱلروح فى كتاب ٱلخلية. وأن ٱلمستنسخ إنسان ويستطيع ٱلتكاثر من دون منىّ يمنى. وبذلك يرىٰ ءاية «عيسىٰ» ويصدّق بها ويتبعها.

فمن يقول عن ٱستنساخ ٱلبشر حرام. عليه بيان ٱلحرام فيه.

وإن لم يستطع. عليه ٱلرجوع عن ٱلقعود فى سبيل ٱلنور وٱلعلم فى هذه ٱلمسألة.

ٱلقعود فى سبيل ٱللَّه

كتبت وعقلت بين بيانات علم ٱلفيزيآء. وبين ٱلقول فى كتاب ٱللَّه ٱلقرءان. وكان عمل ٱلعقل فى كلٍّ مرّة. يظهر لىَ أنّ قول ٱلقرءان يحمل بيانا فيزيآئيًّا عن كلِّ شىء حقٍّ لا ريب فيه. ويتفوّق فى بيانه على مآ أعقله معه من بيان للناس.

وتوجّهت إلى عقلٍ أخر. عن حقوق ٱلمرء ٱلشخصيّة ومسئوليته عمّا يعمل ويكسب. وتبيّن لىَ أن كتاب ٱللَّه. هو ٱلمصدر ٱلوحيد ٱلمبيّن لهذه ٱلحقوق. وهذا قوّى ثقتى بقوله. وبٱلعقل لأىّ مسألة من مسآئل ٱلعلم ومسآئل حقوق ٱلإنسان معه.

ما بين يدىّ ٱلإنسان ٱليوم من علم. لم يكن يحلم به ٱلأبآء من قبل. فهو ينفذ بنظره ورأيه فى ٱلأشيآء. إلىَ أبعاد صغيرة «نانومتريّة»(١). وينفذ فى ٱلسّمآء إلىَ أبعاد فلكيّة ضوئية. وفى كلّ طُور من أطوار نظره وعلمه. كان له بٱلمرصاد صآدّون وقاعدون فى سبيل ٱلنور. يرفعون أعلام ٱلتحريم للنور بٱسم ٱلدين. لكنّ رَوحَ ورَيحَانَ ما فيه من روح ٱللَّه «نور ٱلسّمَٰوٰت وٱلأرض». يروح على ٱلسبيل على ٱلرّغم من ٱلصدّ وٱلقعود له فيه.

إلآ أنّه بٱلصّدّ وٱلقعود له فى ٱلسبيل. ٱندفع يظنّ أنّ ٱلدين هو ما يقوله

---

(١) ٱلنانو متر = ١ من مليون من ٱلمليمتر.

ٱلصّآدُّون وٱلقاعدون من كهان ٱلطوآئف وٱلأحزاب. وبذلك ٱلظّنّ يطلب فصل ٱلدين عن ٱلسلطة. ويقول عن ٱلدِّين ما قاله عالم ٱلفيزيآء «لورنس كراوس»:

«لا أوافق على تدريس الأفكار الدِّينية على أنها علوم»[1].

وبهذا ٱلقول يبيّن «كراوس» عبدا للّه لا يخلص بعبادته. وعليه برَوحه ورَيحَانه على سبيل ٱللّه ينظر ويعلم بكيف بدأ ٱلخلق. أن يعلم بدين ما ينظر فيه.

وأن يعلم أنّ نظره وعلمه. لم يكن له منهما شيء. لولا سجود جميع ٱلأشيآء له. بما فيه من روح ٱللّه لينظر فيها ويعلم بها.

وأن يعلم بٱلأمر ٱلذى سجدت له جميع ٱلأشيآء. ليرسل عليها وفيها نور نظره. فيُصبحها ويبديها ويعلّمها ويقرأها ويصنع منها ما ينفعه. ويطوّر قدرة ما فى نفسه من مناهج. ويزيد من نوره وخبرته.

وبفعل لغو ٱلكافرين فى ٱلهداية. لم يعلم «كراوس» وكثير من عباد ٱللّه غير ٱلمخلصين. أنّ خضوع ٱلأشيآء لهم مبيّن فى قول ٱللّه للأشيآء. وهى ملآئكة تفعل ما يريده منها صانعها بمنهاج وضعه فيها:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩)﴾ ٱلحجر.

وأنّ جميع ٱلأشيآء تسجد لهم لينيروها ويعلموا بها كما قال ربّهم. و«كراوس» ما زال لا يعلم أنّ نوره وعلمه فى ٱلأشيآء. ما كان له من دون روح ٱللّه فيه.

وهو ما زال لا يعلم. أنّ روح ٱللّه فى نفسه قريب كٱلسيف وقربته.

وما زال لا يعلم. أنّ ٱللّه جعل واحدا من ٱلأشيآء لا يسجد له:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ ٣٤ ٱلبقرة.

---

(١) مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية (ٱلنسخة ٱلعربية – ٱلكويت). ٱلمجلد ٢٠ ٱلعددان ٨/ ٩.

ويدلّ ٱسم «إبليس» على فعل ضعيف ذو منهاج غواية وغرور وشيط. يضلّ عن سبيل ٱللَّه مَن لا يعلم بمآ أنزل ٱللّه من لباس للوقاية منه. وقد بيّن ٱللّه للناس ما يفعله منهاج «إبليس» ٱلضعيف بهم:

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)﴾ ٱلإسرآء.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ (١٧)﴾ ٱلأعراف.

ومنهاج «إبليس» كمناهج فيروسات ٱلكومبيوتر. هو منهاج ضعيف يأتى بهيئة جلبة كجلبة ٱلجرح ٱلتى تسقط من بعد ٱلشفآء. وهو يجلب على قلب ٱلناس بصوتٍ يحمل قولا يخالف ٱلوصية. فَمن سمع ٱلصوت ولم يذكر ٱلوصية يستفزّه[1]. فتُصنع جلبة على قلبه. تصرفه وتشيط به عن ٱلتفكير وٱلنظر وٱلعلم وٱلتذكّر. فينشأ فى نفسه خيال. يُسكرها ويُخيّبها ويدسّها (يدوسها) برَجِلِه.

وأضرب مثلا على ذلك ٱلصوت. بقول سلطة ٱلطغوى فى ديار ٱلعرب وٱلمسلمين «لا صوت فوق صوت المعركة».

هذا ٱلصوت يحمل قولا يخالف ٱلوصيّة ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾. وقد جلب على قلوب ٱلأكثرية من ٱلعرب وٱلمسلمين. فنسوا ٱلوصيّة وصيطر عليهم ٱلخيال بٱلنصر فى تلك ٱلمعركة. حتّى خابوا ودسّهم (داسهم) إبليس برجله وأذلّهم.

فٱلذين يجلب عليهم «إبليس» ويدسّهم. يجعل منهم عبادا للطغوى. وبقول كهانها «لا صوت فوق صوت المعركة». يجلبون على ٱلناس بصوتهم وخيلهم ورَجِلِهم. فيجعلونهم يظنّون أنّ ما يقوله صاحب ٱلطغوى هو قول ٱللَّه.

---

(١) يحثّه ليفزع ويثور ويقفز.

وأضرب مثلا أخر على ما يجلبه إبليس. بصوته وخيله ورجله على قلوب علمآء فى ٱلحقِّ من عباد ٱللّه غير ٱلمخلصين.

فقد علموا بسؤالهم ونظرهم وتفكيرهم وقرئهم. أنّ ٱلبشر كان لونا من ألوان ٱلدّوآبِّ ٱلرئيسة. ٱلتى لا تزال جميعها من دون نظر ولا تفكير ولا علم.

كما عَلِموٓا أنّ لكلِّ لونٍ مِّن ٱلرئيسات أمّة لسلوكه. ٱلذى يفرقه من سلوك لون أخر.

فنشأ لديهم رأىّ محمول بكلمة «صدفة». وقالوٓا أنَّ لونًا من هذه ٱلرئيسات ٱنفتح منهاج سلوكه ٱلمغلق على لونه. وتطور إلىَ إنسان يفكر ويريد ويسجل خبرته ويخزّنها خارج قلبه وفؤاده فى هيئة صور وكتابة. ونسبوا قولهم هذا. وهم يجهلون ٱلمنهاج ٱلمؤثّر فيه. إلى فعل ٱلتطور ٱلجارى فى ٱلأشيآء. وإلى حدثٍ مباغت مجهول «صدفة». وبذلك نسوا ما فيهم من روح ٱللَّه ومَن نفخها فيهم.

يقولون هذا ٱلقول. على ٱلرّغم من أنّهم يعلمون أنّهم لا يستطيعون توكيد ما نسبوه لفعل ٱلتطور وللصدفة ويطمأنون إليه.

وأنّ قولهم يخالف ما ٱكتشفوه بنظرهم من سنّة ٱلتطور. ويخالف وسآئلهم ٱلعلميّة.

بل يعلمون أنّ علمآء أخرين منهم «فيزيولوجيا ٱلإدراك وٱلتفكير». قد قطع ٱلكثير منهم قوله فى مسألة ٱلتطور من ٱلسلوك ٱلمغلق على ٱللون. إلى ٱلنظر وٱلتفكير. وبعضهم يقول أنه لا يحدث من دون عون خبير من خارجه[1].

بل يعلمون أنّ مؤسس ٱلنظرية ٱلقآئلة بٱلتطور من ٱلرئيسات إلىَ إنسان «تشالرز دارون». كان قد قال عن «حلقة مفقودة». ولم يقل بما جلب صوت «إبليس»

---

(١) «خريستوف كوخ» و«فرانسيس كريك». فى مقالهما ٱلمشترك «مشكلة الوعي» (ٱلمنشور فى مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/٣- ١٩٩٩). وفى كتابى «ٱلكلمة» قول فى مقالهما.

بكلمة «صدفة». فترك أمر ٱلعلم بكيف صار واحد من ٱلرئيسات مفكّرا للنظر وٱلبحث ٱلعلميّ من بعده. وإلى ٱليوم لم يتوصّل أحد إلى ٱلعلم بتلك ٱلحلقة ٱلمفقودة.

هذا ٱلقول عن «ٱلصدفة». هو صوت لإبليس. جلب به على قلوب ٱلذين يعلمون من ٱلناس. فنسوا ٱللَّه وما فيهم من روحه. فدسّهم إبليس برجله ليكفروا ما بأنفسهم من نور ٱللَّه. وليكفروا على عمل ٱلعقل بين ما نوّروه بنظرهم وبين ٱلنّور ٱلهادى لهم فى كتاب ٱللَّه. وبهذا ٱلكفر قالوا بٱلصدفة. وهم يعلمون أنّ ٱلقول بها لا علم فيه.

فكيف يكون دسُّ إبليس للجاهلين من ٱلناس وٱلقاعدين فى ٱلسبيل بٱسم ٱلدين؟

ما كان على ٱلذين يعلمون أن يعلموا به. أنّ فعل ٱلتطور لم يتوقف يومًا على لون واحد من ٱلأشيآء.

بل إنّ تطور ٱلبشر من ٱلرئيسات ٱلوحشيّة. إلىَ إنسان ينظر ويفكّر. وتربوا خبرته ٱلتى يعلنها وينشرهآ أمام رئيسات أخرى (ٱختارها لترافقه فى عيشه). زاد من تأثير فعل ٱلتطور على هذه ٱلرئيسات.

وعليه أن يعلم. لوَ أنّ فعل ٱلتطور هو ٱلذى جعل لون ٱلبشر إنسانا يعمل وينظر ويفكّر ويعلم. لكان لهذه ٱلرئيسات نصيب أكبر من نصيبه على ٱكتساب ٱلتطور ٱلمشابه لتطوره. بفعل ما ٱكتسبه هو. وما يعلن منه أمامها.

فٱلتطور لم يفعل مع ٱلرئيسات ٱلأخرى ما يقوله بتأثير منهاج إبليس. من أنّ ٱلتطور فعل هذا معه هو من قبل.

فما يظهره له سلوك كلّ لون من ٱلرئيسات. أنّه يسجد لمنهاج محدّد ومغلق لا يكتسب. وله دليل على هذا ٱلمنهاج ٱلمغلق. فى منهاج أمّ ٱلكومبيوتر «مزر

بورد». وله دليل أخر على ٱلمنهاج ٱلمفتوح فى منهاج ٱلويندوز. وكلاهما من خلقه وصناعته. وله بٱلويندوز وبتنزيله وتنصيبه على قرص ٱلكومبيوتر ٱلصلب ليكون لباسا لطيفا له. مثل على ٱلوسيلة لجعله إنسانا يذكر ويفكر ويفهم. فيكتسب ويملك ويفقه ويعقل ويتقى. فيؤمن ويحكم ويأمر.

فٱلبشر له أمّه مغلقة على سلوك لونه ٱلحىّ. كما هو ٱلحال لدى ٱلرئيسات ٱلأخرى. وبأمّه لا يمكنه ٱلعمل وٱلنظر وٱلتفكير وٱلعلم. من دون تنزبل منهاج رَوحٍ ورَيحَانٍ على قلبه. وهذا ٱلمنهاج لا يستطيع فعل ٱلتطور أن يصل إليه بذاته.

وعليهم أن يفكّروا فى ٱلسُّؤال. مَن هو هذا ٱلعليم ٱلخبير ٱلذى نزّل ونصّب منهاجا مفتوح ٱلرَّيحِ وٱلرَّيحَانِ على قلب ٱلبشر ٱلأمىّ ٱلمنهاج. فجعله يتطور وينفتح منهاج قلبه على رَوح ٱلنظر وٱلتفكير ورَيحَانه؟

وأجوبتهم بما جلبه عليهم «إبليس» بكلمة «صدفة». لا تُطمئِن حتّىَ أنفسهم. وأكثرهم ما زالوا يقولون أنّ فعل ٱلتطور وحدث مباغت «صدفة». هو ٱلفاعل فى تحويل واحد من ٱلرئيسات إلى بشر يفكر.

مثل هذا ٱلجواب ٱلظنّىّ يترك ٱلسُّؤال من دون جواب يقين.

ٱلجواب على هذا ٱلسُّؤال فى كتاب يحسبه ٱلجميع. بفعل ما يجلبه «إبليس» عليهم. أنّه لا صلة له بمسآئل ٱلعلم. وعنان هذا ٱلكتاب «ٱلقرءان». وٱسم مؤلفه «ٱللَّه».

وعليهم أن يتطهروا مما جلبه عليهم «إبليس». ويعملوا على هذا ٱلكتاب كما يعملون علىَ أىِّ كتاب أخر.

فمؤلف ٱلكتاب يقول قوله فى مسألة ٱلخلق وٱلتسوية للبشر أنهآ أطوار:

﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ ١٤ نوح.

وأنّ تسوية خلقه بدأت من تراب (عناصر الطبيعة):

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ٥ ٱلحج.

وجعل ٱلتراب بٱلمآء أشيآء حيّة:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ٣٠ ٱلأنبيآء.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ ٥٤ ٱلفرقان.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ ٧ ٱلسَّجْدَة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ١٢ ٱلمؤمنون.

من سلالة من طين. فصلصال كٱلفخار. فحمإٍ مسنون. فنبات:

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ١٧ نوح.

يقول مسلسلا ٱلخلق وٱلتسوية. ثمّ يقول أنّه جعل لهما بداية جديدة وفى أطوار يسلسلها:

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ ٥ ٱلحج.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ ٦ ٱلزمر.

ويبيّن أنّ ٱلخلق لا يعود فى كلّ مرّة إلى ٱلتراب ٱلأوّل. بل يتبع منهاجا مسجّلا يسلسل منسكَ أفعال ٱلخلق. من نطفة. ثمّ علقة. ثمّ مضغة. ثمّ عظاما. ثمّ كسوة للعظام لحما.

ويبيّن أنّه سوّى هذا ٱلخلق. وعدله. وركّب صورته. ثمّ نفخ فيه من روحه.

ويقول عن هذه ٱلتسوية. أنه قضىَ أن تمتدّ أجلا طويلا. ثمّ أجل أخر محدّد بمنهاج عنده:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ٢ ٱلأنعام.

ويقول عن ٱلروح:

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ ٨٧ ٱلبقرة.

﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ ١٧١ ٱلنسآء.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ ٢ ٱلنحل.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ ٱلإسرآء.

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ١٥ غافر.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ٢٢ ٱلمجادلة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ ٱلشورى.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ ٩ ٱلسجدة.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ ٢٩ ٱلحجر.

ويبيّن أنّ ٱلرُّوحَ علامة لمعلومات data for information. تُنفخ وكلمة تُلقى. ويُؤيَّدُ به عباد ٱللّه. ويجعله ٱللّه نورًا يهدىَ إلى صراط مستقيم.

ويبيّن أنّ ٱلخلق متعاقب:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ ٦ ٱلزمر.

فٱلخلق designing, styling, layout فى ٱلبطن يتعاقب. ويبيّن منهاجا وفاعلا له ومكانا فى ٱلبطن. هو ٱلرّحم[١]:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ٥ طه.

---

(١) بحث «رحم» فى كتابى «منهاج ٱلعلوم» ٱلثانى. - دار ٱلساقى ٢٠١١.

فٱلتراب ينفش بٱلمآء. وكلاهما ٱلأساس لنشأة «نفس حيّة». وبٱلنفش يتحولان إلى طين. ثمّ إلى صلصال. ثمّ إلى حمإٍ مسنون. ومن دون منهاج يُلهم installing فى ٱلطين لا تحدث فيزيآء ٱلنفش (بيولوجيا «نفس حيّة»). وهذا ٱلمنهاج يبيّنه قول ٱللَّه بكلمة «ٱلعرش». كما يبيّن ٱلفاعل «ٱلرّحمـٰن». وهو ٱسم من أسمآء ٱللَّه ٱلحسنى.

ويبيّن أنّه بفعل ٱلفاعل وعرشه ٱلملهم «فجور وتقوى». تنشأ وتنبت من ٱلطين ٱلمنفوش «حيوٰة» لنفس واحدة (وحيدات الحلية). وبذات فعل ٱلفاعل وعرشه ٱلملهم. تتطور ٱلنفس ٱلواحدة وتتعدد فى ٱتحاد شعب كثيرة منها. وصولا إلى بنيان مرصوص لقَريش متحدٍ من قبآئل لأحيآء كثيرة فى جسم واحد. ومنه جسم ٱلبشر.

ويبيّن أنّ هذه ٱلأحيآء تَربُوا بفعل ٱسم من أسمآء ٱللَّه «ربُّ ٱلعرش». وهو بيان لفعل فيزيآء. ومنه تتحوّل إلى «رحمة» بفعل ٱلمنهاج ٱلملهم وفاعله «ٱلرّحمٰن» ٱلذى ٱستوى على عرش ٱلحيّ. وهذا بيان لفعل بيولوجيا.

هذه «ٱلرحمات» وما فيها من عرش ملهم. محدود بفجورها وتقوىٰها. وليس لها به إدراك ونظر وعلم.

ويبيّن ٱللَّه ٱلمنهاج ٱلمفتوح على ٱلإدراك وٱلنظر وٱلعلم بقوله «نفخت فيه من روحى». وهذا ٱلمنهاج هو من فعل وأمر ٱسم «ٱللَّه». وهو ٱلذى ينفخه فى واحد من ٱلرحمات. ويلقيها على واحد ممّن نفخ فيه من روحه. وبها يكون له رَوح ورَيحَان وإدراك ونظر وعلم.

ويبيّن ٱلفرق بين فعل ٱسم «ٱلرّحمٰن» وفعل ٱسم «ٱللَّه»:

﴿حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٢)﴾ فصّلت.

﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ (٢)﴾ غافر.

فكلمة ﴿حمٓ﴾. ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1]. وهذا ٱلتنزيل جعل من ٱلحيط «حـ» وهو تراب (كربون). ومن ٱلمآء «مـ» (هيدروجين). حيوٰة تدبُّ. وهو ما يسمّى بٱلكربوهيدرات. ٱلذى نفش وألهم فيه. فربى وكبر وصار نفسا تفجر فتدبّ لتأكل وتشرب. بفعل منهاج مغلق على ٱلفجور وٱلتقوى. وبٱلطعام ربت ٱلنفس وصار لها جسم. ومنه جسم دآبّة ٱلبشر ٱلذى يسفك ٱلدمآء ويفسد فى ٱلأرض بتكاثره وهو لا يدرى بحدود لفعله ولا يعلم.

ويبيّن قوله أنّ ٱلجسم ٱلحىّ «حمـ». تغيّرت هيئة مآئه «مـ» إلى ٱلهيئة «مٓ» بٱلنفخ فيه من روح «ٱللّه ٱلعزيز ٱلعليم». فجعله بهذا ٱلنفخ «حمٓ». عادما يتلقّى من ربّه كلمات ويتوب عليه فيأنس. ثمّ يتلقى منه روحا. فينذر بيوم ٱلتلاقِ منعا من سفك ٱلدمآء ومن ٱلفساد فى ٱلأرض.

ويبيّن قوله لمن نفخ فيه من روحه:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ٥٦ ٱلأعراف.

أنّ ٱلذىَ أصلح ٱلأرض للحيوٰة هو «ٱللّه». وأنّ ٱلبشر يفسد فيها بفعل منهاج فطرته ٱلوحشية. وأنّه بٱلنفخ فيه من روح مَن يُصلح. يبقى على فعله ٱلمفسد حتى يشفع نفسه بٱللّه. ويوصل إلى مآ أوتىَ من ٱلعلم برَوحِ ورَيحَان ٱلرُّوح فى قلبه. ويعلم بأسباب فساده. ويهتدىَ إلى سبيل ٱللّه. فيصير خليفة. ويصلح كما يفعل ٱللّه بقوّة روح ٱللّه فيه.

فٱلبشر حىّ «حمٓ» فيه من روح ٱللّه. فإن سلك سبيل ٱللّه. يخلف بفعل رَوح ورَيحَان ٱلرُّوح. فيصلح ٱلأرض ويجعلها جنات عدن وعيون. ولا يفسد فيها. ولا يخرّص ويقول «صدفة».

ويبيّن قوله أنّ غير ٱلبشر من ٱلدّوآبّ. لم يُنفخ فيها من روح ٱللّه. وهى جميعها نفس «حمـ» تنزيل من ٱلرّحمٰن ٱلرّحيم. ولم ينفخ فيها من روح ٱللّه

(١) بحث «عقل بين بلاغين». فى كتابى «أنبآء ٱلقرءان» - دار ٱلساقى ٢٠١١.

ٱلعزيز ٱلعليم. ومنها ما يفجر ويسفك ٱلدمآء ليأكل ويتقى هربا من ٱلمخاطر بفعل عرش منهاج ملهم. وجميعها تفسد فى ٱلأرض بفعل تكاثرها وجهلها بأثر تكاثرها على ٱلأرض. وما يفعله تكثير ٱلبشر للبقر ليأكل لحمه يفسد فى ٱلأرض. بفعل ما يصدر عن ٱلبقر من زفير وأبخرة روث. وما يستهلكه من مآء. وهذا بفعل ٱلبشر ٱلضآلّ عن سبيل ٱللّه. يغويه «إبليس» بٱلشهوات وينسيه ما فيه من روح ٱللّه وما فيه من قدرة على فعل ٱلإصلاح للأرض.

وفى قوله أنّ ٱلبشر وحش «يسفك ٱلدمآء» و«يفسد فى ٱلأرض». يبيّن وحشا وجاهلا بما ينجم من فساد فى ٱلأرض بفعله.

وفى قوله أنّ ٱللّه نفخ فى ٱلبشر من روحه. وترك «إبليس» يقعد له صراط ٱللّه ٱلمستقيم:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ (١٧)﴾ ٱلأعراف.

وفعل «إبليس» ظاهر فى ٱلأرض. بما يفعله ٱلبشر ٱلضآلّ من فساد فيها بما عملته أيديهم وبتكاثرهم وتكاثر شهواتهم.

ومن قوله يتبيّن أنّ أكثر ٱلبشر لا يعملون شكرًا. كما هو مطلوب من ءال داوود:

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ ١٣ سبإ.

وعمل ٱلشكر غير مأجور وغير ممنون.

وأكثر ٱلناس يفسدون ولا يصلحون. ولن يخلف منهم أحد بجميع أفعال أسمآء ٱللّه. إن لم يهتدِ إلى فعل ٱلرُّوح فيه. ويعمل شكرًا. ويسلك على سبيل ٱللّه. فيمنع قعود «إبليس» له فى صراطه ٱلمستقيم.

فى زبر ٱلقول هذه. بيان للخلق وٱلتسوية. وٱلمدّة ٱلطويلة. وٱلجعل.

ومنهاج ٱلنسخ ٱلمسجّل فى ٱلنطفة (ٱلجينوم). وفتح منهاج رَوحٍ ورَيحَانٍ لسلوك ٱلبشر ٱلمغلق بقوله «ونفخت فيه من روحى».

وبعقل هذا ٱلبيان فى قول ٱللّه. مع ٱلقول ٱلمستنبط عن فعل ٱلتطور وٱلحدث ٱلمباغت «صدفة». فإنّ وصف ٱلعلم. لن يكون إلا للقول ٱلمبيّن وٱلمعلِّم للحدث وتسلسله وتطوره ومنهاجه.

فما قاله ٱلإنسان عن فعل ٱلتطور وٱلصدفة. لا يستطيع بيانه ولا تعليمه ولا بيان منهاجه.

أما قول ٱللّه فيبدِئ ٱلحدث من ٱلبدء ويبيّنه. ويبيّن إلهاما لمنهاج مغلق. وتنزيلا لمنهاج مفتوح لرَوحِ ورَيحَان ٱلنظر وٱلعلم وٱلتفكير وٱلفقه وٱلقول.

وما يقوله ٱللّه أنّ كتابه مُرسل كلباس للقلب لِّمَن نفخ فيه من روحه. وأنّ هٰذا ٱللباس لا يَمَسُّ قلبا قبل تطهيره ممّا جلب عليه «إبليس». وممّا نزل عليه وعُبِّدَ به من تخريص ولغو بصدفة وشرك فى ٱلرأى وٱلقول وٱلموقف. ويطلب من ٱلإنسان ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر كيف بدأ ٱلخلق. وٱلعقل مع ٱلبيان وٱلتبيان لكلِّ شىء.

ويذكّره بمنهاج «إبليس» وغوايته وغروره ليحذره ويتقى منه.

ويطمئنه أنّه بسيره ونظره. سيعلم ٱلنَّشأة ٱلأولى من دون صدفة.

ويذكّره بأنّ عمله من أساس منهاج خلقه:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ٱلصَّافَات.

ويذكّره بمنهاج علمه مما خُلق:

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ ٱلمعارج.

فهذا ٱلكتاب يبيّن مسألة ٱلتطور وتسلسل أفعالها. وموادّها. وسبيلها. وجعل أفعالها. وموادّها فى سبيل جديد. يحمل مفهوم ٱلنسخ لمعلومات وتحوّلها إلى جنين.

كما يبيّن ٱلعون ٱلخارجى ٱلذى يوكّد عليه بعض علمآء «فيزيولوجيا ٱلإدراك وٱلتفكير»[1]. فى ٱلتحول من سلوك بمنهاج مغلق. إلى سلوك بمنهاج مفتوح ٱلرَّوحِ وٱلرَّيحَان بقوله «ونفخت فيه من روحى».

فمؤلّف ٱلقرءان يبيّن فى كتابه ٱلجواب ٱلمفصّل على ٱلسؤال. كما يبيّن أنّ تحوّل ٱلبشر (وهو واحد من ٱلرئيسات). من منهاج مغلق إلى منهاج مفتوح على ٱلنظر وٱلتفكير. كان بفعل ٱلنفخ فيه من روح ٱللّه كما هو ٱلأمر مع ٱلكومبيوتر بنفخ ويندوز فيه.

وما قال ٱللّه عن نفسه فى كتابه. أنّه هو ٱلصانع ٱلعليم ٱلخبير. بيّن فى كتابه كيف خلق وأنبت وسوّى وعدل وصوّر وجعل.

وبيّن كيف فتح منهاج ٱلبشر ٱلمغلق كبقية مناهج ٱلرئيسات. بنفخه فيه من روحه.

وأنّه صانع لمنهاج «إبليس» لكى لا يسجد للبشر كما تسجد بقيّة ٱلأشيآء.

وبذلك بيّن أنّه ليس لفعل ٱلتطور بذاته ٱلفتح لأىِّ منهاج مغلق.

وبهذا ٱلبيان وٱلتفصيل. يكون ٱلقرءان كتاب علم لعليم يحيط بجميع وجوه ٱلمسألة. وعلى ٱلإنسان ٱلعالم أن يعقل ما بين يديه من علم. مع بيان هذا ٱلكتاب قبل أن يقول رأيا يبعده عن مسآئل ٱلعلم. وإن تمسّك بقوله عنه أنّه كتاب لا صلة له بمسآئل ٱلعلم. يكون موقفه وقوله هو لا صلة له بمسآئل ٱلعلم.

أعود إلى ٱلقول ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. فكلمة «صرٰط» لها دليل ومفهوم كلٍّ مِّنَ ٱلأفعال (سَبَلَ وبان وأَمِنَ). وفيها دليل ومفهوم ٱلسبيل ٱلبَيِّنُ ٱلأَمِنُ للسير فيه. ولهذا ٱلدليل فى لسان فطرة ٱلإنكليز ذات ٱلكلمة street. وهو ممر شَرَعَهُ ٱلناس بعلم ليكون سيرهم «شارع» ءَامِن وبيّن.

---

(١) «مشكلة الوعي» (مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد. ١٥ ٱلعددان ٢/٣- ١٩٩٩ نسخة).

وفى لسان فطرة ٱلإنكليز كلمة straight. تحمل دليل ومفهوم كلمة «مستقيم». من دليل ومفهوم ٱلفعل «قام». ٱلّذى يدل على ٱلأفعال (عَدَلَ وظَهَرَ وقَرَّ وبَقِىَ وحَدَّ ورَفَعَ وبان وقَدَرَ وحَفَظَ وسَيَدَ وعَمَدَ وعانَ). وكل هذه ٱلأفعال تشترك فى جعل ٱلصراط مستقيمًا شارعا. لا عوج ولا ميل ولا صدّ ولا منع وقعود لِّلبصر فيه.

ولهذا ٱلصراط دين يقوم قِيَمًا:

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٦١ ٱلأنعام.

وهو فرع من دين «قيّم» لحىّ قيُّوم:

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠ ٱلروم.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ ٥ ٱلبينة.

فٱلهداية إلى ٱلصِّراط ٱلمستقيم. هى ٱكتساب ٱلقلب قدرة منهاج فى ٱلعلم وٱلمعرفة. بأشراط قيام سبيل ٱللّه شارعا للنظر. يتوسّط بين طرفى جدل أى شىء. وبٱلقيام عليه يوصل ٱلسَّالك إلى ٱلعلم بسنّة دفع بين طرفى جدل زوجية كلِّ شىء فى سبحه وهلاكه. وبهذا ٱلاكتساب يوصل ٱلقلب إلى ٱلعلم. أنّ ٱلصِّراط ٱلمستقيم هو سبيل ٱللّه. وهو سبيل ٱلناس إلى ٱلعلم. من دون تطرّف وعمى. بكيف بدأ ٱلخلق وسبح. وبكيف يهلك. فلا يقعد لهم فيه.

ٱكتساب هذه ٱلهداية. لا يحدث من دون متابعة للعلوم ٱلتى تبين دين ٱلحقّ وسنّة ٱلتطور. وعقل لها مع بيان ٱللّه. وبٱلهداية ينشأ للإنسان موقف لّه فى ٱلحيوٰة ٱلدّنيا بدراية وعلم ومسئولية.

فٱلأمر ٱلعربى:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

يبيّن أنّ وسيلة ٱلعلم هى فى عبادة أمر ٱلسيد بٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق.

وبطاعة عبد ٱللَّه أمر سيّده ٱللَّه. يعلم أنّ ٱلسلوك على ٱلسبيل قآئم.

وأنّ سبيل ٱللَّه هو شارع مستقيم بين طرفين. فينظر ويعلم ويعرف كيف بدأ ٱلخلق بيمين وشمال. وبعلمه يوجه موقفه وأعماله لجعل هذا ٱلسبيل سالكًا بعهد وميثاق مثله. من دون ميل إلى طرف. ومن دون عوق وصدّ وقعود فيه.

ويعلم أنَّ منع ٱلسير على هذا ٱلسبيل. يأتى به ٱستبداد مفاهيم وثنيّة لمتطرفين. تطغى وتصير منهاج طاغوت. تعبّد به سلطة طغوى فاسقين عن أمر ٱللَّه يجهلون ويشيطون ويتمرّدون على ٱلأمر. فلا يعلمون بٱلصِّراط ٱلمستقيم ولا بسبيل ٱللَّه. فيطغون ويأمرون بٱلفحشآء وٱلمنكر. ويصدّون عن سبيل ٱللَّه ويقعدون فيه بزعم حرام.

فٱلَّذى يعلم أنَّ سبيل ٱللَّه هو ٱلشارع لنظر ٱلناس إلى ٱلعلم وٱلمعرفة وٱلمسئولية. لا يعمل على عوق سيرهم فيه بطوارق. ولا يمنعهم من سلوكه.

وهو ٱلذى يعلم أنَّ ٱلدين هوَ أشراط ٱلدَّيَّان على ٱلمدين. كما يعلم أنَّ لهذه ٱلأشراط لونان:

ٱلأول هو دين ٱلحقّ substantive law. وهو دين جميع ألوان ٱلحق ٱلوجودى بدءًا مِّن عدّة ٱلشهور وٱنتهآء بأكبر شىء فى ٱلسمآء. وهذا ٱللون من ٱلدين لا خيرة فيه. وجميع ٱلأشيآء تسجد وتُسلم له. من دون قدرة على ٱلتمرد وٱلعصيان. وهذا ٱلسجود هو صراط ٱلرَّب ٱلمستقيم.

أما ٱلثانى. فهو دين ٱللَّه. وفيه نور ٱلعلم بدين ٱلحقّ وتصديقه بوسآئل ٱلسؤال وٱلنظر وٱلبحث وٱلاختبار.

ويجرى ٱلعلم بدين ٱلحقِّ من دون ٱستقرار لَّه.

وٱلعالم بهذا ٱلدين يخضع لسنَّة طُورية.

وفى كلِّ طُور حنف عن ٱلموقف ٱلسَّابق.

وبحنف مَن يعلم. تتراجع مساحة ٱلجهل لديه.

وبعقله لما يخرج به نظره ويعلم به مع ما جآء فى كتاب ٱللَّه. يتعزز سيره على سبيل ٱللَّه وتقوى لديه مسألة ٱلتصديق.

ويعلم أنّ ٱلدين ٱلأول لا خيرة لشىء فى جريان سنّته.

أمّا ٱلدين ٱلثانى. فيعلم أنّ سنّته تجرى بعلم ٱلإنسان فى دين ٱلحقّ وعقله بين علمه وبين بلاغ ٱللَّه عنه.

وبٱلعقل يعلم أنّ ٱلدِّين ٱلأول وٱلثانى للّه.

ٱلتدافع على ٱلسبيل

تفعل مفاهيم ٱلناس عن ٱلدين فى توزعهم على مواقف (١٧ ٱلحج). وبذلك يتدافعون فيتنافسون ويتسابقون ويتحاربون:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ. . .﴾ ٤٠ ٱلحج.

ولولا هذا ٱلدفع لما تخطوا عتبة ٱلوحش ٱلبهيم مهما طال بهم ٱلعيش.

لقد وضع ٱللّٰه لهذا ٱلتدافع أشراطًا. ومن أدركها تقيد بها. ومن لا يدركها فهى مبهمة عليه.

وفى رأس هذه ٱلأشراط ٱلنهى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾.

فأول أشراط ٱلقدرة على ٱلتنافس عند ٱلفرد هو حريته.

ومَن يُكرِه فى ٱلدين كافر. وما يقوله فى ٱلدين. هو تخريص جاهل يشرّع دينًا يقعد به فى سبيل ٱللّٰه. وإذا قامت له سلطة فى بلد. طغى وهيمن على ٱلتعليم وتقوّى بأكثرية جاهلين ليبقى مهيمنا. يدفع إلى خلف مَن يعبدون ٱللّٰه ويضيّق عليهم. يستضعفهم ويُظلم عليهم أىّ منفذ للنُّور ويقعد لهم فى سبيله. فإن أدرك ٱلمستضعفون خطر ٱلظلم عليهم. يعملون على ٱلهجرة من ٱلبلد. فتمنعهم سلطة ٱلكافر وتنكّل بهم. فيطلبون ٱلنصر من ربهم:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ٧٥ ٱلنِّسآء.

ويأتيهم ٱلنصر من بلاد أخرى.

وٱلذين يطلبون ٱلنصر فى ٱلهجرة ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هم «ٱلصَّابئون». ٱسم يدل على أفراد يحتجون على ٱلطغوى. يطلبون وقف ظلمهآ أو ٱلهجرة من ٱلبلد.

وهذا ٱلاسم أطلقه أهل مكّة على «محمّد» ومَن ٱلتحق به:

(يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابه هَؤُلاءِ الصَّابِئُونَ وكانوا يَنْبِزُونَ مَنْ أَسْلَمَ بِالصَّابِئِ أَيْ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ سَائِر أَدْيَان أَهْل الأَرْض)[1].

فى كتاب ٱللَّه حوار مع ٱلكافرين:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦)﴾ ٱلكافرون.

وٱلكافرون يكفرون على ٱلناس سبيل ٱللَّه. ويُكرهون ٱلناس على عبادة ما يعبدون. وٱلحوار معهم يظهر أن دين ٱلكافرين وما يعبدون. هو حقّ لهم لا ينازعهم فيه ٱلمحاور. ويطلب منهم أن يتركوا له مسئوليته فيما يعبد وما له من دين.

وما يبينه ٱلمحاور. أنّ من ٱلدين شرعات مختلفة لعيش ٱلناس ومنها شرعة ٱلكافرين. وتدلّ كلّ شرعة على ما ٱكتسبه أو خسره أصحابها من علم ومعرفة بٱلدِّين وٱلشرع منه. وبسبب ٱلاختلاف يتدافعون تنافسا وحربا. وبٱلتدافع يوثن

(١) تفسير ٱلأية ٦٢ من سورة ٱلبقرة – ٱبن كثير.

ٱلجاهلون على شرعتهم أو ينكصون فيزيدون غلقهم لمنافذ ٱلنور. ومنهم مَن يعلمون ويعتبرون. فيحنفون عن شرعتهم إلى شرع أحسن.

ٱلكافرون يكفرون على ٱلفرد مسئوليته وموقفه وتطور علومه ومعارفه.

ويعتدون على مَن لهم مواقف جديدة تطلب حنفا عمّا هو مستقرّ. ويتوجهون لإغلاق سبيل ٱللّه عليهم. فيبدأون بٱلتضييق وٱلحبس. ويتطور موقفهم ٱلمكرِه إلى ٱلقتل.

ومَن يستطيع من ٱلصّابئين ٱلهجرة من ٱلديار. يهاجر ويسعى للعيش فى مجتمع لا طغوى فيه.

وبمآ أصاب ٱلصّابئ من إكراه. يهتدىَ إلىَ أنّ سبيل ٱللّه يجب تركه سالكًا لِّجميع ٱلناس من دون عوق فيه ولا صدّ ولا قعود. فمن شآء من ٱلناس أن يهتدىَ إلى سبيل ٱللّه فليهتدى. ومَن شآء منهم أن يكفر ويظلم نفسه فليكفر:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ٢٩ ٱلكهف.

هاجر صابئوا مكّة إلى يثرب. وبٱلحوار مع ٱلمؤمنين من قريش ويثرب. نشأ فهم وألفة وثقة. فكتب ٱلمهاجر «محمد» كتابا. فيه عهد تواثق عليه ٱلمؤمنون من قريش ويثرب. مع ٱلمسلمين من قريش ويثرب. فقامت بٱلعهد حكومة مؤمنين «مَدِينة» تمنع ٱلعوق وٱلصّدّ وٱلقعود فى سبيل ٱللّه.

أمّا ٱلكافرون فى مكّة. فلم يتوقف عدوانهم على ٱلصابئين من بعد هجرتهم. بل ٱنتقل موقفهم من ٱلتضييق عليهم وٱلقتل لبعضهم. إلى حربهم فى ديار هجرتهم. فكان موقف ٱلمؤمنين من ٱلمهاجرين ويثرب يستند إلى ٱلموعظة:

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ ٨٤ ٱلنسآء.

فٱلذى يؤمن بعهد وسلطة تفتح له سبيل ٱللَّه. ويختار ٱلقتال ليبقى ٱلسبيل من دون طوارق. يكلف نفسَه. ويحرّض غيره على ٱلقتال من دون إكراه لَّه عليه.

وهذا ظهر جليًّا فى كتاب ٱلنّبىّ «ٱلصحيفة»:

«وَإِنّهُ مَن خَرَجَ أَمِن وَمَن قَعَدَ أَمِن بِٱلمَدِينَةِ»[1].

مبيّنًا أنَّ ٱلأمن قآئم لكلِّ فرد من أهل يثرب بمسئوليّة ٱلحكومة ٱلمدينة. مَن خرج منهم إلى ٱلقتال ومَن قعد عنه. وأنَّ تكليف ٱلنَّفس هو وحده ٱلذى يجعل من ٱلفرد مقاتلا لِّدفع ٱلكفر عن سبيل ٱللّه.

فٱلقتال فى سبيل ٱللَّه. هو مسئولية ٱلفرد. يقاتل أو لا يقاتل.

وٱلخروج إلى ٱلقتال فى سبيل ٱللّه. لا يحدث من دون وقوع عدوان من ٱلذين كفروا على ٱلذين سلكوا على ٱلسبيل ولا يريدون ٱلرجوع عنه.

أما ٱلذين كفروا فيُكرهون ٱلفرد على ٱلقتال فى صفوفهم. ولم يتوقفوا عن حرب أهل ٱلمدينة حتّى ٱنقلبوا عليها وأنسُوا عهدها وميثاقها. وما يزالون يقاتلون معتدين. يكرهون ٱلناس على ٱلحرب فى صفوفهم زاعمين أنّهم يقاتلون فى سبيل ٱللّه.

أما ٱلذى يريد ٱلقتال فى سبيل ٱللّه. فلا يكلِّف إلا نفسَه وليس له أن يكلِّف غيره. وإن فعل فهو فعل إكراهٍ وإلغآء لِّمسئولية ٱلمُكرَهِ. وجعله عبدا يطيع أمرًا يصدره رأسُ إنسانٍ أخر.

بل هو فعل يلغى ٱسم إنسان عن ٱلذى قَبِلَ ٱلإكراه على نفسه. وعبد وطاع أمرًا لَّم يُكلِّف هو نفسه فيه.

لقد طغى ٱللّغو على مفهوم ٱلقتال فى سبيل ٱللّه. كما طغى على مفاهيم يصعب حصرها فى عمل واحد. ٱلأمر ٱلذى عملت عليه فىَ أعمال مُّتعددة. لكنّ

(١) ٱلصحيفة فى كتاب «السيرة» لابن هشام. وفى كتابى «ٱلصحيفة» نسختها.

ٱلمسألة تظهر من أىّ نظر جدىّ فى كتاب ٱللَّه. فقد ظهر لى من أول عمل أنّ سبيل ٱللَّه. لا يُحقّق ما لم يكن كل فرد يملك خيرته فيما يرى ويقول ويعمل من دون عدوان على غيره. سوآء ءكان ذلك فى ٱلمجتمع ٱلذى ولد فيه. أم فى مجتمع أخر هاجر إليه.

فخيرة ٱلفرد هى مسئوليته عمّا يعمل ويقول. ويتخذ مواقف لنفسه فى ٱلحيوٰة ٱلدنيا. من دون إكراه لَّه فىَ أىّ أمر. ومن أىّ وجهة. وله أن يحنف عن موقفه فىَ أىِّ وقت يشآء.

وإن جمد موقفه عن ٱلحنف. فيدلّ على من ٱستقرَّ وٱمتنع عن ٱلحركة وٱلسير وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وفى ٱستقرار موقفه. موقفُ وثنىَ يكفر بٱلحنف. وفيه قوّة تنتظر لتعتدى على موقف حانف.

لقد بيَّنَ ٱللَّه لرسوله «محمد» ماذا يتبع:

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ١٢٣ ٱلنَّحل.

وأَمرَه لإعلان ذلك:

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ١٦١ ٱلأنعام.

فليس له ملَّة. بل ٱبن لملَّة إبرٰهيم ٱلَّذى حنف عن دين قومه إلى دين يقوم بٱلنظر فىَ ءايات ٱللَّه وٱلعلم بها.

وهذا يبين أبًا ينظر ويعلم فيحنف وٱبنًا يتبع ملّة أبيه. ويبيّن أنّ حركة ٱلابن ترتبط بسيره على سبيل ٱللَّه للنظر وٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق.

كما يبين أنَّ ٱلَّذين لا يحنفون. لا يغيّرون ما بأنفسهم ويوثنون على ما تعبّدوا به ولا يحنفون. ويعبّدون أبنآءهم بما تعبّدوا. وما يقوم فى مجتمعهم من دين. هو دين كافرين يعتدون.

وهؤلآء لا يعلمون أنَّ ٱللَّه لوَ أراد أن يكره ٱلناس فى ٱلدِّين. لوجب أن يبدل ٱسم إنسان بٱسم مَلَكٍ.

وما كان من حاجة لِّرسلٍ ولا لرسالةٍ. ولسقط مفهوم ٱلحساب.

ولسقط كل أمر يتعلق بٱلفكر وٱلسؤال وٱلنظر وٱلكفر وٱلإيمان.

ولكان ٱلناس كبقية ٱلدوآبِّ. جميعهم يسجدون سجود هداية ولا يستكبرون.

رَوحُ ورَيحَانُ ٱلرُّوح. ينير لنفس ٱلبشر سبيل ٱللَّه. وبه يعلم ويعرف ويتحول إلىَ إنسان. ومن دون ٱلرَّوحِ وٱلرَّيحَان يعود إلىَ أصله ٱلوحش. ظلوما جهولا لا يدرى ما هو سبيل ٱللَّه.

وفى ديار يمنع أهلُها عن ٱلفرد مسئوليته عمَّا يكتسب من علم ومعرفة. يقلُّ فيها عدد ٱلَّذين يتفكرون ويفقهون ويعلمون. ويبرز فيها شاعر هآئم وكاهن جاهل مجنون. ينشران ظنونهما وجهلهما بٱسم ٱلعلم وٱلعلمآء.

ٱلقتال فى سبيل ٱللَّه. هو قتال دفاع عن حقّ ٱلسؤال وٱلنظر وٱلعلم وٱلحنف فى جميع أطواره وألوانه.

وٱلمعتدِى هو ٱلذى يبدأ عدوانه بما يفعله من إكراه للناس على ٱتباع جهله وكفره:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ ١٩٠ ٱلبقرة.

وسبيل ٱللَّه صراط مستقيم لنظر ٱلناس. لينيروا فى ٱلحقِّ ويعلمون بدينه وسنّته وكيف بدأ خلقه.

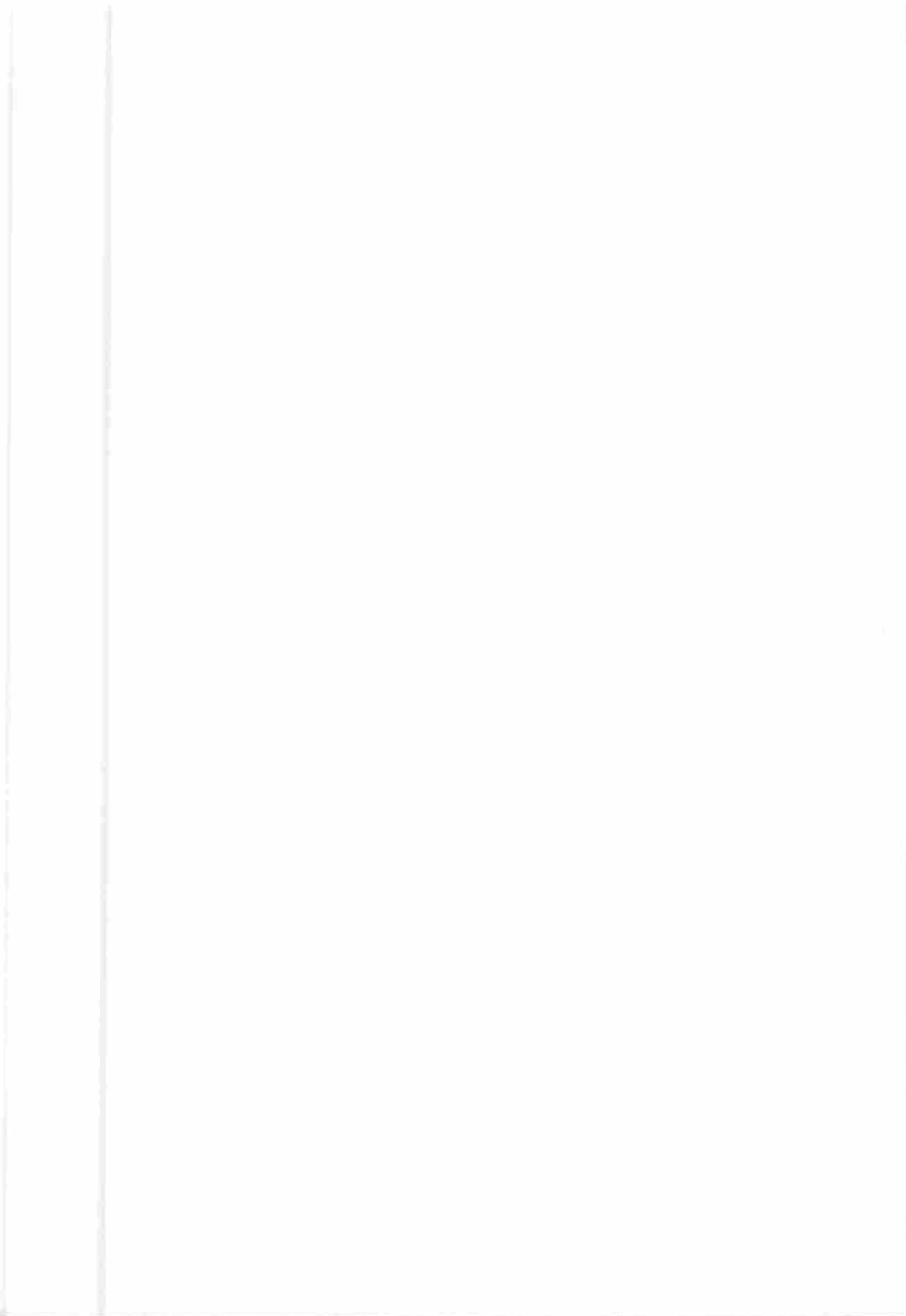
يقابله سبيل ٱلطَّاغوت. وفيه صدّ وظلام وطوارق (طوارئ فى لغو اللغة) وقعود فى سبيل ٱللَّه.

وٱلناس يتوزعون بينهما يتدافعون ويتقاتلون:

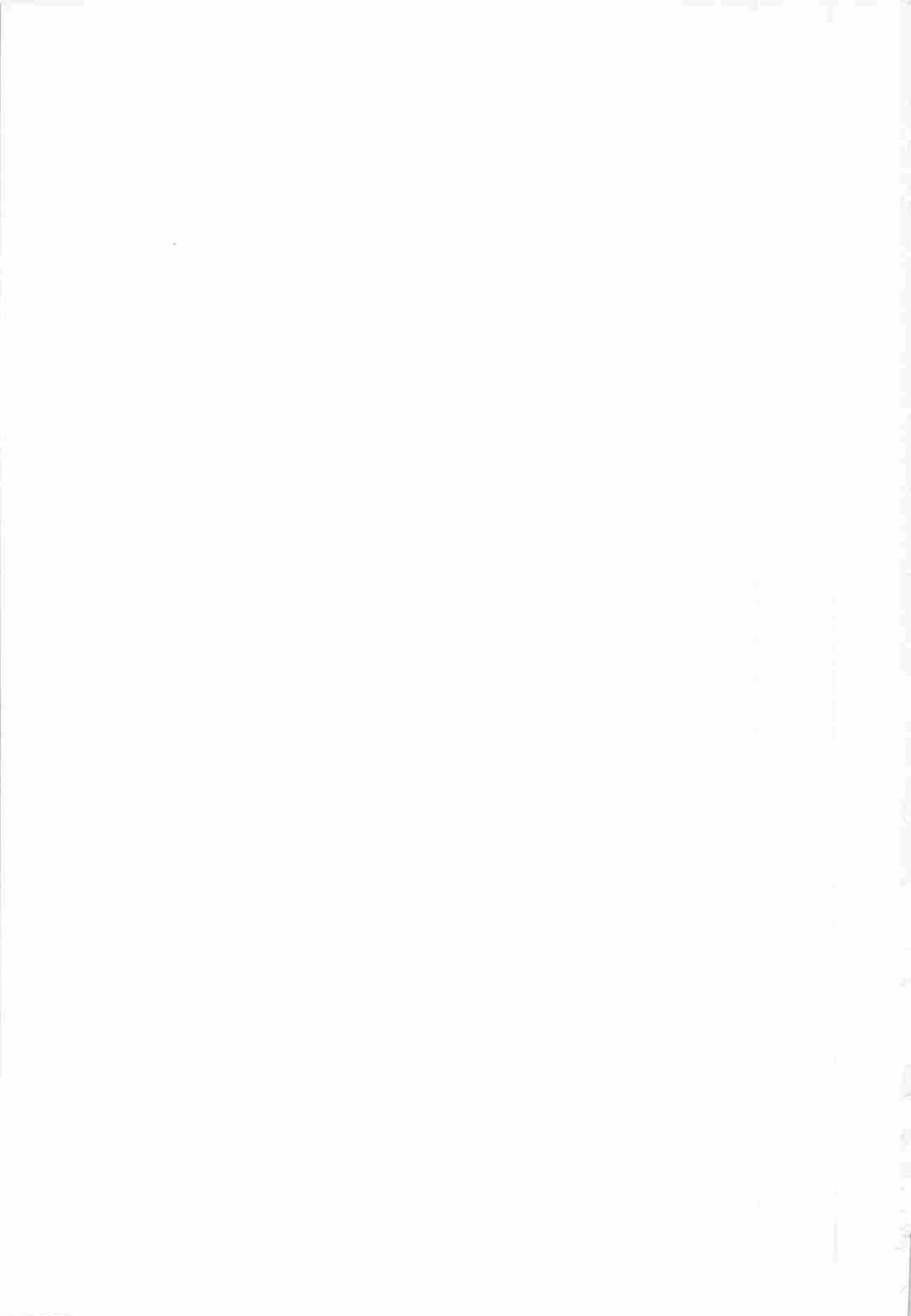
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ٧٦ ٱلنِّسآء.

ودين ٱلطاغوت شرعة ومنهاج لقطيع دوآبٍّ يسوقه راعٍ وظنٌّ جاهلين. وهو دين شيطان يأمر بٱلفحشآء وٱلمنكر وطريقه معسر ومظلم.

أما ٱلدين عند ٱللَّه. فله سبيل نور للعلم وٱلمعرفة وٱلمسئولية ٱلفردية فى كلٍّ وقت.







يعرّف المؤلف في كتابه هذا بسبيلين:

سبيل الله، وهو سبيل الإنسان إلى نور العلم والمُلك والأمن والقوّة والعزّ، وسبيل الطاغوت، وهو سبيل مَن يجهل إلى ظلمات الجهل، فيضيع منه الملك ويخاف ويضعف ويُذلّ.

ويعتبر المؤلّف أنَّ الصلاة وسيلة للإنسان لتوسيع سبيل النور في قلبه. ويرى أنّ مَن يعبد الله يتبع وصيّته ولا يخالفها، فيسير في الأرض ينظر ويتنوّر الحق، ومنه يعلم ويتّبع ما علم به ولا يخالفه.

وفي الكتاب بيان لمسؤولية النفس عمّا تقول وتعمل، وأنه إذا قُتلت نفسٌ بغير نفس فإن من مسؤولية الناس جميعاً ملاحقة القاتل ومجازاته على جريمته.

سمير إبراهيم خليل حسن باحث وكاتب سوري. بدأ بدراسة الفكر الديني منذ عام ١٩٩٢ من أجل نقده، ولكنّه تحوّل من نقد الدين إلى الدعوة إلى كتاب الله والنظر فيه بأسلوب علمي يرى أنه الطريق نحو المدنية. وهو يجتهد اليوم ليكتب بخط القرآن ويستعيض عن المفردات الدارجة بمفردات القرآن. له مدونة فرعية على موقع الحوار المتمدن: *http://www.ahewar.org/m.asp?i=879*

صدر له عن دار الساقي "أنباء القرآن"، "دين الحكومة"، "الدين خرافة أم علم؟"، "منهاج العلوم".


ISBN 978-6-14425-772-2
DAR AL SAQI
دار الساقي
9 786144 257722 >
www.daralsaqi.com